بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة امدرمان الإسلامية

كلية اللغة العربية

الدراسات العليا

قسم الدراسات النحوية واللغوية

٠٠٢٣٠٥

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير بعنوان

ابن جني وجهوده في رواية اللغة من خلال كتابه الخصائص

في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة

إعداد الطالبة :-

انتصار عثمان إبراهيم عثمان

إشراف الدكتورة :-

أم سلمة عبد الباقي يوسف

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

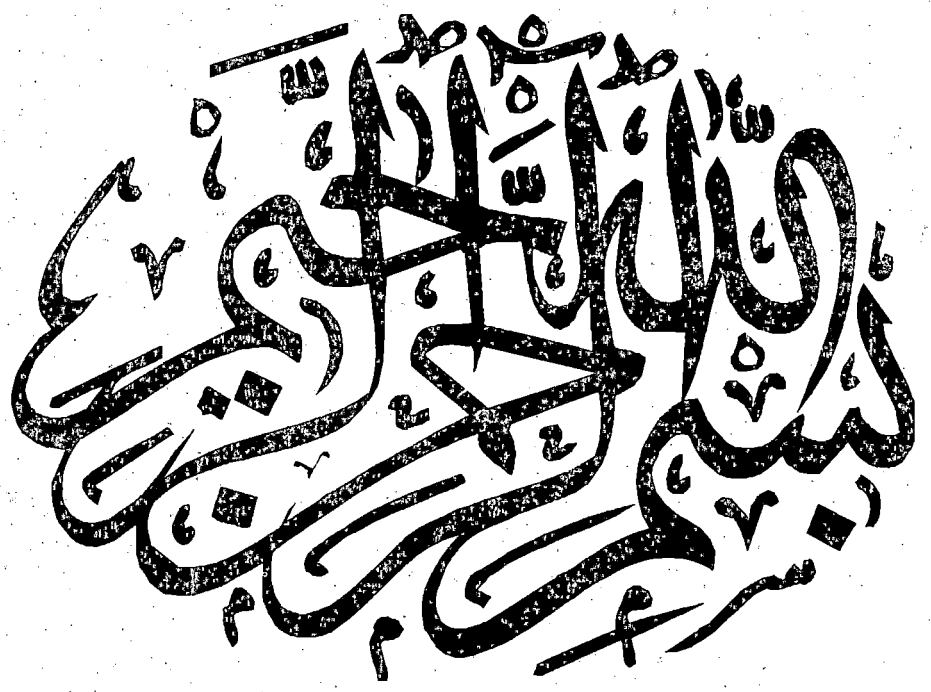
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء ....

إلى الَّذين يعجز لسانى عن شكرهم ...

روح أمى الشَّهيدة ... لها الرحمة...

أبى الغالى .... أطال الله عمرك ....

إخوتى الأحبة ...

(إشراقة – عبد الباقى – نور الدائم – والنذير)

رفيق دربى ... أشرف ... حفظك الله

البلـــــم جميعـــاً أهـــــدى ....

عصارة جهدكم لا جهدى ....

،،الباحثـــــة،،

الشكر والتقدير

قال تعالى :(رَبِّ أَوزِعنِي أَن أَشكُرَ نِعمَتَكَ الَّتِي أَنعَمتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وأن أَعمَلَ صَالِحَاً تَرضَاهُ وأَدخِلنِي بِرَحمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)"[1].

صدق الله العظيم

الحمدُ والشُّكرُ لله الذى بيده ملكوت كل شيء تتقدم الباحثة بالشكر إلى:

- أسرة جامعة امدرمان الإسلامية – منارة العلم والمعرفة- ذلك الصرح العملاق الذى رعى الباحثة منذ كانت طالبة جامعية، واستوعبها خريجة، وطالبة بالدراسات العليا.
- أسرة كلية اللغة العربية، متمثلة فى عميدها د. بابكر البدوى دشين، ونائبة العميد: د. أم سلمة عبد الباقى لتكرمها بقبول الإشراف على البحث، وأساتذتى وزملائى وزميلاتى : أعضاء هيئة التدريس بالكلية. والموظفين والموظفات، والعاملين والعاملات بالكلية، وزميلاتى : رفيقات دربى بالدراسة.
- أسرة مكتبة جامعة امدرمان الإسلامية.
- أسرة مكتبة جامعة القرآن الكريم.
- أكاديمية (دندرة لعلوم الكمبيوتر).
- اللجنة الموقرة الموكل إليها تقويم هذا العمل.

لهم منى جميعاً الشكر وعرفان الجميل لما بذلوه من جهد ليرى هذا العمل المتواضع النور.

---

[1] / سورة النمل آية (١٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حمداً لله على ما انعم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

وبعـــــد ...

حين نزل القرآن الكريم، انشغل العرب به وسعوا إلى تفسير ألفاظـــه، وبيـان أحكامه، وأعقبهم آخرون تناولوا نصَّه بالضَّبط إعراباً، وإعجاماً. بعد أن زاغت ألســن المسلمين الجدد عن صواب قراءته فوضعوا بذلك الأسس الأولى للدراســات اللُّغويــة العربية فإذا بها تمثل ميداناً علمياً واسعاً ترتع فيه الدِّراسات الفقهية والنَّحوية والصَّرفية، ثم تطورت هذه الدِّراسات مادةً ومنهجاً، فاختلفت اتجاهاتها تبعاً لاختـــلاف المؤثـرات البيئية والفكرية. وبالإضافة إلى خدمة النَّص القرآنى اتجه الدارسون إلى حفظ العربيــة وصونها من الضَّياع معتمدين على ما وجدوه بين أيديهم من ثروة لغوية ضخمة متمثلـة فى التُّراث العربى.

ولقد وقفت فى دراستي الجامعية على مدى أصالة العرب فى دراساتهم اللُّغويــة، ونضج تناولهم لموضوعاتها حتى وجدتنى مدفوعة لاختيار رواية اللغة موضوعاً لرسالة الماجستير لأزيد من نصاعة تلك الحقائق بما يهيئة التَّوسع فى دراســة آثــار العــرب اللُّغويــة –وقد كان ابن جنِّي– لأنى وجدت أن معظم ما توصل إليه من حقائق علميــة –خاصة فى مجال الدِّراسات الصَّوتية واللَّهجية– فى القرن الرابع الهجرى، أثبته علماء اللغة فى العصر الحديث، ويستطيع أىُّ دارس منصف أن يخرج من قراءاتـــه لآثــاره اللغوية أنَّ ما توصل إليه علماء العربية فى الدراسات اللغوية كان قفزة زمنية يطلـــون بها من خلال ما كتب ابن جنِّى من وراء ألف عام على علماء اللغة المحدثين.

وكنت منذ بداية عهدى بالدِّراسات العليا، ميَّاله إلى الموضوعات اللُّغوية، وربمـا كان لهذا الشغف المتعاظم فى نفسى أثره فى الإقدام على مثل هذا الموضوع يقويه مـــا وجدته من حاجة المكتبة اللغوية إلى مثل هذه الدِّراسة المتواضعة، التـــي حـــاولت أن ترصد جهود هذا العالم الجليل فى تطور الدِّراسات اللُّغوية من خلال عمل رائد من بين أعماله القيمة وهو كتاب (الخَصَائص) كاشفةً الغطاء عن جهوده فى رواية اللغة بتنـاول

موقفه من مراحل الرواية الثلاث. داعيةً إلى أن يكون البناء الجديد لأى عمـــل لغـــوى معتمدا على تلك الأسس القديمة المتينة، التى وضعها ابن جنِّى ومن سبقه ومن عاصره، ومن أتى بعده من علماء العربية الأوائل.

وحين أنهيت جمع مادة البحث وجدتها تملي على أن أقسمها على ثلاثة فصول:

١/ الفصل الاول :-

درست فيه باقتضاب العالم الذى نظرت إلى جهد العلماء العرب من خلال مـــا كتب وعنوانه : (ابن جنِّى ومنهجه فى كتابه الخصائص) يشتمل على خمسة مباحث.

المبحث الاول :-

اسمُه ونشأتُه وصفاتُه.

المبحث الثانى :-

حياته العلمية من خلال الوقوف على شيوخه وتلاميذه وآثاره العلمية وأثره فيمن جاء بعده من العلماء وبعض آراء العلماء حوله ثم تاريخ وفاته.

المبحث الثالث :-

صحبته للمتنبئ.

المبحث الرابع :-

مذهبه : ويتناول مذهبه الفقهى الكلامى والنحوى.

المبحث الخامس :-

منهجه فى كتابه (الخصائص).

٢/ الفصل الثانى :-

وعنوانه (الرواية عند ابن جنِّى) ويشتمل على خمسة مباحث :

المبحث الأول :-

نشأة الرواية وتطورها ومصادرها قبل ابن جنِّى.

المبحث الثانى :

موقف ابن جنِّى من جمع اللغة ومصادر الرواية.

المبحث الثالث :-

موقف ابن جنِّى من اللهجات العربية.

المبحث الرابع :-

موقفه من السماع والقياس.

المبحث الخامس :-

الاستحسان عند ابن جنّي.

٣/ الفصل الثالث :-

بعنوان (جهود ابن جنّي فى مسيرة المعجم العربي) ويهدف إلى إبراز دوره فى مسيرة المعجم العربى؛ إذ إن المعاجم تمثل المرحلة الثالثة من مراحل رواية اللغة، وقد وجدت فى (الخصائص) الكثير من القضايا والآراء التي أصبحت مصدراً مهماً لأصحاب المعاجم الذين جاءوا بعده، وقد تناولت ذلك من خلال خمسة مباحث يمكن أن تعتبر هى الأساس لأي عمل معجمى.

المبحث الاول : الأصوات والمعاني المعجمية.

المبحث الثانى : الوزن الصرفي.

المبحث الثالث : الاشتقاق.

المبحث الرابع : الدلالة عند ابن جنّى.

المبحث الخامس : موقف ابن جنّى من المصطلح العربي.

وذيلت الفصول الثلاثة بخاتمة لخصت فيها أهم القضايا التى تناولها البحث وبعض النتائج التى توصلت إليها الباحثة إضافة إلى بعض التوصيات التى خرجت بها من البحث.

وختمت ذلك كله بفهارس فنية شملت :

١/ الآيات القرآنية الواردة فى البحث مرتبة على حسب ترتيبها فى الكتاب الكريم.

٢/ الأحاديث النبوية، مرتبة ترتيباً هجائياً معتمدة فيه على متن الحديث.

٣/ الأبيات الشعرية الواردة فى البحث مرتبة ترتيباً هجائياً على القافية.

٤/ الأعلام المترجم لهم فى هوامش البحث وقد رتبتها ترتيباً هجائياً معتمداً على اسم العلم الحقيقي ثم ذكرت له اسم الشهرة والكنية إن وجدا.

٥/ المصادر والمراجع التى أفاد منها البحث مرتبة ترتيباً هجائياً معتمداً على اسم الكتاب.

٦/ واخيراً فهرساً مرشداً لما ورد من أبواب وفصول.

وكان منهجى فى البحث أن اتتبع مواقف ابن جنّى فى الجوانب المتعلقة بمستويات اللغة، إضافة إلى الجوانب المعنية بالدراسات الفقهية والمعجمية فى اللغة،

ولكني كنت أعرض لآراء سابقيه، ومعاصريه، والمحدثين من علماء اللغة. كل ذلك من خلال المنهج الوصفي التحليلي.

فكان من الطبيعى أن تتشعب مصادر هذا البحث وأهمها كتاب (الخصائص) لأبى الفتح عثمان بن جنّى إضافة لكتبه الأخرى –لا سيما (سر صناعة الأعراب) و (المحتسب) و (المنصف) ومن الكتب القديمة، أفدت أكثر ما أفدت من (كتاب سيبويه) ومعجم (العين) للخليل بن أحمد وغيرهما.

بالإضافة إلى كتب الطبقات والتراجم والتاريخ فى ترجمة ابن جنّى والأعلام الواردة فى البحث، ومعاجم اللغة خاصة (لسان العرب) لابن منظور إضافة إلى كتب اللغة القديمة والبلاغة ودووين الشعر كما أفادت هذه الرسالة من المراجع والدوريات الحديثة التى عالجت جوانب مختلفة مما عالجته هي.

وإننى إذ أتقدم بالشكر والامتنان لأستاذى المشرف : الدكتورة : أم سلمة عبد الباقى، أذكر لها هاهنا بالوفاء وعرفان الجميل تكرمها بقبول الإشراف على الرسالة والجهد الذي بذلته فى توجيهها، فلها منى شكر العارف بما بُذل، والدعاء أن يجزيها الله عنى خير ما يجزي الصالحين.

وحسبى من هذا العمل أنّى قد حاولت جهد المستطاع فإن وفقت فيه إلى الصواب– وهذا ما أرجوه– فهو فضل من الله وحده سبحانه وتعالى، وله الحمد أولاً وآخراً، وإن تكن الأخرى، فما هو إلا جهد بشر والكمال لله وحده، ولا حول ولا قوة الا بالله.

الفصل الأول
ابن جِنّي وكتابه الخصائص

المبحث الأول:-
اسمه ونشأته وصفاته:-

اتفقت كتب التراجم على أنَّ اسمه :(عثمان بن جنّي) وكان أبوه (جنّي) مملوكاً رومياً، يونانياً و (جنّي) بكسر الجيم وتشديد النون المكسورة وسكون الياء (علمٌ رومىٌّ، وهو معرب (كِنِّي) ومعناها : كريمٌ، نبيلٌ، جيِّد التفكير وعبقريٌّ مخلص، وقد نُقِلَ عن ابن جنّى أنَّه قال عن معنى اسم أبيه أنَّه فاضل بالروميَّة.

واتفقوا على أنَّه ولد بالموصل قبل الثلاثين وثلاثمائة من الهجرة"[1]"، واختلفوا فى سنة ميلاده والراجح أنَّها اثنتان وعشرون وثلاثمائة، أو إحدى وعشرون وثلاثمائة"[2]" نشأ بالموصل وتلقى مبادئ التعلم فى مساجدها، ومنها رحل فى سبيل العلم إلى أمصار مختلفة، وأخذ من اللغة، والنحو، والصرف، والأدب، والقراءات. ويشير إلى ذلك بقوله:(... جميع رواياتى مما سمعته من شيوخى -رحمهم الله- وقرأته عليهم بالعراق

---

[1] / الفهرست – لابن النديم- تحقيق الشيخ : إبراهيم رمضان – ص ١١٥ ط٢ - ١٤١٧هـ-١٩٩٧م- دار المعرفة – لبنان.

- معجم الأدباء – لأبى عبد الله ياقوت الحموى – راجعته وزارة المعارف ٨١/٢ ط: الاخيرة – ١٣٤٢هـ-١٩٢٢م – مطبعة دار المامون.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة – للوزير جمال الدين ابى الحسن على بن يوسف القفطى – تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم – ٣٣٣/٢ – ط١ – ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م – مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة.
- وفيات الأعيان وابناء الزمان – للقاضى أحمد الشهير بابن خلكان راجعته : وزارة المعارف العمومية – ٣١٣/١ – ط الاخيرة – (دت) مطبوعات دار المامون – مصر.
- البداية والنهاية – لأبى الفداء الحافظ بن كثير الدمشقى – ٣٣١/١١ ط١ – ١٩٦٦م – مكتبة المعارف (بيروت) – ومكتبة النصر (الرياض).
- البلغة فى تاريخ أئمة اللغة – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى تحقيق : محمد المصرى – ص ١٣٧ – (دط) ١٣٩٢هـ -١٩٧٢م منشورات وزارة المعارف.
- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة – للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – ١٣٢/٢ – ط١ ٣٨٤هـ-١٩٦٥م – مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر.
- الأعلام – لخير الدين الزركلى ٢٠٤/٤ – ط ١٠- ١٩٩٢م دار العلم للملايين.

[2] / الخصائص – – لأبى الفتح عثمان بن جنّى – تحقيق محمد على النجار المقدمة ص ٩- ط٣ – ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م – عالم الكتب بيروت.

والموصل، والشام وغير هذه البلاد التى أتيتها وأقمت بها"[1]"، ولم تحدد لنا المراجع كم سنة أقام بالموصل؟ ومتى رحل عنها؟ والراجح أنه بقى بالموصل حتى سنة إحدى وأربعين"[2]" ولم نقف على أحد من شيوخه بالموصل غير الأخفش الثانى"[3]" الذى قال عنه السّيوطى"[4]" (إنه كان إماماً فى النحو فقيهاً، فاضلاً ... قرأ عليه ابن جنّى)"[5]".

وقد أحسَّ ابن جنّى من نفسه النبوغ مبكراً فحاول أن يجلس مجلس الأساتذة فى جامع الموصل فى صباه فمر به أبو على الفارسى"[6]" فوجده يتكلم فى مسألة قلب الواو ألفاً فى نحو قال وقام، واعترض أبو على فوجده مقصراً، فنبهه على الصواب وقال له:(تزببت وأنت حُصْرُم) مشيراً بذلك إلى تعجله فى التصدر للتدريس، فكانت هذه الحادثة سبباً فى اتصاله بأبى على وصحبته إياه أربعين سنة"[7]".

أما صفاته، فلم تصفه لنا المصادر وصفاً جسمياً دقيقاً، والراجح أنّه كان أبيض اللون، أن كان أبوه رومياً، وإن كان الغالب على المواصلة سمرة اللون"[8]"، واتفق المؤرخون على أنه كان أعور ويكنون عن ذلك بأنه :(كان ممتعاً بإحدى عينيه)"[9]"ومما يدل على ذلك قوله فى التشوق لصديق له:

---

[1] / معجم الأدباء ١١١/١٣.

[2] / اللمع فى العربية – لأبى الفتح عثمان بن جنّى – تحقيق : حامد المؤمن – المقدمة : ص ٧ – ط٢ – ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م – عالم الكتب – مكتبة النهضة العربية – بيروت.

[3] / هو أحمد بن محمد أبو العباس الموصلى النحوى، ثانى الاخفشين أقام ببغداد وكانت له حلقة بجامع المنصور، له كتاب (فى تعليل القراءات السبع) بغية الوعاة ٣٨٩/١.

[4] / عبد الرحمن بن الكمال، أبى بكر بن محمد (جلال الدين السيوطى) ولد سنة ٨٤٩هـ وتوفى ٩١١هـ- ويقال إن كتبه بلغت ستمائة مؤلف منها: المزهر ، والأشباه والنظائر ، والجامع الصغير والكبير – مقدمة بغية الوعاة ١٠/١.

[5] / بغية الوعاة ٣٨٩/١.

[6] / هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسى النحوى، أبو على، ولد سنة ٢٨٨هـ ببلاد فارس، ودخل بغداد سنة ٣٠٧ واشتغل بها وتوفى بها سنة ٣٧٧هـ له من الكتب (التذكرة) و (الحجة فى القراءات) وغيرها... وفيات الاعيان ١٤٩/٤ – الفهرست ص ٨٨.

[7] / بغية الوعاة ١٣٢/٢ – نزهة الألبّاء ص ٣٣٢.

[8] / مقدمة الخصائص ١١/١.

[9] / معجم الأدباء ٩٠/١٢ – والبداية والنهاية – لابن كثير ٣٣١/١١.

صُدودُك عنّي وَلا ذَنْبَ لِي ... دَليلٌ عَلى نِيَّةٍ فاسِدَة
فَقَد وَحَياتُك مِمّا بَكَيْتُ ... خَشيتُ على عَيْنِيَ الواحِدَة
وَلَولا مَخافَةُ أَلّا أَراكَ ... لَما كانَ لي في تَركِها فائِدَة"[1]

ومن صفاته أنه كان من عادته فى الحديث أن يميل بشفتيه، ويشير بيديه"[2]، وربما يعود ذلك الى طبيعة ابن جنّى ورغبته فى توكيد المعنى فى نفس السامع وتسديده، فهو يميل دائماً الى الاطناب والتكرار والتوسل الى الإقناع، ويضيف محقق الخصائص : أنه ربما كان فى لسانه لكنه لعجمته من جهة أبيه، فكأنه يستعين على إيضاح ما يريده بالإشارة"[3] ولكن الناظر إلى أسلوب ابن جنّى من خلال كتبه، يرجح السبب الأول، إذا صح إثبات هذه الصفة إليه.

أما صفاته الخلقية فقد عرف أنه رجل جد وامرأ صدق فى قوله، فلم يؤثر عنه ما أثر عن أمثاله من رجال الأدب في عصره من اللهو والشرب والمجون، وكان عفّ اللسان والقلم، وقد يكون مردُّ هذا إلى أنه اشتغل بالتعليم والتدريس مبكراً، فلم يكن من همة منادمة الملوك وإرضاؤهم"[4]".

أما أسرته فكل ما يعرف عنها، أنه كان له ثلاثة أبناء (على، وعال، وعلاء) وكلهم أدباء فضلاء، وقد خرَّجهم والدهم وحسن خطوطهم، فهم معدودون فى الصحيحى الضبط وحسنى الخط"[5]" ولم يرد ذكرهم فى كتب الطبقات غير عالٍ"[6]". ولم يذكر بين أولاده من اسمه (الفتح) ويبدو أنها كانت كنيته من قبل أن يولد له، ولم يسم أحداً من ولده بها.

---

[1] / معجم الادباء ٨٤/١٢.

[2] / معجم الادباء ٨٤/١٢.

[3] / مقدمة الخصائص ١٣/١ –١٤.

[4] / مقدمة الخصائص ١٤/١.

[5] / معجم الادباء ٩١/١٢.

[6] / عالى بن عثمان بن جنّى ، أبو سعد البغدادى كان نحوياً، أديباً ، حسن الخط، أخذ عن أبى الفتح بن جنّى والوزير عيسى بن على ، وأخذ عنه الأمير ابو النضر بن ماكولا وغيره ، توفى سنة ٤٥٧هـ– وقيل ٤٥٨هـ. معجم الادباء ٣٩/١٢.

المبحث الثاني:-
حياته العلمية ووفاته:-

تضافرت عدة عوامل ساعدت فى تكوين شخصية ابن جنّى العلمية، التى تبرز لنا من خلال مؤلفاته فى مختلف الفنون فقد كتب فى اللغة، والنحو، والصرف، والقراءات، والعروض، والأصوات -كما سيظهر لنا من خلال عرض مؤلفاته-، مما يدل على ثقافة واسعة، وعلم جم غزير، فقد عاش ابن جنّى فى القرن الرابع الهجرى، عصر ازدهار العلم والأدب، ونشأ فى بغداد حاضرة العالم الإسلامى وعاصمة الخلافة آنذاك، فكان يفد إليها طلاب العلم والمعرفة من كل مكان، ويؤمها العلماء الأعلام فى مختلف فنون العلم، فنشأ ابن جنّى وبين يديه ثروة ضخمة من التراث، أخذها عن علماء أفذاذ فى ذلك القرن، بالاضافة الى ذلك فإنه قد طوّف فى البلاد وتنقل بين مراكز الحضارة الإسلامية آنذاك، فأقام فى الموصل، وفى حلب وفى واسط -كما رأينا فى نشأته- وانتهى به التطواف إلى بغداد، واتخذها مقراً له، ولما مات شيخه أبو على -رحمه الله- تصدر أبو الفتح فى مجلسه ببغداد "[1]" فسكنها ودرس بها إلى أن مات"[2]".

فهذه الحياة الحافلة بالدرس والتدريس، إضافة إلى ذهنه المتوقد، وذكائه النادر، وملاحظته الدقيقة، كل ذلك أسهم بقدر وافر فى تكوينه العلمى، فكان عالماً متقناً متمكناً متفنناً"[3]".

ولابد لنا فى الحديث عن حياته العلمية من الوقوف على شيوخه الذين أخذ عنهم، وتلاميذه الذين خرّجهم والتعرّض لبعض آراء العلماء الذين عرفوا قدره ممن عاصروه أو جاءوا بعده، ثم الحديث عن آثاره العلمية التى خلدت اسمه إلى يومنا هذا.

أولاً: شيوخه:-

أخذ ابن جنّى اللغة، والأدب، والنحو، والقراءات والصرف عن كثير من الشيوخ والرواة، الذين أكثر من النقل عنهم، ونجد آثارهم واضحة فيما كتب.

---

[1] / معجم الادباء ٩١/١٢.

[2] / انباه الرواة ٣٣٣/٢.

[3] / سر صناعة الإعراب – لأبى الفتح عثمان بن جنّى دراسة وتحقيق : حسن هنداوى – مقدمة المحقق ١/٩-١٢ – ط١ ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م – دار العلم – دمشق.

ومن أشهر شيوخه :-

١) أبو على الفارسى"[١]":-

الذى صحبه ابن جنّى أربعين سنة – كما مر بنا- وكان صاحب الفضل الأكبر فى تخريجه وإذكاء نبوغه، وكان الملهم الأول له فى الكشف عن أسرار اللغة ومشكلاتها فى الأصول والفروع، وكذا مسائل النحو والتصريف.

ويشير المؤرخون إلى أن أبا على دخل الموصل سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة، مع معز الدولة البُوَيْهِى"[٢]" الذى أغار على الموصل فى هذا التاريخ"[٣]"، وتجمع الروايات على أن ابن جنّى صحب أبا على بعد هذا التاريخ ولازمه فى السفر والحضر"[٤]"، ويذكر ابن جنّى نفسه أن ابا على دخل الموصل سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، وأنه فى هذه السنة حدثهم، يقول فى الخصائص :(وحدثنا أبو على سنة إحدى وأربعين)"[٥]" ولم يشر فى كتاب من كتبه إلى أنه اتصل به قبل ذلك. ولكن هذا لا ينفى قدوم أبى على سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة إلى الموصل مع معز الدولة البويهى، فربما يكون قد جاء فى ذلك العام ورجع معه، ثم عاد إلى الموصل مرة أخرى سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، فاتصل به ابن جنّى ولزمه الأربعين عاماً كما ذكرنا.

وقد كان ابن جنّى شديد الثقة والاعجاب بأستاذه، فلا نجد كتاباً لابن جنّى يخلو من ذكر أبى على وآرائه، وقد أظهر ابن جنّى إعجابه بأستاذه فى أكثر من موضع منها قوله :(قلت مرة لأبى بكر أحمد بن على الرازى، وقد أفضنا فى ذكر أبى على ونبل قدره، ونباوة محلة، أحسب أن أبا على قد خطر له، وانتزع من هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا)"[٦]" وظل ابن جنّى تحت صحبة أستاذه يبادله التقدير والوفاء حتى توفى

---

[١] / ترجمته ص ٢ من هذا المبحث.

[٢] / هو أحمد بن بويه بن فناخسرو بن تمام، أبو الحسن ، معز الدولة من ملوك بنى بويه فى العراق، فارسى الأصل، مستعرب، ولد سنة ٣٠٣هـ وتوفى ببغداد سنة ٣٥٦هـ الأعلام ١/١٠٥.

[٣] / الكامل فى التاريخ – لعز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى المعروف (بابن الاثير) ١٧٩/٩ – دط – ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م – دار صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر.

[٤] /مقدمة الخصائص ١٩/١.

[٥] / السابق ٥٧/١.

[٦] / السابق ٢٠٨/١.

أبو على سنة سبع وسبعين وثلاثمائة"[1]" ، وخلفه ابن جنّى – من بين سائر تلاميذه– فى تدريس النحو ببغداد.

٢/ أبوبكر محمد بن الحسن، ابن مُقَسِّم"[2]":-

وهو من القراء وكان رأوية ثعلب"[3]" وقد قرأ عليه مجالس ثعالب، وأكثر النقل عنه فى معظم كتبه خاصّة كتاب الخصائص"[4]".

٣/ أحمد بن محمد الموصلىّ الشافعىّ:-

أقام ببغداد وكانت له حلقة بجامع المنصور، قرأ عليه ابن جنّى بالموصل قبل رحيله إلى بغداد، وقد ذكر محقق الخصائص أنه لم يقف على أحد من شيوخه بالموصل غير أحمد بن محمد الموصلى الشافعى هذا"[5]".

٤/ أبوبكر جعفر بن محمد بن الحجّاج"[6]":-

أشار الى أخذه عنه فى كتابه (الخصائص)"[7]".

٥/ أبوبكر محمد بن المُرَاغِي"[8]":-

أخذ عنه فى الخصائص"[9]".

---

[1] / بغية الوعاة ٤٩٦/١.

[2] / هو محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن مقسم أبوبكر العطار، المقرئ النحوى، ولد سنة ٢٦٥هـ، وكان ثقة من أعرف الناس بالقراءات وأحفظهم لنحو الكوفيين، وله من الكتب: الأنوار فى تفسير القراءات، وكتاب فى النحو، توفى سنة ٣٥٥هـ – معجم الأدباء ١٥٠/١٨ – بغية الوعاة ٩٠/١.

[3] / هو أحمد بن يحيى بن يسار أبو العباس ثعلب، إمام الكوفيين فى النحو واللغة، ولد سنة ٢٠٠هـ– ومن كتبه : معانى القرآن،ومعانى الشعر، والمصون فى النحو، مات سنة ٢٩١هـ– بغية الوعاة ٣٩٦/١.

[4] / الخصائص ٣٨/١، ٣٨٣، ٣٩٠ – ١١/٢ ، ٤٦٧– ٢٨٠/٣.

[5] / مقدمة الخصائص ١٠/١.

[6] / لم أعثر على ترجمتة.

[7] / الخصائص ٣٠٥/٣.

[8] / محمد بن على أبوبكر المراغى، من أهل المراغة – بلدة بأذربيجان – أقام فى الموصل وكان عالماً دينّاً، قرأ على الزجاج، وله من الكتب : شرح شواهد سيبويه وكتاب مختصر فى النحو – الفهرست ص ١١٣/ – بغية الوعاة ١٩٦/١.

[9] / الخصائص ٢٩٩/٣.

٦/ أبو الفرج على بن الحسين الأصبهاني"[١]":-

أشار إلى أخذه عنه فى الخصائص"[٢]".

٧/ أبو إسحاق إبراهيم بن احمد القرمسيني"[٣]":-

أشار إلى أخذه عنه فى الخصائص"[٤]".

ثانيا : تلاميـــذه :-

ذكرنا أن ابن جنى قد تصدر بعد شيخه أبى على الفارسى فى مجلسه للتدريـس، فكان من الطبيعى أن يكثر طلابه وقد تتلمذ على يديه عدد من كبار العلماء والأمـــراء، الذين كان لهم أثر كبير فى علوم اللغة والنحو والصرف من بعده. ومن أشهر من أخذوا عنه:-

١/ أبو القاسم عمر بن ثابت الثمانينى"[٥]":-

٢/ أبو الحسين محمد بن عبد الله بن شاهويه"[٦]".

٣/ على بن يزيد القاشانى"[٧]".

٤/ محمد بن أحمد بن سهل الواسطي"[٨]":-

---

[١] / هو على بن الحسين بن محمد أبو الفرج الأصبهانى، ولد بأصبهان سنة ٢٨٤هـ، ونشأ ببغداد، ومن أشهر مؤلفاته: الأغانى، وله كتاب الرد على الشعراء، توفى ببغداد سنة ٣٥٦هـ، الفهرست ص١٩.

[٢] / الخصائص ١٣٢/٣.

[٣] / ابراهيم بن أحمد بن الحسن، أبو اسحق القرماسينى، شيخ روى الحروف عن أبى بكر الأصبهانى وأحمد ابن أنس، وروى عنه إبراهيم بن أحمد الطبرى طبقات ابن الجزرى ٧/١ – غاية النهاية فى طبقات القراء – لمحمد بن محمد بن الجزرى – عنى بنشره ج/ برجستراسد ٧/١ – ط١ ١٣٥١هـ-١٩٣٢ – مكتبة الخانجى مصر.

[٤] / الخصائص ٧٥/١ – ٤٥٩/٢.

[٥] / عمر بن ثابت الثمانينى، النحوى، الضرير، إمام فاضل، أديب كامل، أخذ عن ابن جنى وله شرح اللمع وشرح التصريف الملوكى، من بلدة ثمانين بالموصل، مات بالموصل سنة ٤٢٢هـ- بغية الوعاة ٢١٧/٢، نزهة الألباء ص ١٧١.

[٦] / محمد بن عبد الله بن شاهويه أبو الحسين، روى عن أبى على الفارسى، وحدث بالاجازة عن ابن جنى، وعليه قرأ عدد من كتب الأدب والنحو، بغية الوعاة ١٢٩/١.

[٧] / على بن يزيد القاشانى : أحد أصحاب ابن جنى، امتاز بالخط الجميل، الكثير لضبط الذى سلك فيه مسلك شيخه – معجم الادباء ٢٨/١٣.

[٨] / محمد بن أحمد بن سهل الواسطى أبو غالب المعروف بابن بشران، أحد الأئمة المعروفين، صاحب نحو ولغة وحديث، ولد سنة ٣٨٠ هـ وتوفى سنة ٤٦٢ هـ – بغية الوعاة ٢٦/١، معجم الادباء ٢١٤/١٧.

وحكى أخذه عن ابن جنّى فقال :(ورد أبو الفتح بن جنّى عثمان إلى واسط، ونزل فى دار الشريف أبى على الجوانى (نقيب العلويين) وكنا نتردد عليه ونسائله، ويملى علينا مسائل سماها الواسطية"[1]".

٥/ أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجانى الاندلسى"[2]".
٦/ أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر"[3]".
٧/ عبد السلام البصرى"[4]".
٨/ أبو الحسن السَّمْسَمِي"[5]".
٩/ محمد بن الحسين الموصلى (ابن وَحْشِيّ)"[6]".

إلى جانب هؤلاء العلماء الذين تخرَّجوا على يدَيّ ابن جنّى تخرج عدد من أمراء (آل بويه) الذين لازمهم فى دورهم وكان من أقرب المقربين إليهم"[7]".

---

[1] / انباه الرواة ٣٣٥/٢.

[2] / ثابت بن محمد الجرجانى الأندلسى أبو الفتوح : كان إماماً فى العربية، روى ببغداد عن ابن جنّى وتوفى مقتولاً سنة ٤٣١هـ- معجم الادباء ١٤٥/٧ بغية الوعاة ٢١٠/١.

[3] / أجاز له ابن جنّى رواية كتبه ومصنفاته عنه فى قوله :(... وقد أجزت للشيخ أبى عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر – أدام الله عزه – أن يروى عن مصنفاتى وكتبى مما صححه وضبطه أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصرى – أيد الله عزه) معجم الادباء ١٠٩/١٢، ولم أعثر له على ترجمة سوى هذه الاجازة.

[4] / هو ابو أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد البصرى اللغوى أبو أحمد القرمسينى، كان عالماً باللغة والادب والقرآن ، توفى سنة ٤٢٩هـ، وجاء فى البغية أنه أخذ عن أبى الفارسى ، فى حين جاء فى معجم الادباء فى ترجمة ابن جنّى أنه أخذ عنه. معجم الأدباء ١٠٩/١٢ – بغية الوعاة ٩٥/٢.

[5] / على بن عبيد الله السمسمى أبو الحسن، اللغوى، النحوى كان جيد المعرفة بفنون العربية، صحيح الخط، ثقة فى روايته، توفى سنة ٤١٥هـ- معجم الادباء ٥٨/١٤ بغية الوعاة ١٧٨/٢.

[6] / محمد بن الحسين الموصلى أبو الفتح المعروف بابن وحشى، كان إماماً فى القراءات والنحو والعروض – بغية الوعاة ٩٥/١.

[7] / إنباه الرواة ٣٣٩/٢.

ولم يقف تأثير ابن جنّى على تلاميذه من العلماء والأمراء الذين عاصروه، بل نجد تأثيره واضحاً فى العلماء الذين أتوا من بعده، فوجدوا ابن جنّى قد فتح لهم أبواباً لم يتسن فتحها لسواه فكان تأثيره واضحاً فيما نقلوه عنه، بل يمتد تأثيره إلى يومنا هذا.

ومن هؤلاء العلماء الذين أخذوا عنه :

١/ على بن احمد بن سِيْده اللغوى الأندلسى"[١]":-

فقد وصفه محقق الخصائص بأنه أغار على فوائده وبحوثه اللغوية، فى كتابه (المحكم) وأغفل عزو ما أخذه إلى صاحبه"[٢]" وكذلك كتابه (المخصص) فنجد فيه بحثاً فى اللغة يبتدئ بقوله (وقد اختلفوا فى اللغة أمتواطؤ عليها أم ملهم إليها)"[٣]"، وهذا من الخصائص"[٤]"، ثم يأتى صاحب اللسان"[٥]" وينقل ما فى ابن سيده، وينسبه لابن سيده وهو لابن جنّى، ففى اللسان نقل فصلاً فى تفسير النحو"[٦]" أنشأه ابن جنّى فى الخصائص"[٧]" وعزاه صاحب اللسان إلى ابن سيده.

٢/عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجى"[٨]":-

وقد انتفع كثيراً بعلم ابن جنّى فى كتابه (سر الفصاحة)"[٩]".

---

[١] / على بن احمد بن سيده، أبو الحسن الضرير، لم يكن فى زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب توفى سنة ٤٥٨ هـ، ومن كتبه : المحكم والمحيط الاعظم، والمخصص – معجم الادباء ٢٣١/١٢، بغية الوعاة ١٤٣/٢.

[٢] / مقدمة الخصائص ٢٩/١.

[٣] / المخصص – لأبى الحسن على بن إسماعيل (ابن سيده) ٣/١-٧ دط (دت) المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر – بيروت.

[٤] / الخصائص ٤٠/١ – ٤٧.

[٥] / محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصارى الافريقى، الإمام اللغوى، الحجة ولد بمصر سنة ٦٣٠هـ– وتوفى فيها سنة ٧١١هـ، ومن أشهر مؤلفاته (لسان العرب) بغية الوعاة ١٠٦/١ الأعلام ١٠٨/٧.

[٦] / لسان العرب – لابن منظور – مادة (نحو) – د ط ١٣٥٧هـ– ١٩٥٦م – دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر.

[٧] / الخصائص ٣٤/١.

[٨] / عبد الله بن محمد بن سعيد ين سنان أبو محمد الخفاجى، شاعر أخذ الأدب عن أبى العلاء المعرى، ولد سنة ٤٢٣هـ٠ وتوفى ٤٦٦هـ– وله ديوان شعر (ط)، وسر الفصاحة – الأعلام ١٢٢/٤.

[٩] / سر الفصاحة – لابن سنان الخفاجى – شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدى ص ١٧/دط – ١٣٨٩هـ– ١٩٦٩م – مطبعة محمد على صبيح وأولاده بالأزهر.

٣/ ابن الأثير"[١]":-

الذى نقل فصلاً كاملاً فى خصائص ابن جنّى فى كتابه المثل السائر من غير أن يعزوه إليه)"[٢]".

٤/ الحافظ جلال الدين السيوطى:-

الذى نقل عن ابن جنّى كثيراً من كتبه"[٣]".

ولم يقف تأثير ابن جنّى على من ذكرت من العلماء؛ لأن من يطلع على المعجمات وكتب اللغة وكتب أصول النحو والتصريف، يجد أثر ابن جنّى واضحاً فيها، أما أثره فى كتب المحدثين، فإننى أكتفى بقول أحدهم :(إننا لا نكاد نجد كتاباً حديثاً فى القراءات، أو اللغة، أو اللهجات، أو الأصوات، يخلو من ذكر ابن جنّى وآرائه)"[٤]".

ثالثاً:

رأى العلماء فى ابن جنّى :

بعد هذا العرض لنشأته وحياته العلمية، يمكننا أن نخلص إلى القول بأن أبا الفتح عثمان بن جنّى عالم عظيم، بل عبقرى فذ، نظر إلى اللغة العربية نظرة شاملة ليستخلص من أساليبها المختلفة قواعداً أصولية، لضبط سماعها، واستنباط عللها، ووضع مقاييسها، مستنيراً بالثروة اللغوية والنحوية التى وجدها بين يديه بالإضافة إلى ما وهبه الله من ذكاء وملاحظة.

وقد عرف المتقدمون من العلماء والأدباء والمؤرخون هذه المنزلة السامقة التى تسنم ذروتها فى شتى العلوم خاصة علوم اللغة والتصريف، فقالوا فيه:

(واعتنى بالتصريف، فما أحد أعلم منه به، ولا أقوم بأصوله وفروعه، ولا أحسن أحد إحسانه فى تصنيفه)"[٥]" بل يعترفون له بالأستاذية فى بقية العلوم، فقالوا :(وليس لأحد من أئمة الأدب فى فتح المُقفلات، وشرح المشكلات ماله؛ سيما فى علم

---

[١] / نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفتح، ضياء الدين السيبانى ولد سنة ٥٥٨هـ- وتوفى ببغداد سنة ٦٣٧هـ- له من الكتب : المثل السائر، وكتاب ديوان رسائل ، بغية الوعاة ٣١٥/٢.

[٢] / الفصل فى الخصائص ٢١٧/١، نقله فى مقدمة المقالة الثانية فى الصناعة المعنوية.

[٣] / ذكر محقق الخصائص كثيراً من النقول التى نقلها السيوطى عن ابن جنى، انظر الخصائص ١٦٤/١، ٢١٢، ٢١٣.

[٤] / الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى - حسام سعيد النعيمى- ص٢٠ - (دط) ١٩٨٠م منشورات وزارة الثقافة والإعلام.

[٥] / معجم الادباء ٩١/١٢.

الإعراب، فقد وقع منها على ثمرة الغراب"[1]" ويقول فيه الثعالبى"[2]" :(هو القطب فى لسان العرب وإليه انتهت الرياسة فى الأدب)"[3]".

وكان المتنبئ"[4]" يقول فيه :(هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس)"[5]".

وهذه الأقوال غير مستكثرة على ابن جنّى، فإنه لا يعرفه حق المعرفة إلا من وقف على آثاره من المتخصصين فى علوم العربية، وكل هذا واضح فى كتبه التى قاربت الخمسين كتاباً بين وجيز، ووسيط ، وبسيط، منها ما هو مطبوع، ومنها ما ذكر المفهرسون مكان وجوده، ومنها مالا نجد له ذكر فى فهارس المخطوطات، ومنها ما فُقِدَ فى حياة ابن جنّى. وقد كتب ابن جنّى نفسه اجازة تجيز للشيخ أبى عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر رواية مصنفاته عنه، أحصى فيها تسعة عشر كتاباً، نقلها ياقوت"[6]" وأضاف اليها عشرين كتاباً لم يذكرها ابن جنّى فى الإجازه"[7]".

وهذه كتبه مرتبة على حسب ورودها فى الإجازة عدا الخصائص الذى سيأتى الحديث عنه فى المبحث الخامس من هذا الفصل.

١/ التمام فى شرح أشعار الهزليين"[8]":-

وقد ذكره فى الخصائص"[9]".

---

[1]/ بغية الوعاة ١٣٢/٢.

[2]/ عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبى كان أديبا، فاضلا ، فصيحا ، بليغا، أخذ عن أبى بكر الخوارزمى توفى سنة ٣٢٩هـ، ومن كتبه: يتيمة الدهر، وسحر البلاغة – نزهة الألباء ص ١٥٦.

[3]/ يتيمة الدهر فى محاسن اهل العصر – لأبى منصور عبد الملك الثعالبى النيسابورى – شرح وتحقيق : مفيد محمد قميحه ١٣٧/١ – ط١ – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

[4]/ أحمد بن الحسين الجعفى أبو الطيب المتنبئ، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣هـ– ونشأ بالشام، وأقام بالبادية، لطلب الأدب، وعلم العربية، مدح سيف الدولة بن حمدان وأكثر القول فى مديحه، مات مقتولا سنة ٣٥٤هـ– نزهة الالباء ص ٢٩٤.

[5]/ بغية الوعاة ١٣٢/٢.

[6]/ ياقوت بن عبد الله، أبو عبد الله الملقب :شهاب الدين ، ولد سنة ٥٧٤هـ ببلاد الروم، وتوفى سنة ٦٢٦هـ بحلب، ومن مصنفاته : إرشاد الألباء الى معرفة الألباء – مقدمة معجم الأدباء ١٨/١-٤٤.

[7]/ معجم الادباء ١٠٩/١٢.

[8]/ طبع فى بغداد بتحقيق : أحمد ناجى القيسى، وخديجة الحديثى، وأحمد مطلوب، مقدمة اللمع ص ٣٣.

[9]/ الخصائص ١٢٤/١.

٢/ سر صناعة الإعراب"[١]":

وموضوعه الأساسى هو الدراسة التصريفية لحروف المعجم قدم لـــها بدارســة صوتيه، إضافة الى قضايا لغوية أخرى كالاشتقاق والعروض وغيرها"[٢]".

٣/ تفسير تصريف المازنى"[٣]":-

ويسمى (المنصف) وهو كتاب فى التصريف شرح فيه كتاب المـــازنى"[٤]" فـــى التصريف.

٤/ شرح مستغلق أبيات الحماسة، واشتقاق أسماء شعرائها:-

وقد جعله ابن جنّى كتاباً واحداً، ثم جعله كتابين :

الأول :-

التنبيه على مشكل أبيات الحماسة"[٥]" وجاء ذكره فى الخزانة"[٦]" والثانى المبهج فى أسماء شعراء الحماسة ونقل عنه فى الخزانة"[٧]".

٥/ شرح المقصور والممدود عن ابن السكيت"[٨]":

وحجمه اربعمائة ورقة، وذكره فى الخصائص"[٩]"، ولم يعثر على نســـخة فـــى الفهارس"[١٠]".

---

[١]/ قام بتحقيق الجزء الأول منه الاساتذة، مصطفى السقا، ومحمد الزقزاق، وابراهيم مصطفى، وعبد الله أميـن – ط وزارة المعارف العمومية ١٤٧٤هـــ-١٩٥٤م تحققه الدكتور حسن هنداوى- طبعة دار القلم دمشق، ط١ ١٤٠٥هـــ-١٩٨٥م.

[٢]/ مقدمة سر اصناعة بتحقيق حسن هنداوى ١/١٨-١٩.

[٣]/ وهو مطبوع فى ثلاثة اجزاء بتحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ط١ ١٣٧٩هـــ-١٩٦٠م – مطبعـــة مصطفى البابى الحلبى بمصر.

[٤]/ بكر بن محمد بن بقية أبو عثمان المازنى ، بصرى روى عن أبى عبيدة والاصمعى وغيرهما، كان إمامـــاً فى العربية توفى سنة ٢٤٨هـــ وقيل ٢٤٩هـــ- وله من الكتب: علل النحو، والتصريف بغية الوعاة ١/٤٦٣-٤٦٤.

[٥]/ قام بتحقيقه عبد المحسن خلوصى فى رسالة ماجستير ط بغداد ١٩٧٤م.

[٦]/ ١/٢٩، ٩٧.

[٧]/ ٢/٢٦٤.

[٨]/ هو يعقوب بن اسحق أبو يوسف ابن السكيت، اخذ عن البصريين والكوفيين، وله كتب فى النحو، والشعر، وتفسير دواوين العرب، مات سنة ٢٤٤هـــ- بغية الوعاة ٢/٣٤٩.

[٩]/ ٢/٤٨.

[١٠]/ مقدمة الخصائص ١/٦٢.

٦/ **تعاقب العربية :-**

وحجمه مائتا ورقة، وذكر فى الخصائص (بالتعاقب)"[١]".

٧/ **تفسير ديوان المتنبئ الكبير"[٢]":-**

ويسمى (الفَسرُ) وقد شرح فيه ابن جنّى ديوان أبى الطيب المتنبئ، وهو اقدم شرح لشعر المتنبئ، فى ثلاثة اجزاء.

٨/ **تفسير معانى ديوان المتنبئ الصغير:-**

وهو شرح ديوان المتنبئ الصغير.

٩/ **اللُّمع فى العربية"[٣]":-**

جمعه من كلام شيخه أبى على الفارسى، وقد سماه ابن جنّى نفسه بهذا الاسم، يشتمل على سته وستين باباً منها ثلاثة وستون باباً فى النحو، وثلاثة أبواب فى التصريف، وقد وجد هذا الكتاب إهتماماً من العلماء، فاهتموا بشرحه وتلخيصه، وعليه أكثر من عشرين شرحاً"[٤]".

١٠/ **مختصر التصريف.**

١١/ **مختصر العروض والقوافى :-**

وذكر ابن جنّى أنه كتابان، أحدهما كتاب العروض، وثانيهما كتاب القوافى"[٥]".

١٢/ **الألفاظ المهموزة"[٦]".**

١٣/ **المقتضب"[٧]".**

وهو فى اسم المفعول المعتل العين من الثلاثى.

---

[١]/ ٢٦٤/١.

[٢]/ حقق د. صفاء خلوصى جزاين من الشرح – ط بغداد – ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

[٣]/ تحقيقه ص٢ من هذا الفصل.

[٤]/ انباه الرواة ١٦٠/٢.

[٥]/ وفيات الاعيان ٤١٢/٢.

[٦]/ منه نسخه مطبوعة مع المقتضب، ونسخه مخطوطة بالمكتبة التيمورية- مقدمة اللمع ص ٣٠.

[٧]/ طبع فى ليبزج والقاهرة باسم (المقتضب من كلام العرب) مقدمة الخصائص ص ٦٣.

١٤/ تفسير المذكر والمؤنث:

وذكر أنه لم يتمه"[١]".

١٥/ تأييد المذكرة عن أبى على الفارسى.

١٦/ المحاسن فى العربية:

وذكر فى الإجازة أنه فقد منه ومقداره ستمائة ورقة، وذكره السيوطى فى البغية"[٢]".

١٧/ النوادر الممتعة فى العربية:

وذكر أنه فقد منه، وحجمه ألف ورقة، وقد ذكره فى كتبه الأخرى"[٣]".

١٨/ كتاب المسائل الخاطريات:

هكذا ورد فى وفيات الأعيان"[٤]" وقد ذكره ابن جنّى فى الإجازة باسم (ما أحضرنيه الخاطر من المسائل المنثورة)"[٥]".

هذه كتبه التى تضمنتها الإجازة، أما كتبه الأخرى التى لم تتضمنها الإجازة فعشرون كتاباً، هى :

١/ المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها"[٦]":

احتج فيه ابن جنّى للقراءات الشاذة وبين وجوهها.

٢/ تفسير أرجوزة أبى نواس"[٧]".

٣/ تفسير العلويات"[٨]".

٤/ كتاب البشرى والظفر"[٩]".

---

[١]/ بغية الوعاة ١٣٢/٢.

[٢]/ ١٣٢/٢.

[٣]/ الخصائص ٣٣٢/١.

[٤]/ ٤١٢/٢.

[٥]/ معجم الادباء ١٠٩/١٢.

[٦]/ قام بتحقيقه : على النجدى ناصف وآخرون – دط ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م – القاهرة.

[٧]/ فى تقريظ الفضل بن الربيع، وزير الرشيد والامين، قام بتحقيقه الاستاذ محمد بهجة الاثرى، ط دمشق ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

[٨]/ وهى أربع قصائد للشريف الرضى.

[٩]/ مقداره خمسون ورقة فى تفسير بيت من الشعر.

٥/ رسالة فى مد الاصوات ومقادير المدات.

٦/ كتاب المذكر والمؤنث"[١]".

٧/ المنتصف:-

ويرى محقق الخصائص أن هذا تحريف عن (المنصف)"[٢]".

٨/ مقدمات أبواب التصريف:

والراجح أنه كتاب التصريف الملوكى بينما يذهب محقق (اللمع) الى أنه كتاب آخر فقد"[٣]".

٩/ كتاب النقض على ابن وكيع فى شعر المتنبئ وتخطئته:

وذكر أبن خلكان"[٤]" ان لابن وكيع"[٥]" هذا كتاب يبين فيه سرقات المتنبئ، ورد ابن جنّى عليه بكتاب (النقض)"[٦]".

١٠/ المعرب فى شرح القوافى:

وهو تفسير قوافى أبى الحسن الأخفش"[٧]" وقد ذكره ابن جنّى فى الخصائص"[٨]".

١١/ كتاب الفصل بين الكلام الخاص والعام :-

ورد ذكره فى معجم الأدباء"[٩]" وفى الفهرست"[١٠]".

---

[١]/ نشر فى مجلة الشرق الأوسط ١٣٩/٨ – مقدمة الخصائص ١٦٥/١.

٢ / السابق ٦٥/١.

[٣]/ مقدمة اللمع ٤٠/١.

[٤]/ احمد بن محمد بن إبراهيم أبو العباس بن خلكان ، ولد فى أربل سنة ٦٠٨هـ وانتقل الى دمشق ومنها إلى مصر وبقى فيها إلى أن مات سنة ٦٨١هـ ، يتصل نسبه بالبرامكة – الأعلام ٢٢٠/١.

[٥]/ الحسن بن على الضبى التنيسى أبو محمد المعروف بابن وكيع شاعر مجيد أصله من بغداد، ومولده ووفاته فى تنيس توفى سنة ٣٩٣هـ- له ديوان شعر مطبوع، وكتاب (المنصف) فى سرقات المتنبئ – الأعلام ٢٠١/٢.

٦ / وفيات الأعيان ٢٢٨/٤.

[٧]/ سعيد بن مسعده أبو الحسن الأخفش الأوسط، مولى بنى مجاشع بن دارم، سكن البصرة وقرأ النحو على سيبويه وكان معتزلياً ، دخل بغداد وأقام بها مدة، وروى عنه أبو حاتم السجستانى. صنف : معانى القرآن ، والأوساط فى النحو، وغيره، مات سنة ٢١٠هـ- وقيل ٢١٥هـ- بغية الوعاة ٥٩٠/١.

[٨]/ الخصائص ٨٤/١.

[٩]/ ١١٣/١٢.

[١٠]/ ص ١٢٨.

١٢/ كتاب الوقف والابتداء.

١٣/ كتاب (الفرق).

١٤/ المعانى المحررة (المجردة).

١٥/ الفائق.

١٦/ الخطيب.

١٧/ الأراجيز.

١٨/ كتاب ذى القد فى النحو.

١٩/ شرح الفصيح"[١]".

٢٠/ شرح الكافى فى القوافى.

وهو شرح لكتاب الكافى للاخفش الأوسط"[٢]".

فهذه الآثار القيمة من ابن جنّى التى لا يزال أثرها واضحاً الى يومنـــا هــذا ، اضطرت كل من كتب عنه أن يعترف بفضله، ويثنى عليه وعلى مؤلفاته. والحق أنـــه كان –ولا يزال– جديراً بهذا الثناء وهو أهل لأكثر منه؛ (فهو الإمام الذى لم يُرَ مثله فى علوم العربية)"[٣]".

رابعـــاً :-

وفاتـــــه :-

بلغ ابن جنّى المنهل الذى يرده كل من على ظهرها، وألقى عصا التسيار فـــى هذه الحياة فى يوم الخميس السابع والعشرين من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة من الهجرة الموافق الخامس عشر من يناير سنة اثنتين وألف من الميلاد. ويكـــاد الــرواة يجمعون على سنة وفاته إلا صاحب الكامل فى التاريخ فهو يضع وفاتــه ســنة ثــلاث

---

[١]/ شرح فيه كتاب الفصيح لثعلب – مقدمة الخصائص.

[٢]/ مقدمة الخصائص ٦٧/١.

[٣]/ مقدمة سر الصناعة ١٦/١.

وتسعين وثلاثمائة"[1]". وقد كانت وفاته ببغداد ليلاً"[2]" ودفن فى مقابرها. وقد رثاه الشريف الرضى"[3]" بقصيدة عامرة، بها تسعة وخمسون بيتاً مثبته فى ديوانه مطلعها:-

أَلاَ يَالَقَـــوم لِلخُطُوبِ الطَّوارِقِ ... وللعظم يُرمَى كُلَّ يومٍ بِعَارِقِ
وللدَّهرِ يُعْـــرِى جَانِبَى مِنْ أَقَارِبى ... وَيَقْطَعُ مَا بينـــــى وبين الأَصَادِقِ
وللنَّفْسِ قَدْ طَارت شَعَاعاً مِنْ الجَوى ... لفقد الصَّفَايا وانقطـــاع العَلائِقِ
لها كلَّ يَـوم موقفٌ مِنْ مُـــودِّعٍ ... ومُلْتَفَـــتٍ فى عُقْبَ ماضٍ مُفارِقِ
نجومٌ من الأخوان يَرمِي بِهَا الرَّدَى ... مَغاربُـــــها فوت العُيونِ الرَّوامِقِ

ويقول بعد توجع كثير :

لِتَبكِ أَبَا الفَتْحِ العُيُـــونَ بِدَمْعِها ... وأَلْسُنَنَا مِنْ بَعْـــدِهَا بالمَنَاطِقِ
اذا هبَّ من تلك الغليـــل بدامعٍ ... تسرَّع من هذى الغـــرام بناطقِ
شَقِيقَيَّ إِذَا التاثَ الشَّقِيقُ وأَعْرَضَت ... خَلائـــقُ قَومِي جَانِباً على خَلائِقِي

---

[1]/ الكامل فى التاريخ – ابن الأثير – ١٧٩/٩.

[2]/ الفهرست – لابن النديم ص ١١٥.

[3]/ هو محمد بن الحسين بن موسى العلوى أبو الحسن الشريف الرضى، ولد سنة ٣٥٩هـ – وتوفـــى ســنة ٤٠٦هـ له ديوان شعر (ط) وكتب منها : المجازات النبوية، والمجاز القرآن –الأعلام ٩٩/٦.

المبحث الثالث:-
صحبته للمتنبئ:-

كان ابن جنّى أول من شرح ديوان المتنبئ، وقد شرحه شرحين كما رأينا فى كتبه. ويشير المؤرخون إلى أنهما اجتمعا بحلب عند سيف الدولة بن حمدان"[1]" وفى شِيرَاز"[2]" عند عضد الدولة"[3]" وكان المتنبئ يجله ويقول فيه :(هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس)"[4]"، وروى أن المتنبئ إذ سئل عن مسألة كان يقول :(لو كان صديقنا أبو الفتح حاضراً لفسره)"[5]" (وعليكم بالشيخ الأعور فسلوه، فإنه يقول وما أردت ما لم أرد)"[6]" وروى أنه كان يحضر عند المتنبئ بحلب، ويناظره فى شئ من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئاً من شعره أنفة وإكباراً لنفسه"[7]" وكان ابن جنّى يحسن الثناء على المتنبئ فى كتبه ويستشهد بشعره فى المعانى والأغراض ويعبّر عنه بشاعرنا، كقوله :(وحدثنى المتنبئ شاعرنا وما عرفته إلا صادقاً)"[8]".

---

[1] / على بن عبد الله بن حمدان التغلبى، الربعى، سيف الدولة الأمير ، صاحب المتنبئ وممدوحه، ولد بديار بكر سنة ٣٠٣، ملك واسط ودمشق ثم حلب سنة ٣٣٣هـ- وتوفى فيها سنة ٣٥٦هـ وهو أول من ملك حلب من بنى حمدان – الأعلام ٣٠٣/٤.

[2] / شيراز : بكسر الشين، بلد عظيم فى وسط بلاد فارس – معجم البلدان- للإمام شهاب الدين ابى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى، الرومى البغدادى ، ٣٨١/٣ -(دط) ١٣٨٦هـ-١٩٥٩م دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر – بيروت.

[3] / فناخسرو بن الحسن بن بويه ابو شجاع، عضد الدولة أحد العلماء بالعربية والأدب، تولى ملك فارس والموصل، ثم بلاد الجزيرة، ولد سنة ٣٢٤هـ، وهو اول من لقب فى الاسلام (شاهنشاه) – صنف له أبو على الفارسى الإيضاح توفى سنة ٣٧٢هـ ببغداد بغية الوعاة ٢٤٧/٢ – الأعلام ١٥٦/٥.

[4] / بغية الوعاة ١٣٢/٢.

[5] / معجم الادباء ١٠٢/١٢.

[6] / السابق والصفحة

[7] / بغية الوعاة ١٣٢/٢.

[8] / الخصائص ٢٣٩/١.

ومن دلائل عناية ابن جنّى بالمتنبئ أنه أخذ شيئاً من أخباره عن على بن حمـزة البصرى"[1]" لأن المتنبئ لما ورد بغداد نزل ضيفاً عليه إلى أن رحل عنها"[2]".

اضافة إلى كل هذه الروايات عن علاقة ابن جنّى بالمتنبى فإن ابن جنّى قد رثى المتنبئ فى قصيدة طويلة يقول فيها"[3]":

غَاضَ القَرِيضُ وأَذْوَتْ نَضْرَةُ الأدب ... وصَوَّحت بعـــــد رىٍّ دَوْحَةُ الكُتُبِ"[4]"

سُلِبْتَ ثَـــوبَ بَهَاءٍ كُنْتَ تَلْبَسُهُ ... كما تَخَطَّـــفَ بالخَطِيَّةِ السَّلَـــبِ"[5]"

وَقَد حَلِبْتَ لَعَمْرِى الدَّهرَ أَشطُـــرَه ... تمطو بهمـــةَ لا وانٍ ولا نَصَـــبِ

مَنْ لِلهَواجِـــلِ يُحيى مَيْتَ أَرْسُمِهَا ... بكلِّ جَائِلَـــةِ التَّصدِيرِ والحَقَـــبِ"[6]"

أَمْ للقَسَاطِلِ تَعْتَـــمُّ الحُـــزُونَ بها ... أم من لِضَغْمِ الهِزَبْـــرِ الضَّيْغَمِ الحَرِبِ"[7]"

أَم للملـــــوك يُحَلِّيـــها ويُلبِسُها ... حتى تمايَـــــسَ فى أَبْرَادِهَا القَشَبِ"[8]"

بانَت وســـــادى أطرابٌ تُؤَرِّقُنِـــي ... لمـــا غدوت لَقَىً فـــــى قَبْضَةِ النُّوَبِ"[9]"

عُمِّرتَ خِدْنَ المَسَاعِي غَيرَ مُضْطَهَدٍ ... كالنَّصـــلِ لم يَدْنَسِ يَوْماً ولم يُعَـــبِ"[10]"

فاذهب عليك سَلامُ المَجْـــدِ ما قَلِقَت ... خُوصُ الرِّكَائِبِ بالأكْـــوَارِ والشُّعُبِ"[11]"

فهذه الروايات عن ابن جنّى والمتنبئ، وإعجاب كل منهما بالآخر، دفعت ببعض الرواة أن يجعلوا من المتنبئ تربا لأبن جنّى، وصاحباً معاصراً له لزمه دهراً طويلاً فى

---

[1] / على بن حمزة البصرى، النحوى، اللغوى، أبو نعيم ، كان أحد الاعلام الائمة فى الادب وأعيان أهل اللغة الفضلاء، توفى سنة ٣٧٥هـ– وله ردود على جماعة من أئمة اللغة ككتاب: الرد على أبى عمرو فى نوادره، والرد على ابن السكيت فى الاصلاح وغيرها – معجم الادباء ١٣/٢٠٨-٢١٠ بغية الوعاة ٢/١٦٥.

[2] / معجم الادباء ١٣/٢٠٨.

[3] / القصيدة من بحر الوافر وردت فى معجم الادباء ١٢/٨٦.

[4] / آذوت : ذبلت ، وصوح مثلها، الدوحة : الشجرة الملتفة.

[5] /الخطية : رماح تنسب الى الخط بلدة بقرب البحرين.

[6] / الهواجل : الصحروات والفلوات، تصدير البعير : شده بحبل من حزامه، الحقب: الحزام فى حقو البعير.

[7] / القساطل : جمع قسطل : الغبار المنعقد على الرؤوس فى حومة الوغى، تعتم : تبدو كالعمـــائم ، الـــهزبر والضيغم الأسد، الحرب، الشجاع.

[8] /اللقى : الشيئى الملقى فى الطريق.

[9] / المساعى : جمع مسعاة وهى المكرمة ، يريد حييت صاحباً للمكارم كالنصل الذى هذه صفته.

[10] / الاكوار : جمع كور وهى الرحل.

[11] / الشعب : جمع شعيب كفتيل : المزادة.

حَلَّةٍ وترحاله، كما ذكر الثعالبى فى اليتيمة"[1]" بينما تشير كل المؤشرات الموضوعية الى فارق العمر بينهما، وإلى اختلاف فى مسيرة حياة كل منهما، فلا بد لنا من الوقوف بحذر أمام هذه الروايات فقد ولد المتنبئ فى الكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة من الهجرة"[2]" وقتل سنة أربع وخمسين وثلاثمائة"[3]". بينما ولد ابن جنّى سنة عشرين وثلاثمائة – على الراجح– وعلى ذلك فإن المتنبئ يكبر ابن جنّى بحوالى سبعة عشر عاماً، مما يجعلنا نقف بحذر امام تلك الرواية للمتنبئ التى يقول فيها (عليكم بالشيخ الأعور ابن جنّى) واذا تجاوزنا ذلك على أنه كان يقوله إجلالاً وتعظيماً لابن جنّى؛ لمكانته العلمية، وتصدره للتدريس فى سن مبكرة، فلنا أن نتساءل متى التقى المتنبئ بابن جنّى؟

تشير بعض الروايات إلى لقائهما سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة بحلب عند سيف الدولة"[4]" وإذا تتبعنا بعض محاورات ابن جنّى مع شيخه أبى على الفارسى نجده لم يكن فى حلب سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة كقوله :(انشدنا أبو على –رحمه الله– بالموصل سنة إحدى وأربعين...)"[5]".

وقد ذكر فى موضع آخر أَنَّ وجوده فى حلب كان سنة ست وأربعين وثلاثمائة"[6]" والمتنبئ فى هذا التاريخ كان قد مضى عليه ما يقارب العام من مغادرته حلب إلى مصر ليقضى فيها خمس سنوات"[7]" ويغادرها إلى الكوفة سنة خمسين للهجرة، ولم يبقى من عمره غير أربع سنوات، فأين الصحة فى قول الثعالبى (وصحبة دهراً طويلاً)؟ وقد مكث المتنبئ بضعة أشهر فى الكوفة، وانتقل الى بغداد وحل ضيفاً على على بن حمزة البصرى، –وكما مر بنا– فإن ابن جنّى كان يسأله عن أخبار المتنبئ عندما حل ضيفاً عليه، مما يؤكد لنا أن ابن جنّى لم يلتق بالمتنبئ فى هذه الفترة، وأنه كان خارج بغداد، وعندما عاد اليها سأل عنه وعن أخباره من مضيفه أبى حمزة البصرى.

---

[1] / يتيمه الدهر – للثعالبى – ١٣٧/١.

[2] / السابق ١٤١/١.

[3] / نزهة الالباء ص ٢٩٤.

[4] / معجم الادباء ٨٩/١٢.

[5] / الخصائص ٧٤/١.

[6] / الخصائص ٢٦٢/٣ باب فى التفسير على المعنى دون اللفظ.

[7] / اورد شارح ديوان المتنبئ قصائد للمتنبئ يمدح فيها كافور الاخشيدى بمصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة شرح ديوان المتنبئ عبد الرحمن البرقوقى ١١٩/٢ ط٢ ١٣٥٧هـ– ١٩٣٨م – المكتبة التجارية الكبرى – مصر – مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

أما القصيدة التى رثى فيها أبن جنّى أبا الطيب، فإن من يطلع عليها، لن يجد بيتاً واحداً يشير إلى علاقة شخصية بينهما.

بعد كل هذا يجب علينا إذا ما اطلعنا على شرح ابن جنّى لديوان المتنبئ، واعجابه بشعره بوصفه بكلمة (شاعرنا) أو (صديقنا) ألاّ نجزم أن ذلك حدث نتيجة لقاءات شخصية بينهما دامت دهراً طويلاً، وننسى أن ذلك يمكن أن يكون عناية نحوى بشعر شاعر ملأ شعره الآفاق فى زمانه ربما لم يلتقيا غير أيام قليلة فى شيراز فى أواخر عمر المتنبئ، أو أنهما لم يلتقيا مطلقاً وعلينا ألا نستغرب هذا الإعجاب من ابن جنّى بشعر المتنبئ، فقد كان له من الذوق الأدبى ما يجعله يهتم بالمتنبئ كشاعر، بل له الكثير من القصائد التى تكشف لنا عن شاعر مرهف، ومن ذلك قوله فى الغزل"[1]" :

غَزالٌ غَيرَ وَحشِيٍّ ... حَكَى الوحشِيَّ مُقلَتَهُ
حَكَاه الورد يَجنِي الوَرْ ... دَ فاستَكْسَاهُ حُلَّتَهُ
وشَمَّ بأنفِهِ الرَّيحَا ... نَ فاستَهْدَاهُ زَهْرَتَهُ
وذاقت ريحُهُ الصَّهبَا ... ءُ فاختلسه نكهتَهُ"[2]"

فهذه الأبيات التى تسيل عذوبة – كما وصفها محقق الخصائص-"[3]" تنفى ما ذهب إليه بعض المؤرخين من (أن شعره بارد)"[4]" ومن جيد شعره مرثيته فى المتنبئ التى مرت بنا وله قصيدة طويلة يفخر فيها مطلعها"[5]":

وحُلو شَمائِلِ الأَدَبِ ... مُنيفِ مَراتِبِ الحَسَبِ"[6]"
أخى فَخْرِ مفاخِرِهِ ... عَقائِلِ عُقلَةِ الأَدَبِ"[7]"
لَهُ كُلَفٌ بِمَا كَلِفَت ... له العلماء م لعرب"[8]"

---

[1] / معجم الادباء ٢/٩٠.

[2] / النكهة : رائحة الفم والمذاق، واختلسه أى سرقت منه يتيمه الدهر للثعالبى ١/ ١٣٨ والقصيدة من مجزوء الوافر.

[3] / مقدمة الخصائص ١/٥٠.

[4] / الكامل : لآبن الأثير – ٩/١٧٩ – حوادث ٣٩٣هـ.

[5] / معجم الادباء ١٢/٩٦.

[6] / منيف : عال مرتفع.

[7] / عقائل : جمع عقيلة وهى ما يعقل به.

[8] / م لعرب : أى من العرب.

ويمضى هكذا طويلاً فى الحديث عن نفسه ومن هذه القصيدة أبيات أوردها فى الحديث عن نسبه، وأنه وإن لم يكن عربى فإن عنده ما يعوضه هذا النقص فيقول:

فان أصبح بلا نسب ... فعلمى فى الورى نسبى
على أننى أعول إلى ... قروم سادة نجب"[1]"
قياصرة إذا نطقوا ... أرم الدهر ذو الخطب"[2]"
أولاك دعا النبى لهم ... كفى شرفاً دعاء نبى"[3]"

---

[1] / قروم : قوم.

[2] / أرم : سكت، ذو الخطب بضم ففتح جمع الخطبة أى المنطيق بأفعاله وآثاره. مقدمة الخصائص ٧/١.

[3] / روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر يدعوهما إلى الإسلام، فأما كسرى فقد مزق الكتاب لما قرأه، وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم رفعه، فلما بلغ ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم قال فى كسرى : مزق الله ملكه وفى قيصر ثبت الله ملكه- وانظر فتح البارى طبعة الخشاب ٣٤/١.

المبحث الرابع:-
مذهب ابن جنّى:-

أولاً :-
مذهبه الفقهى :-

الباحث فى كتب ابن جنّى يكتشف منذ الوهلة الأولى، أنه كان ينظر فى كتب الفقه وأصوله كثيراً خاصة فى مباحث النحو، فقد استعار بحثه فى باب:(تخصيص العلل)"[1]" من أصول الفقه. وعقد باباً سماه (الاستحسان)"[2]" وهو اصل من أصول الفقه.

أما مذهبه الفقهى فيبدو أنه كان حنفى المذهب :(وإن لم يكنه فقد كان له هوى فى هذا المذهب وانعطاف نحوه)"[3]" ويتضح ذلك من قوله فى الخصائص :(وكذلك كتب محمد بن الحسن –رحمه الله– إنما ينتزع أصحابنا منها العلل، لأنهم يجدونها منثورة فى أثناء كلامه..)"[4]" فظاهر أنه يريد أبا يوسف"[5]" صاحب أبى حنيفة"[6]" بل نراه ينصر الحنفية على الشافعية فى بعض كتبه، مثل ما أورده فى سر الصناعة فى حرف الباء :(وأما ما يحكيه أصحاب الشافعى عنه، من أن الباء للتبعيض، فشئ لا يعرفه أصحابنا، ولا ورد به ثبت)"[7]" وقد جاء ذكر الإمام أبى حنيفة فى أكثر من موضع من

---

[1] / الخصائص ١/١٤٤.

[2] / السابق ١/١٣٣.

[3] / مقدمة الخصائص ١/٤٠.

[4] / ١/١٦٣.

[5] / يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الانصارى، أبو يوسف الكوفى البغدادى، صاحب الإمام أبى حنيفة وتلميذه وناشر مذهبه ولد بالكوفة سنة ١١٣هـ– وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة وولى القضاء ببغداد، وهو أول من دعى قاضى القضاة ومن كتبه : الخراج، والآثار، وهو مسند ابى حنيفة – الأعلام ٨/١٩٣.

[6] / النعمان بن ثابت أبو حنيفة، إمام الحنفية، قيل أصله من أبناء فارس، ونشأ بالكوفة، ولد سنة ٨٠هـ وتوفى سنة ١٥٠هـ ببغداد – له مسند فى الحديث مطبوع وله المخارج فى الفقه) رواه عنه تلميذه أبو يوسف الأعلام ٨/٣٦.

[7] / ١/١٢٣.

الخصائص"[1]" وذكر الجصاص "[2]" شيخ الحنفية فى بغداد، اضافة الـــى أبـــى يوســف صاحب أبى حنيفة.

ثانياً :-

مذهبه الكلامى :-

أما مذهبه الكلامى فيذكر السيوطى فى المزهر (أن ابن جنّى كان معتزليـــاً)"[3]" ويظهر اعتزاله فى أكثر من موضع من كتابه الخصائص، كما يظهر من كتبه الأخرى، وبخاصة كتابه :(المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها).

يقول فى مقدمة الخصائص :(الحمد لله الواحد العدل القديم)"[4]" والعدل من مبادئ المعتزلة، كما أن وصفه سبحانه بالقدم من الصفات التى تمسك بها المعتزلة"[5]".

وفى المحتسب يقول تعليقاً على القراءة الشاذة :(قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَسَاءَ)"[6]".

يقول :(هذه القراءة أشد إفصاحاً بالعدل من القراءة الفاشيه التى هى (من أشاء)؛ (لأن العذاب فى القراءة الشاذة مذكور علة الاستحقاق له)... وإن كنا وقد أحطنا علمـــاً، بأن الله تعالى لا يظلم عباده، وأنه لا يعذب أحداً منهم إلا بما جناه واجترمه على نفســه، إلا أنا لم نعلم ذلك من هذه الآية، بل من اماكن غيرها، وظاهر قوله تعالى :(من أشـاء) بالشين معجمية ربما أوهم من يضعف نظره من المخالفين أنه يعذب من يشاء من عباده أساء، أو لم يسئ نعوذ بالله من اعتقاد ما هذه سبيله وهو حسبنا ووليا)"[7]" وذلـــك هـــو العدل الإلهى نفسه عند المعتزله، وغير ذلك الكثير من الأمثلة التى أوردها ابن جنّى فى الخصائص، ولكنه مع ذلك لا يتقيد بمذهب المعتزلة، ويذهب الى ما يراه الحق، ومـــن ذلك موقفه من نشأة اللغة، وهل هى إصطلاح، ام توقيف؟.

---

[1] / ١/ ٢٨.

[2] / احمد بن على الرازى أبوبكر الجصاص، فاضل من أهل الرى، سكن بغداد ومات فيها، انتهت إليه رئاسة الحنفية، ألف كتاب: أحكام القرآن ، وكتاب فى أصول الفقه – الأعلام ١/١٦٥.

[3] / المزهر – للشيخ جلال الدين السيوطى –

[4] / والخصائص ١/١.

[5] / الملل والنحل – لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى – تحقيـق : محمـد سـيد كيلانى ١/٤٣– ١٣٩٦هـ–١٩٧٦م مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر.

[6] / سورة الأعراف آية (١٥٦ –١٥٧٦).

[7] / المحتسب ص ١٢٥.

فقد ذكر رأى التوقيف ثم قال :(وإذا كان الخبر الصحيح قد ورد بهذا، وجب تلقيه والانطواء على القول به)"[1]" وهذا منهج أهل السنة"[2]" بل نراه فى هذا المبحث يتوقف فى شأن اللغة، ولا يجزم بأمرها، وهو بذلك يخالف مذهب الاعتزال، وهو الجزم بأنها اصطلاح وتواضع"[3]" فابن جنّى قد لا يلتزم بمنهج المعتزلة، ولكن تأثره الواضح بمنهجهم العقلى، سوف يؤثر على نظرته إلى الظواهر اللغوية على ما سيظهر لنا من تحليل منهجه فى الخصائص.

ثالثاً :-

مذهبه النحوى :-

عندما دخل ابن جنّى الحياة العلمية، وجد ثلاث مدارس نحوية تتجاذب الدارسين وتشدهم إليها، فيقولون برأيها ويدافعون عن وجهة نظرها وهى :-

مدرسة البصرة، ومدرسة الكوفة، ومدرسة بغداد، أما ابن جنّى فقد اختلف العلماء فى مذهبه فذهب بعض المعاصرين إلى أنه كان بغدادى المذهب"[4]" نظراً لأخذه عن أئمة الكوفيين والبصريين، إضافة إلى إقامة ابن جنّى فى بغداد، وتصدره للتدريس فى مسجدها بعد وفاة شيخه أبى على الفارسى مما جعلهم يقولون بأنه بغدادى المذهب وهو قول مردود، لأن ابن جنّى عندما قدم بغداد وأقام بها، كان قد وضح مذهبه النحوى"[5]"، ولم يقل أحد من الباحثين بانتمائه إلى مدرسة الكوفة، والراجح ان النحو فى كتب ابن جنّى نحو بصرى، مع ظهور الاجتهاد الشخصى، ونستدل على ذلك بالكثير من الأمثلة التى تكشف لنا عن ميله للدرسة البصرية، وأخذه بأصلوها ودفاعه عنها، واستحسانه لها فى كثير من الآراء. ومن ذلك قوله فى باب (تعارض العلل)"[6]" :(الأول منها كرفع المبتدأ فإننا نحن نعتل لرفعه بالابتداء ، على ما قد بيناه، وأوضحنا من شرحه، وتلخيص معناه، والكوفيون يرفعونه، إما بالجزء الثانى الذى هو مرافعه عندهم،

---

[1] / الخصائص ٤١/١.

[2] / مقدمة الخصائص ٤٤/١.

[3] / فهم يتفقون إن العبد خالق لأفعاله –ومنها القول– خيرها وشرها–الملل والنحل–لأحمد الشهرستانى ٤٥/١.

[4] / الدارسات اللهجية والصوتيه عند ابن جنّى– حسام سعيد النعيمى – ص ١٨–١٩.

[5] / مقدمة الخصائص ٤٥/١.

[6] / الخصائص ١٦٦/١.

وإما بما يعود عليه من ذكر على حسب مواقعه)"[1]" فهذا النص يكشف لنا عن قول ابن جنّى بالمذهب البصرى إلى أن المبتدأ يرتفع بالابتدأ ويختلف مع الكوفيين الذين يذهبون إلى أنهما يترافعان أى أن المبتدأ يرفع الخبر، والخبر يرفع المبتدأ)"[2]".

ويقول فى باب (فى ترك الأخذ عن اهل المدر)"[3]".

(وهذا قد قاسه الكوفيين، وإن كنا نحن لا نراه قياساً).

أما انتماؤه للمذهب البغدادى، فالناظر فى كلامه يرى من الدلائل ما يحصى على هدم هذه الدعوة ونقضها ومن هذا قوله فى سر الصناعة فى حرف الكاف:(فاذا قلت أنت كزيد، وجعلت الكاف اسماً، فلا ضمير فيها كما أنك إذا قلت : أنت مثل زيد فلا ضمير في مثل فهذا قول أصحابنا، وإن كان قد أجاز بعض البغداديين ان يكون فى هذا النحو الذى هو غير مشتق من الفعل ضمير)"[4]".

من هنا يتضح لنا أن ابن جنّى كان يميل إلى مذهب البصريين، ولكنه لم يكن متعصباً فى ذلك فهو أحياناً يقول بقول الآخرين إن أصاب الحقيقة فى نظره ووافق الصواب، او يستقل برأيه إن وجد للاستقلال بالرأى ما يؤيده ويؤكده.

ومما قال فيه ابن جنّى بقول البغداديين :(جعله ابتع وما تصرف منها فى الفاظ التوكيد فى قوله :(إنهم لما أكدوا فقالوا : أجمعون، أكتعون، أبصعون، أبتعون، ولم يعيدوا أجمون ألبته...)"[5]".

ويقول الرضى"[6]" فى شرح الكافية :(واما أكتع وأخوانه فالبصريون – على ما حكى عنهم الأندلسى – جعلوا النهاية أبصع ومتصرفاته، ولم يذكروا ابتع ومتصرفاته... والبغدادية جعلوا النهاية أبتع وأخواته، فقالوا : أجمع أكتع أبصع ابتع)"[7]".

---

[1] / السابق ١/١٦٦.

[2] / الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين – للشيخ كمال الدين ابى البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبى سعيد الانبارى – تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ص ٣١– ط٢ ١٩٥٣م مطبعة حجازى القاهرة.

[3] / الخصائص ٢/٥-١٠.

[4] / سر الصناعة ١/

[5] / الخصائص ١/٨٣.

[6] / محمد بن الحسن ، الرضى الاستراباذى، توفى عام ٦٨٦هـ– نحوى ، عربى من اهل استراباذ، شرح كافية ابن الحاجب فى النحو وشافيه ابن الحاجب فى الصرف والاملاء – أعلام المورد س ٢٠٦.

[7] / شرح الرضى على الكافية – تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر ٢/٢٧٦ منشورات جامعة قار يونس.

ولا يقضى هذا الوفاق للبغداديين أن يكون ابن جنّى بغدادياً؛ فإن هـــذه المســـألة ترجع إلى السماع، وقد صحّ عنده هذا، ولكنه باقٍ على أصول البصريين، [illegible] لا يرضى لنفسه أن يكون بغداديـاً، فهو كثير النيل منهم والتصريح بخلافهم"[1].

[1] / مقدمة الخصائص ٤٧/١.

المبحث الخامس:-
منهج ابن جنّي في الخصائص:-

من الحقائق المقررة أنَّ الحياة العلمية العربية نشأت وتطورت فى ظل القرآن الكريم"[1]" فكانت حركتهم نحو العلم فى سبيل فهم النص القرآنى والوصول إلى ما يحتويه من أحكام يقول السيوطى :(ولا شك أنَّ علم اللغة من الدين، لأنَّهُ من فروض الكفايات، وبه تعرف معانى ألفاظ القرآن والسنة)"[2]".

أما المنهج الذى ساروا عليه فى دراسة اللغة فيمكن وصفه فيما يعرف بـ(فقه اللغة)"[3]"، فقد درس العرب لغتهم منذ فترة مبكرة تحت مصطلحات عدة : كالنحو، واللغة والعربية.

أما اللغة فكانوا يطلقونها على العلم الذى يختص بجمع الألفاظ اللغوية، ودراستها، وينسب إليه فيقال (لغويٌ)"[4]"وقد أضاف ابن خلدون"[5]" على مصطلح اللغة كلمة (العلم) فسماه (علم اللغة)"[6]".

---

[1] / انظر نشأة (الراوية وتطورها) فى الفصل الثانى من الرسالة.

[2] / المزهر – للسيوطى ٣٠٢/٢.

[3] / فقه اللغة فى الكتب العربية – عبده الراجحى– ص ٣٦ – دط ١٣٩٢هـ–١٩٧٢م – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت.

[4] / وهو العالم الذى يعرف قدراً كبيراً من الفاظ اللغة فقد ميز عبد اللطيف البغدادى اللغوى من النحوى بقوله (إعلم أن للغوى شأنه ان ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه، وأما النحوى : فشأنه أن يتصرف فيما نقله اللغوى ويقيس عليه) المزهر ٣٠/١.

[5] / عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ابوزيد ولى الدين الحضرمى الإشبيلى، الفيلسوف، المؤرخ، العالم الاجتماعى، ولد بتونس سنة ٧٣٢وتوفى بالقاهرة سنة ٨٠٨، أشهر كتبه : الجبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر – ط فى سبع مجلدات أولها المقدمة وهى تعد من أصول علم الاجتماع – الأعلام ٣٣٠/٣.

[6] / مقدمة ابن خلدون – لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون – شرح وتعليق على عبد الواحد وافى ٢٩٣/١، ط٢ ١٩٦٧م – لجنة البيان العربى.

أما مصطلح (النحو، والنحوى) فقد استعمل مبكراً عند العرب، وقد ذكره سيبويه"[1]" فى مواضع كثيرة من كتابه"[2]" وكان مشتملاً على النحو والصرف معاً، بالاضافة إلى موضوعات أخرى من الدرس اللغوى. ثم أطلق على النحو (علم العربية) يقول ابن فارس"[3]" :(وكذلك الحاجة إلى علم العربية فإن الإعراب هو الفارق بين المعانى)"[4]".

وفى القرن الرابع نشهد مصطلحاً جديداً فى علوم العربية هو (فقه اللغة) حين سمى ابن فارس كتابه (الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها).

إضافة الى كتاب الثعالبى (فقه اللغة وسر العربية) وهذه التسمية فى تلك الكتب هى التى أوحت إلى المحدثين استعمال (فقه اللغة) فى مقابل اللغة الأوربية (Philology)"[5]".

أما كتاب (الخصائص) لأبى الفتح عثمان بن جنّى المهدى إلى بهاء الدولة"[6]" الذى قال عنه ابن جنّى :-

(هذا كتاب لم ازل على فارط الحال وتقادم الوقت ملاحظاً له، عاكف الفكر عليه، منجذب الرأى والرؤية إليه واداً أن أجد مهملاً أصله به، او خللاً أرتقه بعمله وإعتقادى فيه أنه من أشرف ما صنف فى علم العرب وأذهبه فى طريق القياس والنظر، وأجمعه لأدلة ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة)"[7]".

---

[1] / هو عمرو بن عثمان بن قنبر، بشر، ويقال ابو الحسن وسيبويه لقبه ومعناه رائحة التفاح، مولى بنى الحارث بن كعب ثم مولى آل الربيع، فارسى الأصل من بيضاء شيراز، نشأ بالبصرة وأخذ عن الخليل ويونس وعيسى بن عمر وغيرهم، ألف (الكتاب) وهو أشهر كتاب فى النحو، توفى بالبيضاء وقبل بشيراز سنة ١٨٠هـ- وقيل بالبصرة سنة ٦١هـ بغية الوعاة ٢/٢٣٠ – البلغة ص ١٧٣.

[2] / الكتاب – سيبويه – تحقيق عبد السلام هارون ٢/٣٦٤.

[3] / أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد، ابو الحسين، كان نحوياً كوفياً توفى بالرى سنة ٣٩٥هـ- ومن كتبه (المجمل فى اللغة) و(وفقة اللغة) و(الاتباع والمزاوجة) – بغية الوعاة ١/٣٥٢.

[4] / الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها- لأبى الحسين احمد بن فارس ابن زكريا- تحقيق : السيد أحمد صقر- ص ٥٥ – دط –دت – مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاؤه.

[5] / فقه اللغة فى الكتب العربية –عبد الراجحى – ص ٤١.

[6] / بهاء الدولة ولى ملك بغداد مع الخضوع للخليفة العباسى سنة ٣٧٩هـ إلى سنة ٤٠٣هـ- مقدمة الخصائص ١/٦٩.

[7] / مقدمة الخصائص ١/١.

فقد أختار له مؤلفه اسم (الخصائص) الذى يمكن أن يكون أقرب إلى القوانين العامة التى تنتظم العربية دون ان يكون المقصود دارسة جزئيات اللغة تفصيلياً على ما نعرف فى أبواب النحو والصرف، وابن جنّى يصرح فى مقدمة الخصائص أنه يتبع فى تأليفه منهج علمى الكلام وأصول الفقه، اى أنه يقصد منه وضع منهج عام لدرس اللغة يشبه منهج الأصول الذى يحدد طرائق الاستنباط الفقهى :(وذلك أنا لم نر أحداً من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه فأما كتاب أصول أبى بكر فلم يلمم فيه بما نحن عليه إلا حرفاً أو حرفين فى أوله، وقد تعلق عليه به، وسنقول فى معناه، على أن أبا الحسن قد كان صنف فى شيئى من المقاييس كتيباً، إذا انت قرنته بكتابنا هذا، علمت بذلك انا نبنا عنه فيه، وكافأناه على لطيف ما أولاناه، من علومه المسوقة الينا...)"[1].

وإن كان المجال هنا يضيق عن الاحاطة بالخصائص فهو كتاب فى ثلاثة أجزاء تضم بين ثناياها اثنين وستين ومائة باب تعرض فيها لجوانب مختلفة من علوم العربية، أظهرها ما يلى :

١/ جوانب تتضمن قضايا عامة فى حياة اللغة ونشأتها وتفرعها إلى لهجات وتطورها، وهذا ما يفعله علماء اللغة المحدثون، إذ يعتبرون هذه المسائل العامة مدخلاً لدراسة اللغة على مستوياتها الصرفية، والنحوية والدلالية، مما يدل على انها مسائل يعترف بها علم اللغة الحديث.

فعرف ابن جنّى اللغة بأنها :(أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)"[2].

فإذا نظرنا الى هذه التعريف نجده يشتمل على أربعة جوانب عرضها علم اللغة فى العصر الحديث وهى:-

١/ أن اللغة أصوات، فقد عرفت حديثاً بأنها :(نظام من الرموز الصوتيه)"[3]" وهذا التحديد للغة بأنها أصوات وإخراج الكتابة من التعريف هو الذى يفسر لنا المنهج العربى فى جمع اللغة واستقرائها عن طريق الرواية والمشافهة.

---

[1] / مقدمة الخصائص ١/٢-٣.

[2] / ١/٣٣.

[3] / فقه اللغة فى الكتب العربية – عبده الراجحى– ص ٦١.

٢/ والجانب الثانى : إشارته إلى وظيفة اللغة بأنها التعبير والتوصيل فى قوله (يعبر بها) والرأى الغالب"[١]" لدى المحدثين هو ان وظيفة اللغة هى :التوصيل داخل المجتمع"[٢]".

٣/ والجانب الثالث : اشارته إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية فى قوله (كل قوم) إذ إنه لم يقل كل انسان أو كل فرد، ومن الواضح أنه يقصد بكلمة (القوم)، (المجتمع) وكون اللغة (بنت المجتمع) إنما هو من القوانين التى يتفق عليها اللغويون المحدثون يقول أحدهم :(فى أحضان المجتمع تكونت اللغة، وجدت اللغة يوم أحس الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم ... فاللغة وهى الواقع الإجتماعى بمعناه الأوفى، تنتج من الاحتكاك الاجتماعى...)"[٣]".

٤/ وكون اللغة أصواتاً يعبر بها كل قوم يقودنا إلى الجانب الأخير من تعريف ابن جنّى باللغة، وهو السؤال عن اى شئ يعبر القوم باللغة؟ وما هو الشئ الذى توصله اللغة داخل المجتمع؟ وهو ما يعبر عنه فى علم اللغة الحديث بالعلاقة بين (اللغة والفكر)"[٤]" وكلام ابن جنّى واضح فى أن اللغة تعبير عن الاغراض أى أنها ليست مجرد أصوات إنسانية، وكلمة أغراض هذه يمكننا ان نفهم منها التفكير بلغة العصر الحديث.

بل إن كلمة الأغراض التى ذكرها ابن جنّى أكثر اتساعاً وشمولاً من كلمة الفكر او التفكير. ومن هنا يمكننا القول أن تعريف ابن جنّى باللغة تعريف قائم على الاتصال باللغة، وليس مأخوذاً من خارجها ويكفى انه تضمن معظم الجوانب التى يتفق عليها اللغويون المحدثون.

ومن الجوانب العامة فى حياة اللغة التى عرض لها ابن جنّى فى خصائصه، قضية شغل بها العلماء منذ القدم – ولا يزالون– وهى قضية نشأة اللغة فعقد باباً فى

---

[١] / وقلت الرأى الغالب لأن هناك إتجاهاً آخر يرفض قصر اللغة على هذه الوظيفة ويضيف إليها وظائف أخرى إلا أنهم جميعاً يتفقون على ان التوصيل هو الوظيفة الأولى – أنظر اللغة والمجتمع/محمود السعران– ص ١٦–٢٤٥– (د ط) ١٩٦٣م – دار المعارف بمصر.

[٢] / فقه اللغة فى الكتب العربية – عبده الراجحى – ص ٦٩.

[٣] / اللغة – فندريس– ترجمة عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص ص ٣٥ – (دط) ١٩٥٠م – مطبعة لجنة البيان العربى – القاهرة.

[٤] / فقه اللغة فى الكتب العربية – عبده الراجحى– ص ٧٣.

الخصائص سماه (القول على أصل اللغة أإلهام هى أم اصطلاح)"[1]" ومن خلال عرضه للنظريتين يتضح لنا انه مع الرأى القائل بأن اللغة تواضع واصطلاح، غير أنه يقدم فى آخر الباب نصّاً يدل على انه لم يتخذ فى الموضوع رأياً بعينه وأنه لا يزال متحيراً بين القولين فيقول :(واعلم فيما بعد إننى على تقادم الوقت، دائم التنقير والبحث عن هذا الموضع ... وإن خطر خاطر فيما بعد يعلق الكف بإحدى الجهتين، ويكفها عن صاحبتها قلنا به)"[2]" غير أنّه يشير فى مواضع أخرى من كتابه إلى ان اللغة من صنع الانسان، ومن ذلك رسمه لصورة المواضعة الأولى :(وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثه فصاعداً، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظاً إذا ذكر عرف به ما مسماه، ليمتاز من غيره وليغنى بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين... فكأنهم جاءوا إلى واحد من بنى آدم فأومأوا إليه وقالوا :إنسان، إنسان، إنسان فاى وقت سمع هذا اللفظ علم أن المراد به هذا الضرب من المخلوق)"[3]".

وفى موضع آخر ذهب إلى أن اللغة نشأت تقليداً لأصوات الطبيعة :(وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوى الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيح الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، وترديب الظبى، ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات من ذلك فيما بعد، وهذا عندى وجه صالح ومذهب متقبل)"[4]". الحق أن ابن جنّى كان معجباً بهذه النظرية، حتى إنه تحدث عنها فى غير موضع من كتابه، وأفرد باباً سماه (باب فى إمساس الالفاظ أشباه المعانى)"[5]".

ويرى بعض علمائنا المحدثين أن هذه النظرية هى أقرب تفسيراً إلى الصواب فيقول أحدهم :(وهذه النظرية هى أدنى نظريات هذه البحث إلى الصحة، وأقربها إلى المعقول، وأكثرها اتفاقاً مع طبيعة الأمور، وسنن النشوء والإرتقاء ، الخاضعة لها الكائنات وظواهر الطبيعة والنظم الاجتماعية...) ويسوق لها العديد من الأدلة التى تؤيدها"[6]".

٠٠٣٣٠٥

---

[1] / الخصائص ١/٤٠.

[2] / السابق ١/٤٧.

[3] / السابق ١/٤٤.

[4] / السابق ١/٤٦-٤٧.

[5] / السابق ٢/١٥٢.

[6] / علم اللغة – على عبد الواحد وافى – ص ٩٦-٩٧ (دط) القاهرة ١٩٦٢م – مكتبة نهضة مصر.

وممن أيدوا هذه النظرية من اللغويين المحدثين إبراهيم أنيس"[1]" عند عرضه لها فى كتابات اللغويين المحدثين وهم يسمونها نظرية الـ(Bow- wow)"[2]" ومع ذلك فإن جمهور علماء اللغة المحدثين يرفضون تفسير نشأة اللغة بأنها تقليد لأصوات الطبيعة"[3]".

ومهما يكن من أمر فإنه تبقى لابن جنّى مساهمته الواضحة فى محاولة تفسير نشأة اللغة، على ضوء نظرية وجدت من يتقبلها فى العصر الحديث بل إنه كان يحس بصعوبة ما ذهب إليه فى هذه النظرية فينبه إلى ذلك بقوله :(فإن أنت رأيت شيئاً من هذا النحو، لا ينقاد لك فيما رسمناه، ولا يتابعك على ما أوردناه، فأحد امرين :إما أن تكون لم تنعم النظر فيه فيقعد بك فكرك عنه أو لأن لهذه اللغة أصولاً وأوائل قد تخفى عنا وتقصر أسبابها دوننا، كما قال سيبويه: أو لأن الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر)"[4]".

وإضافة الى تعريف اللغة ونشأتها عرض ابن جنّى لكثير من الجوانب المتصلة بذلك،منها حديثه عن كيفية اختلاف اللغات وافضلية العربية"[5]" وأشار إلى مبدأ التأثير والتأثر مع اللغات الأخرى. ولم يكتف بذلك بل أشار إلى مظاهر انتقال الكلمات الأجنبية إلى العربية وكيفية هذا الإنتقال فيقول فى الباب الذى عقده بعنوان (باب فى أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب)"[6]".

(إذا قلت طاب الخشكنان فهذا من كلام العرب لأنك بإعرابك إياه قد أدخلته كلام العرب) وضرب فى هذا الباب العديد من الأمثلة لكلمات معربة.

إضافة إلى ذكره أنَّ تأثر العربية باللغات الأجنبية سبباً لتطورها، يضيف أسباباً أخرى لتطور اللغة منها أنَّ اللغة تتطور نتيجة ميل المتكلمين بها إلى ترك ما يستثقل

---

[1] / الدكتور – إبراهيم أنيس ، ولد بالقاهرة سنة ١٣٢٤هـ–١٩٠٦م تخرج فى دار العلوم وحصل على البكالريوس والدكتوراه فى جامعة لندن ١٩٤١م – نال عضوية مجمع اللغة العربية سنة ١٩٦١م توفى سنة ١٣٩٨هـ–١٩٧٨م له عدة مؤلفات فى اللغة – تُتمه الأعلام للزركلى – محمد خير رمضان ١/١١–١٢ ط١ ١٤١٨هـ–١٩٩٨م دار بن حزم – بيروت– لبنان.

[2] / دلالة الالفاظ – إبراهيم أنيس–ص ١٧–١٨– ط٣ ١٩٧٦م – مكتبة الأنجلو المصرية.

[3] / اللغة – فندريس – ص ٣٠–٣١، وفقه اللغة فى الكتب العربية – عبده الراجحى – ص ٩٠–٩٣– ط١ – ١٤١٨هـ–١٩٩٨م – دار ابن حزم بيروت – لبنان.

[4] / الخصائص ١٦٤/٢.

[5] / السابق ٢٤٢/١.

[6] / السابق ٣٥٧/١.

من الكلام إلى ما هو أخف منه فيقول مثلاً (ومنه إسكانهم نحو رَسْل وعَجْز .. واستمرار ذلك فى المضموم والمكسور دون المفتوح أدل دليل – بفصلهم بين الفتحة وأختيها– على ذوقهم الحركات واستثقالهم بعضاً واستخفافهم الآخر).

أما تفرع العربية الى لهجات فقد تناوله ابن جنّى وتحدث عنه حديثاً مستفيضاً وهو ما سيأتى الحديث عنه فى موقفه من اللهجات العربية كأحد مصادر الرواية فى الفصل القادم ان شاء الله.

إضافة إلى تلك المسائل العامة فى حياة اللغة عرض ابن جنى فى الخصائص لمستويات الدرس اللغوى من صوتيه ونحوية وصرفية ودلالية، وليس غرضى فى هذا الموضع دراسة تلك المستويات دراسة تفصيلية وإنما أقصد تصوير الملامح العامة لها للوقوف من خلالها على المنهج العام لكتاب الخصائص.

١/ أمّا الدراسة الصوتية : فقد عرض بشئ من التفصيل لطبيعة الحركات وعقد بابا سماه (فى مطل الحروف)"[١]" وميّز بين الحركات الطويلة والحركات القصيرة فى باب :(مضارعة الحروف للحركات)"[٢]". ويتعرض لما يعرف الآن (بالصوت فى الكلام)؛ وذلك أنّ الأصوات تختلف باختلاف مواقعها فى السياق اللغوى"[٣]" ومن ذلك ما ذكره فى باب (الإدغام الأصغر)"[٤]" حيث بين أوجه التأثير التى يتعرض لها الصوت فى الكلام المتصل. وغير ذلك الكثير من المسائل الصوتيه وسيأتى تفصيلها فى مبحث الأصوات من الفصل الثالث.

أما المستوى الصرفى والنحوى فقد درج علماء العربية على عدم الفصل بين النحو والصرف فصلا قاطعا بل مزجوا بينهما فيما كتبوا حتى إن كتب النحو – منذ سيبويه– تشتمل على النحو والصرف جميعا وذهب إلى ذلك عدد كبير من اللغويين المحدثين"[٥]".

أما ما قدمه ابن جنى فى هذا المجال فإنه يصلح أن يكون أساسا لفهم المنهج العربى فى الدرس الصرفى والنحوى وأكتفى هنا بالاشارة إلى الجوانب الآتية:–

---

[١] / الخصائص ١٢٤/٣.

[٢] / السابق ٣١٥/٢-٣٢١.

[٣] / علم اللغة – محمود السعران – ص ٢٠٥ – (دط) ١٩٦٢م دار المعارف بمصر.

[٤] / الخصائص ١٣٩/٢ – ١٤٥.

[٥] / فقه اللغة فى الكتب العربية – عبده الراجحى– ص ١٤٤.

١/ أنّ ابن جنّى يؤكد المذهب الذى ظهر فى كتاب سيبويه والخالفين من بعده من اعتبار النحو والصرف علماً واحداً وهو ما انتهى إليه الدرس الحديث -كما رأينا- ويتضح ذلك من تعريفه بالنحو حيث يقول (هو انتحاء سمت كلام العرب فى تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنيه والجمع والتحقير، والتكسير، والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها فى الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها، رد به إليها)"[١]".

ومن هذا النص يتضح لنا أن ابن جنّى جمع الصرف والنحو فى علم واحد وذلك واضح من ذكره للجمع والتصغير، والتكسير، والنسب... وهذه أبواب صرفية وحصره للنحو فى (كلام) العرب دليل على إدراكه الواضح، أن النحو مجاله الجملة وذلك واضح من مواضع كثيرة من الكتاب منها ما يقرر فيه (إن الكلام إنما وضع للفائدة والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة وإنما تجنى من الجمل ومدارج القول)"[٢]".

أما المستوى الدلالى فقد عرض ابن جنّى فى الخصائص لموضوعات كثيرة تتصل بدراسة المعنى وعقد لذلك عدة ابواب منها :

(تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمبانى)"[٣]" ، (وقوة اللفظ لقوة المعنى)"[٤]" وغير ذلك.

ولعل أهم موضوع عرض له ابن جنّى مما يتصل بدراسة المعنى هو الذى يطلق عليه المحدثون (سياق الحال) وسيأتى تفصيل ذلك فى الفصل الثالث عند الحديث عن جهوده فى مسيرة المعجم العربى، إذ إن المعنى يمثل الدعامة الثانية لأى عمل معجمى.

ومن هنا بعد هذا التحليل الموجز للمادة اللغوية فى الخصائص يمكننا ان نقرر أن ابن جنّى درس اللغة على أساس المنهج الوصفى، بمعنى انه تناولها – فى الأغلب تناولاً لغوياً مبنياً على وصف الظواهر كما هى، ويتمثل المنهج الوصفى لديه فيما يلى:

١/ أن طريقة جمعه للمادة اللغوية اعتمدت على منهج واقعى واضح، فقد حدد البيئة التى يصح أخذ اللغة عنها فكتب باباً بعنوان :(فى ترك الأخذ عن المدر كما أخذ عن

---

[١] / الخصائص ٣٤/١.

[٢] / السابق ٣٣١/٢.

[٣] / السابق ١١٣/٢.

[٤] / السابق ٢٦٤/٣.

أهل الوبر)"[1]" قال فيه :(علة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل، ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم، ولم يعترض شئ من الفساد للغتهم، لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن اهل الوبر)"[2]".

ومعنى ذلك أن ابن جنى يجعل المقياس الضرورى صحة المصدر اللغوى، وذلك بالبعد عن المؤثرات الخارجية ومما يؤكد أنه اعتمد فى جمع مادته على المصدر البشرى الذى يمثل اللغة تمثيلا صحيحا ما يرويه عن لقاءاته مع الأعراب الفصحاء وأخذه اللغة عنهم كما سيتضح لنا من مصادره اللغوية فى الفصل الثانى إن شاء الله.

٢/ والسمة الثانية من سمات المنهج الوصفى أنه بعد جمعه للغة من بيئتها المحددة ومن مصادرها البشرية، صنف مادته اللغوية على أساس وصفى تقريرى يظهر بوضوح فيما قدمه ابن جنى من وصف للاصوات.

٣/ أنه مع هذا المنهج التقريرى لم يخلّ منهجه من تعليل الظواهر اللغوية متأثرا فيه بتعليل الفقهاء والمتكلمين تأثرا لا يخرج – فى أغلبه– عن التعليل اللغوى. إذ إنه كان يعمد إلى الربط بين الظواهر فى سياق لغوى واحد ومن أظهر الدلائل على ذلك ما فصَّل فيه من حديثه عن :(الاستثقال والاستخفاف) محاولا تحليل الظواهر اللغوية بالرجوع إليه، مؤكدا على قضية فى غاية الأهمية بالنسبة للمنهج الوصفى وهى أنَّ اللغة مادة طبيعية يلجأ فيها إلى الحسِّ والطبع لا العقل أو الفلسفة او المنطق، فيقول :(اعلم أنَّ علل النحويين – وأعنى بذلك حذّاقهم المتقنين، لا الغافهم المستضعفين أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين وذلك أنهم إنما يحيلون على الحسِّ، ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس. ويقول (ولست تجد شيئا مما علل به القوم وجوه الإعراب إلا والنفس تقبله، والحس منطوٍ على الاعتراف به... فجميع علل النحو إذن مواطئة للطباع، وعلل الفقه لا ينقاد جميعها هذا الانقياد)"[3]".

وهكذا فى مواضع كثيرة من الكتاب، لا تجد تعليله مبيّنا على أساس فلسفى أو منطقى، وإنما هو يصدر عن اتصال بالحقائق اللغوية، أى عن طبيعة اللغة ومادتها.

---

[1] / الخصائص ٢/٥-١٠.

[2] / السابق ٢/٥.

٣ / السابق ١/٤٨ وما بعدها.

٤/ أن دراسته للغة لم تقتصر على (مستوىً واحد، وإنما شملت جميع مستويات اللغة- وهذا ما يدعو اليه المنهج الحديث"[١]" فدرس فى الخصائص : الأصوات ، والصرف، والنحو، والدلالة وتناولها تناولاً وصفياً على ما سيظهر لنا من وصفه للأصوات المفردة والصوت فى الكلام بل الإحساس بعائلة الصوت الواحد، وعلى ما ظهر من فهمه للنحو بأنَّهَ دراسة الجملة ثم ما ظهر من دراسته على المستوى الدلالى، سواء كان على مستوى المعجم أو مستوى المعنى عموماً وخاصة إدراكه الواضع لما يعرف (بسياق الحال) كما سيتضح لنا فى موضعه.

فالمنهج إذن -فى معظمه- منهج لغوى وصفى خارج عن طبيعة اللغة ومادتها، جدير بالبحث والاهتمام من قبل العلماء والباحثين المحدثين.

---

[١] / فقه اللغة فى الكتب العربية – عبده الراجحى- ص ١٨٣.

الفصل الثاني

الرِّوايةُ عِندَ ابنِ جِنّي

المبحث الأول :-
نشأة الرواية وتطورها ومصادرها :-

قبل الحديث عن موقف ابن جنّى من الرواية اللغوية ومصادرها المختلفة، ومنهجه فى هذا العلم، لابد من الوقوف على نشأتها وتطورها قبل ابن جنّى، ثم مصادرها المختلفة التى اعتمد عليها علماء العربية فى تقعيد القواعد اللغوية. سأتناول ذلك من خلال هذا المبحث فى ثلاث نقاط:-

١/ جمع اللغة.
٢/ عصور الاحتجاج.
٣/ مصادر الرواية.

اولاً :-
جمع اللغة :-

لابُدَّ أن تتوافر دواعٍ معينةٌ لكي تنشأ دراسة من الدراسات، تكون متصلة بالبيئة الثقافية والاجتماعية والجغرافية وغيرها، وهذا يصدق تماماً على الدراسات اللغوية عند العرب فقد توافرت لها الكثير من الدواعي التى أصبحت تمثل التربة الخصبة، لإنبات الدرس اللغوى، كاختلاف اللهجات العربية، والثروة الضخمة من التراث العربى المتمثلة فى القرآن الكريم والشعر الجاهلى، وما كان عليه ولاة الأمر والدارسون من استعداد نفسى وعقلى.

وللحديث عن رواية اللغة وكيف نشأت وتطورت لابد من الوقوف على الرواية الأدبية، إذ كانت تمثل الأوعية التى حملت مفردات اللغة وتراكيبها، حتى أنَّ معارف العرب فى الجاهلية تكاد تكون مقتصرة على الشعر وحفظه والخطب والأمثال وروايتهما.

والرواية فى أصلها اللغوى هى :-

(الاستقاء والإتيان بالماء، ويقال رويتُ على أهلى ولأهلى ريَةً، ورويت القوم أرويهم إذا استقيت لهم، والرواية المزادة فيها الماء ، ويسمى البعير راوية لحمله المزادة، والجمع روايا"[1]".

ثم تطورت اللفظة وأطلقت على سراة القوم وسادتهم، فهم الراويا، واحدهم راوية لحملهم الديات على الحى بالبعير الراوية، ثم دخلت الرواية ميدان النقل الشفوى، فيقال : روى الحديث والشعر بمعنى حمله ونقله"[2]".

والرواية بالمعنى الاصطلاحى هى :-

(عملية جمع المادة اللغوية من أفواه العرب الفصحاء، بالذهاب إليهم فى بواديهم أو بلقيهم فى الحواضر، ثم نقل ذلك للدارسين من الطلاب)"[3]".

فاذا سمع الراوى المادة اللغوية عن الناطقين بها بنفسه مباشرة يمكن أن يطلق على الرواية سماعاً، لأنَّ السماع هو :(الأخذ المباشر للمادة اللغوية عن الناطقين بها)"[4]" فالرواية عامة والسماع خاص. وعلى هذا فان رواية الشعر وحفظه وراوية أخبار العرب وأيامهم فى الجاهلية، ليست مما تعنيه الرواية اللغوية اصطلاحاً، لكنها كانت تمثل الجذور الأولى لنضج الراوية اللغوية، فكانت عكاظ"[5]" أشهر اسواق العرب فى الجاهلية يجتمع فيها الفحول من الشعراء، كلٌ ينازع الآخر التفوق والغلبة، ثم يكون الإنشاد والاحتكام، ثم ياتى إصدار الأحكام التى قد تجر وراءها مادة جديدة"[6]" وعند مجيئ الإسلام استطاع العرب أن يجدوا فى القرآن الكريم ما يشبع نزواعهم الفنى لكنَّه لم يصرفهم عن الرغبة فى قول الشعر وروايته، خاصة أنَّ الإسلام لم يمنعهم منه،

---

[1] / اللسان – مادة (روى).

[2] / تاج العروس / للسيد مرتضى الزبيدى مادة روى – د.ط.ت – دار ليبيا للنشر والتوزيع – بنغازى.

[3] / الدراسات اللغوية عند العرب – الى نهاية القرن الثالث – محمد حسين آل يسن ص ٦٥- ط١ ١٤٠٠هـ-١٩٨٠- دار مكتبة الحياة- بيروت – لبنان.

[4] /إنباه الرواة على أنباه النحاة – للقفطى – ٢٥٨/٢.

[5] / عكاظ : قيل انها سميت بذلك اشتقاقاً من المعاكظة وهى المفاخرة والغلبة اللسان مادة (عكظ)

[6] / العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده – لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد ص ٩٨-ط٤ – ١٩٧٢م – دار الجيل بيروت – لبنان.

يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنَّه قال :(إنَّ من الشعر لحكمة)"[1]" وكان عمر بن الخطاب يسمع الشعر ويتذوقه، يروى عنه أنَّه قال :(الشعر جزل من كلام العرب، يسكن به الغيظ، وتُطفأ به الثائرة ، ويُتبلَّغ به القوم فى ناديهم ويُعطى به السائل)"[2]" . وكان على رضى الله عنه يطرب لسماع الشعر ويثيب عليه وكانت عائشة -رضوان الله عليها- توصى برواية الشعر وتقول :(رووا أولادكم الشعر تعذب السنتهم)"[3]" كما رأينا كانت للشعر مكانة فى الجاهلية وصدر الإسلام. حتى بعد أن بدأت تعقد حلقات العلم ومجالسه لتبصرة الناس بأصول الإسلام فقد نشأت الرواية أول ما نشأت فى هذه المجالس على أيدى القراء والمفسرين لخدمة النص القرآنى، وساعدت الفتوحات الإسلامية وما تبعها من حضارة فى انتشار اللغة وسعتها، فبدأ العرب يختلطون بالاعاجم الذين دخلوا الإسلام فى البيوت والأسواق والمساجد، فدخل اللحن فى لسان العرب"[4]"، مما أقلق أولى الأمر والنظر فحذروا منه واستهجنوه وسعوا إلى مقاومته، يروى أن رجلاً لحن فى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم فقال :(أرشدوا أخاكم فقد ضل)"[5]" وروى أن كاتباً لأبى موسى الأشعرى"[6]" كتب إلى عمر -رضى الله عنه- (من أبو موسى) فكتب عمر إلى أبى موسى :(أن قنع كاتبك سوطاً)"[7]" وسرى هذا اللحن إلى البادية، وقد قيل :إن أوَّل لحن سمع بالبادية (هذه عصاتى)"[8]". ثم تسرَّب اللَّحن إلى التلاوة فى القرآن، فبدأت عناية المسلمين به تفسيراً وجمعاً وضبطاً ودراسة. وتنسب أوَّل محاولة لصون اللسان العربى من اللحن إلى على بن أبى طالب -كرم الله وجهه-

---

[1] / العقد الفريد – لأبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسى، شرح وتصحيح أحمد أمين وآخرون- ٢٧٤/٥- ط٣ – ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة.

[2] / العقد الفريد ٢٨١/٥.

[3] / السابق ٢٨١/٥ العمدة – ابن رشيق ص ٩٨.

[4] / ضحى الإسلام – أحمد أمين ٢٥٠/٢-٢٥١ – ط١٠ ١٤٤٣هـ-١٩٣٥م دار الكتاب العربى بيروت- لبنان.

[5] / الخصائص ٨/٢.

[6] / هو عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعرى، أصله من اليمن غادرها إلى مكة عندما سمع بظهور الرسول صلى الله عليه وسلم، وتلقى عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعاد الى بلاده يدعو الناس للاسلام، وهو مقاتل وفقيه، ولاه الرسول أمر اليمن وولاه عمر بن الخطاب البصرة وولاه عثمان الكوفة، رجال حول الرسول – خالد محمد خالد ص ٣٧٣ ط الممتازة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م – دار الكتب الحديثة القاهرة.

[7] / الخصائص ٨/٢.

[8] / ضحى الإسلام – احمد أمين ٢٩٤/١ وما بعدها.

وروى عن أبى الأسود"[1]" أنه قال :(دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب –عليه السلام– فأخرج لى رقعة فيها (الكلام كله اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى) قال: فقلت: ما دعاك إلى هذا؟ قال رأيت فساداً فى كلام بعض أهلى، فاحببت ان أرسم رسماً يعرف به الصواب من الخطأ. فأخذ أبو الأسود النحو عن على –عليه السلام– ولم يظهره لأحد. ثم إن زياداً"[2]" سمع بشئ مما عند أبى الأسود، ورأى اللحن قد فشا؛ فقال لأبى الأسود أظهر ما عندك ليكون للناس إماماً، فامتنع من ذلك وسأله الاعفاء، حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ:(**أَنَ اللهَ بَرِئٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُه**)"[3]" بالكسر فقال : ما ظننت أمر الناس آل إلى هذا، فرجع الى زياد وطلب منه كاتباً...)"[4]" ووضع معه علامات الإعراب، فكان أوّل ما وضع من النحو لهذا السبب، وسمى هذا العمل برسم العربية.

ثم برزت للمسلمين مشكلة جديدة –خاصة من غير العرب– ألا وهى مشكلة الحروف المتشابهة فى الرسم. فتصدى لها الحجاج بن يوسف"[5]" وكان والياً على العراق – فطلب من كتابه ان يضعوا لهذه الحروف المتشابهة علامات، ويقال : إن نصر بن عاصم"[6]" قام بذلك فوضع النقط وسمى نقط الاعجام"[7]" وبرسم العربية ونقط الإعجام استطاع المسلمون أن يحصنوا القرآن الكريم بحصن منيع من اللحن الخطأ.

---

[1] / هو ظالم بن عمرو بن سفيان قيل له الدؤلى والدئلى من الدئل كان رجل أهل البصرة، وكان علوى الرأى، مات سنة ٦٩هـ– انباه الراوة بغية الوعاة ٢/٢٢-٢٣.

[2] / هو زياد بن أبى سفيان بن حرب ابن أمية، زياد بن أبيه، ولى البصرة لمعاوية وضم إليه الكوفة، كان كاتباً لأبى موسى الأشعرى الطبقات الكبير – لمحمد بن سعد كاتب الواقدى، تحقيق : ادوار سخو ٧/٧٠-دط ١٢٣٨هـ– منشورات مؤسسة النصر– طهران.

[3] / سورة التوبة آية رقم (٣).

[4] / إنباه الرواة – القفطى – ١/٥.

[5] / هو الحجاج بن يوسف الثقفى، ولد سنة ٤٠هـ، عامل من أشهر عمال بنى أمية، ويعتبر أميراً من أمراء المنابر، قاتل عبد الله بن الزبير وهزمه، فولاه الخليفة عبد الملك على العراق، وطّد دعائم الدولة الأموية بكثير من القسوة، وعنى باصلاح نظام الرى– أعلام المورد – موسوعة تراجم مستقاة من موسوعة المورد – لمنير البعلبكى، اعداد ، رمزى البعلبكى ص١٧٠ ط١ ١٩٩٢م دار العلم للملايين – بيروت لبنان.

[6] / نصر بن عاصم بن أبى سعيد الليثى، المقرئى النحوى، البصرى، أخذ القراءات عن أبى الأسود واللغة عن يحيى بن يعمر، توفى سنة ٩٠هـ– بالبصرة – البلغة فى تاريخ أئمة اللغة ص ٣٧٣.

[7] / شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف – لأبى احمد عبد الله ابن سعيد العسكرى – تحقيق : عبد العزيز أحمد – ص ١٣-ط١ ١٣٨٣هـ ١٩٩٣م مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر.

وهكذا نلاحظ أنَّ المحاولات الأولى لنشأة الدرس اللغوى كانت مرتبطة بـــالدين والعقيدة، وهذا ليس فى العربية وحدها؛ بل نجده فى لغات مختلفة من العـــالم فالـــهنود بدأوا بحثهم اللغوى لخدمة نصوصهم المقدسة، وعند الصينيين كانت دراسة النصـــوص الدينية سبباً فى نشأة المعاجم... وغيرها من اللغات"[١]. فلما جاءت الدعـــوة الإســـلامية بالكتاب الكريم، إحتاج المسلمون إلى تفسيره تفسيراً لغوياً، فاستعانوا بالآثـــار الأدبيـــة، فكانوا يستشهدون بالشعر فى تفسير ألفاظ القرآن الكريم"[٢].

فبدأ العلماء فى رواية اللغة كبدئهم فى رواية الحديث فاعتبروا من اللغة متواتراً وآحاداً ومرسلاً، وكانوا يذكرون السند كما يفعل أهل الحديث، غير أنهم لم يستمســـكوا بذلك طويلاً كما استمسك المحدثون، فلم يكن لنا معجم لغة مسند كمسند الحديث لاتســـاع اللغة. ومما اتبع فيه علماء اللغة منهج أهل الحديث، أنهم قد رتبوا درجة الأخذ والتحمل فقالوا :(أملى علينا) أرفع من (سمعت)، و(سمعت) أعلى من (حدثنى)، و (حدثنى) خير من (أخبرنى) وكذلك رتبوا ما ورد فى اللغة ترتيب أهل الحديث، فقالوا فصيح وأفصح، وضعيف، ومنكر ومتروك، وكذلك اتبعوا تجريح الرجال، وتعديلهم، فعدلوا الخليـــل"[٣]" وأبا عمرو"[٤]" وجرحوا قطرباً"[٥]" ولكن لم يبلغوا فى ذلك مبلغ المحدثين"[٦]".

وهكذا نشأ الدرس اللغوى مختلطاً متداخلاً فى غيره من الدارسات بهدف خدمـــة النص القرآنى، فاتجه العلماء –وجلهم من القراء– إلى اللغة يجمعونها، وذهبوا فى ذلـك

---

[١] / البحث اللغوى عند العرب – أحمد مختار عمر – ص ٧٦ ط: ٦ – ١٩٨٨م – عالم الكتب – القاهرة.

[٢] / الجامع لأحكام القرآن – لمحمد بن أحمد القرطبى ٢٤/١ ط: ١٩٦٧/٣م – القاهرة.

[٣] / الخليل بن أحمد بن عمرو أبو عبد الرحمن الفراهيدى البصرى، صاحب العربية والعروض، كان الغايـــة فى استخراج مسائل النحو والقياس فيه، ولد سنة ١٠٠هـ– والفراهيدى نسبة الى فراهيد بن مالك ... وهـــو أول من جمع حروف المعجم فى بيت واحد، وهو استاذ سيبويه، وله كتاب العين لضبط اللغة ، والعـــروض، والشواهد وغيرها توفى سنة ١٧٥هـ– بغية الوعاة ٥٥٧/١–٥٥٩ وانباه الرواة ٢٤١/١.

[٤] / ابو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله المازنى، النحوى المقرئ أحد القراء السبعة المشهورين، اختلف فى اسمه وقيل اسمه زبان وقيل اسمه كنيته، وغير ذلك، كان إمام اهل البصرة فى القراءات والنحو واللغـــة ، مات سنة ١٥٤هـ– وقيل ١٥٩هـ الفهرست لابن النديم ص ٤٦ – بغية الوعاة ٢٣١/٢.

[٥] / هو محمد بن المستنير أبو على، النحوى المعروف بقطرب، لازم سيبويه، والقطرب : دويبه تدب لا تفتر، لقبه سيبويه بذلك، أخذ عن عيسى بن عمر وأخذ عن النظام مذهب المعتزلة، ولم يكن ثقة فى اللغة، وله مـــن التصانيف : المثلث، والنوادر، الصفات، واعراب القرآن ومجاز القرآن وغيرها – توفى سنة ٢٠٦هـ بغيـــة الوعاة ٢٤٢/١–٢٤٣ والفهرست ص ٧٥–٧٦.

[٦] / ضحى الاسلام ٢٥٨/٢.

مذاهب مختلفة، فبدأوا بالاعتناء بالغريب، يحصلون غامضة بتدوين الكلمات الغامضة وتفسير معانيها، فألفوا فى غريب القرآن وغريب الحديث كتباً استهدفت جمع اللغة، ولا نجزم أنَّ الغريب كان أوّل المدونات"[1]" وقد اتفق العلماء على أن جمع اللغة قد سار فى مراحل ثلاث:

المرحلة الاولى :-

تمثلها رحلة اللغويين إلى البادية وسماعهم من العرب، أو السماع من الأعراب الفصحاء الذين يفدون إلى الحواضر وكان الجمع فى هذه المرحلة يتم دون تصنيف أو تقسيم للكلمات (فالعالم يسمع كلمةً فى المطر، ويسمع كلمةً فى السيف وأخرى فى الزرع والنبات، فيدون ذلك كله ، حسبما سمع من غير ترتيب، إلا ترتيب السماع)"[2]".

المرحلة الثانية :-

هى جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد فى موضع واحد دعاهم إلى هذا أنهم رأوا كلمات متقاربة المعنى فأرادوا تحديد معانيها بجمعها فى موضع واحد، مثال ذلك ما روى عن الأصمعى"[3]" :(من أصوات الخيل : الشخير والنخير والكرير، فالأول من الفم، والثانى من المنخرين، والثالث من الصدر)"[4]" وتوجت هذه المرحلة بكتب تؤلف فى الموضوع الواحد، فألف أبو زيد"[5]" كتاباً فى المطر وألف الأصمعى كتاباً فى النخل

---

[1] / رواية اللغة – عبد الحميد الشلقانى– ص ١٠٢ – د(ط ت)– دار المعارف القاهرة.

[2] / ضحى الاسلام – أحمد أمين ٢٦٤/٢.

[3] / هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن على بن أصمع أبو سعيد الأصمعى البصرى اللغوى، أحد أئمة اللغة والغريب وكان من أهل السنة، ولا يفتى إلا فيما أجمع عليه علماء اللغة ولا يجيز إلا أفصح اللغات، صنف : غريب القرآن ، وكتاب الصفات والهمز والمقصور والممدود وغيرها، مات سنة ٢١٦هـ– بغية الوعاة ١١٢/٢-١١٣.

[4] / ضحى الإسلام – أحمد أمين ٢٦٤/٢ – رواية اللغة – عبد الحميد الشلقانى ص ١٠٢.

[5] / هو سعيد بن أوس بن ثابت أبوزيد الأنصارى الإمام المشهور كان إماماً نحوياً، غلبت عليه اللغة، والنوادر والغريب، روى عن أبى عمرو بن العلاء، ورؤبة بن العجاج، وروى له أبو داؤد والترمذى، ومن تصانفيه : لغات القرآن ، خلق الانسان، اللغات، المطر، والنوادر وغيرها توفى سنة ٢١٥هـ– وقيل ٢١٤ وقيل ٢١٦ بالبصرة – بغية الوعاة ٥٨٢/١-٥٨٣.

والكرم، وأشهر ما كتب فى هذه المرحلة الكتب التى ألفت فى الأضداد"[1]" وقد جمعت فيها الألفاظ ، التى يستعمل كل منها للدلالة على الشئ وضده"[2]".

المرحلة الثالثة:-

هى مرحلة وضع معجم شامل يشمل كل الكلمات العربية، وأول من فكر فى ذلك هو الخليل بن أحمد فى كتابه (العين) فحاول حصر جميع الكلمات عن طريق نظام التقليبات للأصول، مبيناً منها المهمل والمستعمل، مرتباً لها على حسب أوائلها، متبعاً مخارج الحروف بدءاً بحروف الحلق ثم ما بعدها، وبدأ من حروف الحلق بالعين معللاً بقوله :(لم أبدأ بالهمزة لأنه يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فنزلت إلى الحيز الثانى، وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين)"[3]" واستمر مؤلفو المعاجم من بعده يسيرون على نمطه حتى أتى الجوهرى"[4]" فى القرن الرابع، فاخترع النمط الذى جرى عليه فيما بعد القاموس ولسان العرب وغيرهما.

وكما وضعوا معاجم للألفاظ وضعوا معاجم للمعانى؛ (وذلك بإيراد الألفاظ الخاصة بالموضوع المعقود له الباب، والاستشهاد لكل منها أو لبعضها بإيراد النصوص الخاصة بالباب واستخراج الألفاظ منها وشرحها، وأول معجمات المعانى :

---

[1] / وأشهر ما طبع منها كتاب (الأضداد لابن الأنبارى.

[2] / ومن خير الأمثلة على كتب جمع اللغة فى هذه المرحلة ما نشر فى مجموعة البلغة فى شذور اللغة، ضحى الإسلام أحمد أمين ٢٦٥/٢.

[3] / العين : للخليل بن أحمد – تحقيق مهدى المخزومى وإبراهيم السامرائى ١٧/١ سلسلة المعاجم والفهارس – دار مكتبة الهلال.

[4] / هو اسماعيل بن حماد الجوهرى، الإمام ابو نصر الفارابى، أصله من فاراب من بلاد الترك، وكان إماماً فى اللغة والأدب، وخطه يضرب به المثل، من فرسان الكلام والأصول، قرأ على أبى على الفارسى والسيرافى بالعراق، وصنف كتاباً فى العروض ومقدمةً فى النحو، والصحاح فى اللغة ، وقيل : مات فى حدود الأربعمائة – بغية الوعاة ٤٤٦/١.

الصفات لأبى خيرة الأعرابى"[1]" يليه (غريب المصنف) للقاسم بن معن الكوفى"[2]" و (الصفات) للنضر بن شميل"[3]" وغيرهم"[4]".

هكذا انطلق اللغويون إلى جمع اللغة للحفاظ على الصورة المثلى للغتهم، التى ما قبلوا لها أن تتعرض للحن والتحريف، إضافة إلى أنها أصبحت لغة للدين الجديد مما جعل الحفاظ عليها واجباً دينياً.

ثانياً : عصور الاحتجاج :-

فى سبيل أن يتحقق للعلماء ذلك المستوى المطرد من العربية الفصحى، وضعوا حدوداً معينة لأخذ اللغة، غدت تعرف فيما بعد بـ (قواعد الاحتجاج).

والاحتجاج هنا هو :(إثبات صحة قاعدة او استعمال أو تركيب، بدليل نقلى، صح سنده إلى عربى فصيح سليم السليقة)"[5]".

لو تتبعنا تلك الحدود والقواعد التى نص عليها اللغويون فسنجد أن المعيار الذى اعتمد أساساً لها هو مسألة اختلاط العرب بالأعاجم وأثره فى السليقة اللغوية. فوضعوا حدوداً للزمان والمكان اللذين أعتمدا أساساً فى جمع اللغة والاحتجاج لها :

أما المكان ، فقد حدده العلماء للقبائل العربية بحسب قربها أو بعدها من الأعاجم، فكان الإعتماد على كلام القبائل التى فى قلب الجزيرة أكثر من القبائل التى على

---

[1] / هو نهشل بن زيد أبو خيرة الأعرابى البصرى، بدوى من بنى عدى، دخل الحضرة، وصنف كتاب الحشرات، معجم الادباء ٢٤٣/١٩، بغية الوعاة ٣١٧/٢.

[2] / هو القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الصحابى كان من علماء الكوفة بالعربية واللغة والفقه والحديث والشعر والأخبار كان حنفياً ولى قضاء الكوفة، وكان من الأثبات فى النقل واللغة وصنف : النوادر فى اللغة، وغريب المصنف، وكتباً فى النحو، وله فيه مذهب متروك توفى سنة ١٧٥هـ وقيل ١٨٨هـ- بغية الوعاة ٢٦٣/٢.

[3] / هو النضر بن شميل بن خرشه بن كلثوم بن زهير بن السكب الشاعر البصرى الأصل، أبو الحسن، أخذ عن الخليل والعرب، أقام بالبادية أربعين سنة، وكان أحد الأعلام ، وهو اول من أظهر السنة بمرو وخراسان صنف : غريب الحديث، الجيم الأنواء ، والصفات، وغيرها، مات سنة ٢٠٣هـ وقيل ٢٠٤هـ- بغية الوعاة ٣١٧/٢.

[4] / الدراسات اللغوية عند العرب – محمد حسين آل يسن – ص ٢٢٨.

[5] / فى أصول النحو – سعيد الأفغانى – ص ٦ – ط٣ – ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م – مطبعة جامعة دمشق.

السواحل أو فى جوار الأعاجم ويقول الفارابى"[1]" :(والذين عنهم نقلت العربية وبهم أقتدى، وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب هم : قيس، وتميم، وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم أتكل فى الغريب، وفى الإعراب والتصريف، ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضرى قط، ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم التى تجاور سائر الأمم الذين حولهم)"[2]" وذكر القبائل التى لم يؤخذ عنها، وعلل لذلك بقوله :(لأنهم قد خالطوا غيرهم من الأمم ، وفسدت السنتهم)"[3]".

وكثيراً ما كان سيبويه يشير الى تشدده فى الأخذ عن عرب البادية أو العرب الفصحاء، فيقول :(هذا عن العرب الذين ترضى عربيتهم) أو (العرب الموثوق بهم)"[4]" فكان هذا التشدد من العلماء فى أخذ اللغة لمنع الدخيل من التسرب إلى العربية. وهم فى الوقت نفسه لم يرفضوا كلام القبائل التى لم تعتمد فى نقل العربية رفضاً قاطعاً ولم يخطئوا تلك القبائل، بل سموا ما خالفهم لغات أى لهجات على ما سنرى فى موقف ابن جنّى من اللهجات إن شاء الله.

أما الزمان : فقد حدده العلماء ابتداء مما عرف من عهد الجاهلية القريب من الإسلام بنحو قرنين من الزمان وانتهاء بالقرن الثانى الهجرى فى الحواضر، والقرن الرابع الهجرى فى البوادى"[5]".

وبناء على ذلك قسم الشعراء إلى أربع طبقات :

١/ الجاهليون الذين لم يدركوا الإسلام.

٢/ المخضرمون : الذين أدركوا الجاهلية والإسلام.

٣/ الإسلاميون : الذين لم يدركوا من الجاهلية شيئاً.

---

[1] / هو محمد بن محمد أبو نصر الفارابى ، ولد سنة ٢٦٤ه فيلسوف عربى، حاول التوفيق بين الشريعة الإسلامية والفسلفة اليونانية ، تأثر به ابن سينا، وابن رشد، لقب بالمعلم الثانى بعد ارسطو، من أشهر آثاره :(آراء أهل المدينة الفاضلة) أعلام المورد ص ٣١٠.

[2] / الإقتراح فى علم اصول النحو – للشيخ عبد الرحمن جلال الدين السيوطى ص ٢٢-٢٣ – (دط) ١٣١٠هـ-حيدر آباد.

[3] / السابق ص ٢٣.

[4] / الكتاب – سيبويه – ٤٧٧/١ ، ٥٢/٢، ٤٢٣-ط١٣١٦هـ.

[5] / مدخل إلى فقه اللغة العربية – أحمد محمد قدور – ص٧٥ – ط١ ١٤١٣هـ-١٩٩٣م – دار الفكر المعاصر – بيروت لبنان.

٤/ المحدثون : أو المولدون الذين جاءوا بعد الإسلام.

وقد كان الإحتجاج بالجاهليين والمخضرمين واسعاً دون خلاف أما الإسلاميون فقد احتج بهم الكثيرون، وإن أعرض بعض اللغويين عنهم وتجرءوا على تخطئتهم. على حين أنَّ الاجماع ينعقد على عدم الإحتجاج بكلام المولدين. وقد دعا الزمخشرى"[١]" إلى استثناء أئمة العربية من ذلك. وإن كانوا محدثين – لأن الوثوق بكلامهم كالوثوق برواياتهم"[٢]".

مهما يكن من امر فإن القرن الثانى الهجرى، جعل حداً لنهاية الاحتجاج بأهل الحواضر عموماً، على حين استمر الأخذ عن أهل البوادى حتى القرن الرابع الهجرى، على أن ذلك لا يمنع من وجود بعض البيئات المنعزلة التى تتردد فيها اللغة الفصيحة.

ويرى أحد الباحثين المحدثين أن هذا التشدد فى مقياس الفصاحة كانت له نتائج حسنة؛ إذ حفظ للعربية خصائصها بين أخواتها الساميات فحافظت على ظاهرة الإعراب، ومناسبة حروفها لمعانيها، وتنوع حروفها وغنى مفرداتها بالاشتراك والتضاد واستعدادها الذاتى للنحت والتوليد والتعريب"[٣]".

ثالثاً : مصادر الرواية :-

لا شك أن أساس القياس اللغوى، هو النموذج الذى يقاس عليه، وهو فى اللغة العربية (التراث العربى)؛ وهو ما أثر عن العرب من نصوص تتجلى منها استعمالاتهم لألفاظ اللغة وتركيب جملها، وهو ما اعتمده اللغويون فى الدرس اللغوى وقد تباينت مواقفهم من التراث العربى من مصدر لآخر.

ومن الممكن حصر المصادر التى استقى منها اللغويون مادتهم فيما يأتى :

* القرآن الكريم.
* الحديث النبوى الشريف.
* الشعر العربى.
* الكلام المنثور ولهجات القبائل.

---

[١] / هو محمود بن عمر بن أحمد ، ابو القاسم جار الله الزمخشرى ، ولد سنة ٤٦٧هـ، من أئمة العلم بالتفسير والدين واللغة والأدب – توفى سنة ٥٣٨هـ– ومن أشهر كتبه : الكشاف – أسرار البلاغة– المفصل – بغية الوعاة ٢/٢٧٩-٢٨٠.

[٢] / الاقتراح – للسيوطى ص ٣٢.

[٣] / دراسات فى فقه اللغة – صبحى الصالح – ص ١١٥ – ط٣ ١٣٨٨هـ-١٩٦٠م – بيروت.

وسأحاول فيما يأتى تلخيص مواقف اللغويين من كل مصدر منها :

أولاً :-

القرآن الكريم :-

اعتبره اللغويون جميعاً أعلى الشواهد مرتبة لأنه أفصح الكلام، وأبلغ التعبير، لما ضمه من الكلام المبين المعجز إضافة لما أحيط به من عناية ودقة فى الأداء والضبط وقد جرى عرف العلماء على الإحتجاج برواياته جميعاً. يقول البغدادى"[1]" (كلامه عزَّ اسمه، أفصح كلام وابلغه ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه)"[2]" بل إنَّ القراءة الشاذة التى منع القراء قراءتها فى التلاوة يحتج بها فى اللغة والنحو؛ (لأنها أقوى سنداً من كل ما احتج به العلماء من الكلام العربى)"[3]".

فكان من حظ العربية الذى تفوقت به على سائر اللغات أن خصها الله سبحانه بنزول القرآن بها فكان سجلاً لكل ظواهر فصحاها لم يطرأ عليه تغيير او تبديل على مر الزمان، بل كانت ألفاظه مادة كبيرة من مواد اللغة، اجتهد العلماء فى تحديد معانيها، فحاولوا أن يجمعوا حول كل لفظة ما يتصل بها ويبين اشتقاقها، وما تفرع من مادتها، لذلك يضعه اللغويون فى مقدمة المصادر التى يتم بها توثيق اللغة"[4]".

لكن! وعلى الرغم من ذلك، فإن بعض النحاة واللغويين المتأخرين"[5]" لم يتحرجوا من الطعن فى بعض القراءات واتهام القراء بجهل العربية"[6]" والحق أن هذا الموقف يمثل مظهراً من مظاهر التشدد فى تحكيم القياس فى الكلام المسموع، وقد قوبل بالهجوم

---

[1] / عبد القادر بن عمر البغدادى، لغوى وأديب عربى، مولده سنة ١٠٣٠هـ- ببغداد وتوفى بالقاهرة سنة ١٠٩٣هـ، من أشهر آثاره : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب وهو شرح لشواهد الكافية للرضى ضمنه شذرات وتراجم – أعلام المورد ص ١٠٧.

[2] / خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب – لعبد القادر بن عمر البغدادى ٤/١.

[3] / أصول النحو – الأفغانى- ص ٢٩، والاقتراح – للسيوطى ص ١٧، مدخل إلى فقه اللغة العربية- أحمد محمد قدور ص ٧٧.

[4] / دراسات لغوية – القياس فى الفصحى- الدخيل فى العامية- لعبد الصبور شاهين – ص ٥٧ –ط٢ – ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

[5] / وقلت المتأخرين ؛ لأن الطبقة الاولى من اللغويين طبقة قراء أمثال : عبد الله بن اسحق، وعيسى بن عمر ، وأبى عمرو بن العلا (وغيرهم).

[6] / الإقتراح – للسيوطى – ص ١٧-١٨.

من علماء اللغة والقراءات. فهذا ابن الجزرى"[1]" يقف موقفاً منصفاً بين القراء والنحويين إذ يقول :(كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالاً، وصح سندها، فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء أكانت عن الأئمة السبعة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة، أطلقت عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء أكانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم)"[2]".

ويكاد يتفق النحاة واللغويون على أنه كان ينبغى لهؤلاء المعترضين أن يضعوا القرآن بقراءاته المختلفة أمامهم من أول الأمر، لتقوم دراساتهم على منهج ثابت، فهم بتخطئة بعض القراءات حرموا الدرس اللغوى، مصدراً مهماً من مصادره فوقعوا فى تناقض واضح، ولو أنهم أستوعبوا القراءات المختلفة ودرسوها لكانت قواعدهم أشد إحكاماً، ولتبين لهم ما تلتقى فيه اللهجات، ولا تضح أمامهم القدر المشترك بينها الذى يمكن أن تبنى عليه قاعدة بعيدة عن الاضطراب أو التعقيد"[3]".

ثانياً : الحديث النبوى الشريف :-

تمثل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم نموذجاً من النثر الأدبى الراقى، الذى ينبغى أن يوضع فى مكانه المناسب بين مصادر الرواية والأستشهاد، لكننا نجد الخلاف دائراً حول الاستشهاديه؛ فلم يقبل على الاحتجاج به معظم اللغويين والنحاة متعللين لذلك بأمرين:-

الاول :-

عدم توقهم أن ذلك لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم"[4]" لأن رواة الحديث قد جوزوا النقل بالمعنى"[5]".

---

[1] / هو محمد بن محمد المعروف بابن الجزرى، محدث ومقرئى ولد بدمشق سنة ٧٥١هـ- ونشأ بها، ثم رحل إلى شيراز وتوفى فيها سنة ٨٣٣هـ- من أشهر آثاره : النشر فى القراءات العشر، والمقدمة الجزرية - أعلام المورد ص ٢٠.

[2] / النشر فى القراءات العشر - لأبن الجزرى ١/٩-١٠.

[3] / أصول النحو - الأفغانى - ص ٤٥، ومدخل الى فقه اللغة العربية - أحمد محمد قدور - ص ٧٧.

[4] / خزانة الأدب - البغدادى ١/١٠-١١.

[5] / عصور الإحتجاج فى النحو العربى - محمد إبراهيم عبادة - ص ١٥٦ (دط) ١٣٩٩هـ-١٩٨٠- دار المعارف.

والثانى:-

أن كثيراً من الرواة كانوا من الأعاجم فكثر اللحن فى رواياتهم.

رد الاول : بأن النقل بالمعنى إنما كان فى الصدر الأول قبل التدوين فى الكتب وقبل فساد اللغة، وغايته تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به فلا فرق"[1]" يضاف إلى ذلك أن المحدثين من دارسى مصطلح الحديث قد فرقوا بين الأحاديث الصحيحة الموثقة، والأحاديث غير الصحيحة المشكوك فيها فقد محصوها ودققوا فيها سنداً ومتناً، وخرجوا منها الصحيح والحسن والضعيف"[2]".

أما القول بأن معظم رواة الحديث من الأعاجم فليس بشئ، لأن ذلك يقال فى رواة الشعر والنثر اللذين يحتج بهما، بل إنَّ الوازع الدينى يساعد على تذكر نصوص الأحاديث ويصونه من اللحن والخطأ.

بجانب هذا الموقف من الحديث وعدم الاحتجاج به نجد هناك موقفاً آخر من فريق من العلماء تبنوا قضية الدفاع عن الحديث والاحتجاج به لأنهم يرون أنه إذا افترضنا أن تبديلاً حدث فى النص فإن المبدِّل ممن يحتج بكلامه، هذا بالنسبة للأحاديث التى دونت فى الصدر الأول، أما الأحاديث التى لم تدون فى الصدر الأول فلم يجوزوا الاحتجاج بها"[3]"، وإذا رجعنا إلى كتب العلماء نجدهم كثيراً ما يحتجون بالحديث بل نجد الخليل بن أحمد فى كتاب العين يحتج بكلام عمر بن الخطاب"[4]" ومعاوية"[5]" والحجاج"[6]"، وغيرهم ونجد سيبويه يستشهد ببعض الأحاديث غير أنه لم يوردها على أنها أحاديث"[7]" وأخيراً يقف مجمع اللغة العربية بجانب المؤيدين للاحتجاج بالحديث ويصدر قراراً بهذا الشأن"[8]".

---

[1] / خزانة الأدب – البغدادى ٩/١.

[2] / الدراسات اللغوية عند العرب – محمد حسين آل يسن ص ٢٥٤.

[3] / خزانة الأدب – البغدادى ١٤/١.

[4] / العين – الخليل بن أحمد ١٦٩/١.

[5] / السابق ١٩٩/١.

[6] / السابق ٢٧٥/١.

[7] / فهرس شواهد سيبويه ٥٧/٧-٥٨.

٨ / نقل القرار من مجلة مجمع اللغة العربية العدد ٤ ص ٧ محمد إبراهيم عباده فى كتابه عصور الاحتجاج فى النحو العربى ص ١٦٧.

ثالثاً: الشعر العربى :-

رأينا فى عصور الإحتجاج ما كان للشعر من منزلة رفيعة عند العرب فى الجاهلية، وظلت للشعر هذه المنزلة العالية حتى جاء الإسلام فانشغل الناس بالجهاد وبهرهم بيان القرآن، فلما كثر الإسلام بالفتوحات واختلط العرب بالأعاجم انطلق العلماء إلى حفظ اللغة وجمعها فبدأوا ذلك بجمع الشعر لما كان للشعر من مكانة فى النفوس، فأقبل رجال التفسير واللغة والنحو على الشعر يستلهمونه الإفصاح عما يعن لهم. وقد أتى فى الشعر كثير من الغريب فأخذوا يبحثون عن معانيه، والشعر نفسه بعضه يدل على معانى بعض"[1]" وعندما وجد رواة اللغة هذا الشعر الوفر يحمل ألفاظ العربية وتراكيبها ويمثل صورة صادقة لحياة العرب فى الجاهلية، اعتمدوه أصلاً من أصول الرواية السماعية وقد رأينا كيف قسم العلماء الشعراء إلى طبقات أربع لما وجدوه فى الشعر من الضرورات والتأويلات واختلاف الروايات والأبيات المجهولة، وقد تنبه العلماء المحققون لذلك وأحسوا أن للشعر قيوده التى تجعله يختلف عن النثر، فأباحوا للشعر الخروج عن القاعدة فيما يعرف بالضرورات الشعرية، أما اختلاف الروايات لبعض الأبيات فقد قبلوا ما وصل إليهم منها بشرط أن يكون الراوى لها ثقة واعتبروها بمنزلة أشعار يحتج بها لأنها تعود إلى عصور الإحتجاج ولم ينكر أحداً من العلماء هذه الروايات لأنها تمثل مذاهب العرب فى القول"[2]" ومع كل ذلك كثر الاستشهاد بالشعر حتى أنه أصبح يمثل المنزلة الأولى من الشواهد النحوية واللغوية من حيث الكم (فشواهد سيبويه من الشعر تصل إلى ما يقرب من خمسين وألف بيت من الشعر بينما تبلغ الشواهد القرآنية ثلاثاً وسبعين وثلاثمائة آية فقط)"[3]" مما يدل على إهتمام العلماء بالشعر وروايته بل كانوا يقولون (إن الشعر ديوان العرب)"[4]".

---

[1] / ضحى الإسلام – أحمد أمين ٢/٢٥٦.

[2] / اختلاف الرواية فى شواهد سيبويه الشعرية – حسن موسى الشاعر ص ٢٣– ط١ – ١٩٩٢م دار البشير عمان.

[3] / عصور الاحتجاج فى النحو العربى – محمد ابراهيم عباده ١/١٨٦.

[4] / العمدة – ابن رشيق ١/١١.

رابعاً : النثر العربي :-

إحتج العلماء بالنثر من أقوال العرب إذا كان ثابتاً عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم. وأقوال العرب النثرية متنوعة منها : الخطب، والحكم، والأمثال، والرسائل، ولغة التخاطب التى تدور على الألسنة فى الحياة اليومية -أى اللهجات- أما الخطب فمع شهرة العرب بالخطابة فإن العلماء لم يعتمدوها كمصدر من مصادر الرواية لإبراز قواعدهم اللغوية والنحوية لعدة امور منها:

أ/ إنشغالهم بالشعر واعتناؤهم به لسهولة حفظه، صرفهم عن الخطب مع غزارة مادتها.
ب/ تأخر جمع الخطب مما جعل العلماء يعتمدون فى ضبطها على القواعد النحوية، ولم يعتمدوا عليها فى تقرير القاعدة ويرى أحد الباحثين المحدثين، أنه :(لو أتيح للخطب العربية الحفظ والضبط، أو التسجيل لألقت ضوءاً كافياً على كثير من أسرار العربية...)"[1]".

أما الرسائل فقد تميزت عن الخطب بالتدوين وتأخذ رسائل النبى صلى الله عليه وسلم حكم حديثه عليه الصلاة والسلام، أما رسائل الخلفاء والقادة والولاة فكانت تمثل نماذجاً يمكن الاعتماد عليها ؛ إذ إنهم ممن يحتج بكلامهم.

أما الحكم والأمثال فقد أنس إليها العلماء لأنها جمل قصيرة يمكن أن تنقل كما سمعت دون تغيير، فوقفوا منها موقفاً خاصاً وأجازوا فيها من الضرورات ما أجازوه فى الشعر يقول المبرد"[2]" :(والأمثال يستجاز فيها ما يستجاز فى الشعر لكثرة الاستعمال لها)"[3]".

أما لغة التخاطب ولهجات القبائل فقد عمد اليها كبار النحاة واللغويين معتمدين على المشافهة أو رواية الثقات فنرى سيبويه يشير إلى ذلك بعبارات عامة كأن يقول:

---

[1] / عصور الاحتجاج فى النحو العربى - محمد إبراهيم عبادة ١/١٧١.

[2] / هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الازدى البصرى ابو العباس المبرد إمام العربية ببغداد فى زمانه، أخذ عن المازنى وأبى حاتم السجستانى وله من الكتب : معانى القرآن ، الكامل، المقتضب، الاشتقاق وغيرها ولد سنة ٢١٠هـ ومات سنة ٢٨٥ بغداد - بغية الوعاة ١/٢٦٩-٢٧١.

[3] / المقتضب - محمد بن يزيد ابو العباس المبرد - تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ٤/٢٦١ (دط) ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م لجنة احياء التراث الاسلامى.

(العرب الموثوق بهم)"[1]" او (سمعنا فصحاء العرب)"[2]" أو (أنشدنا من نثق بعربيته)"[3]".

وقد مر بنا فى عصور الاحتجاج تحديد أولئك العرب الذين يحتج بهم من القبائل التى عاشت فى وسط الجزيرة واستبعدت اللهجات التى جاورت الأمم الأعجمية من مصادر الدرس اللغوى.

وقد أشار ابن جنّى فى الخصائص إلى تلك الأسباب التى جعلتهم يقتصرون على الأفصح، وهى ظهور اللحن وشيوعه فيقول :(فكان ما يروى من أغلاط الناس منذ ذاك، إلى أن شاع واستمر فساد هذا الشأن مشهوراً ظاهراً، فينبغى أن يستوحش من الأخذ من كل أحد، إلا أن تقوى لغته وتشيع فصاحته وقد قال الفراء فى بعض كلامه :(إلا أن تسمع شيئاً من بدوى فصيح فتقوله)"[4]".

وقد اعترض بعض الباحثين المحدثين على الأساس الذى اعتمده اللغويون العرب فى الأخذ من لغات القبائل، بقصرهم السليقة اللغوية على قوم معينين فى بيئات معينة وزمن معين عبر عن ذلك إبراهيم أنيس (بدكتاتورية الزمان والمكان)"[5]".

خامساً : معاجم اللغة والكتب القديمة :-

من مصادر اللغة المعتمدة لدى اللغويين العرب معاجم اللغة وأسفارها. وهى المعاجم التى حملت مفردات اللغة ومعانيها وتصريفها واشتقاقها، أما الكتب فقد ألفت كتب فى النحو والصرف واللغة والنوادر، ولغات القرآن والقراءات ، والمعانى ، ودواوين القبائل.

من أبرز المعجمات التى ذكرها العلماء : معجم (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدى، و (الجمهرة) ، لابن دريد"[6]" و (البارع فى اللغة)

---

[1] / الكتاب سيبويه ١٩٨/١، ٢١٠، ٢٢٢.

[2] / السابق ٤٧٧/١.

[3] / السابق ٥٩/٢.

[4] / الخصائص ٨/٢-٩.

[5] / من أسرار اللغة – إبراهيم انيس – ص ٢٧- ط٦ ١٩٧٨م – مكتبة الانجلو المصرية القاهرة.

[6] / هو محمد بن الحسن بن دريد الإمام أبوبكر الأزدى اللغوى ولد بالبصرة سنة ٢٢٣هـ- وأخذ عن علمائها وروى عنه السيرافى والمرزبانى، والاصبهانى وتوفى سنة ٣٢١هـ له من الكتب :(الجمهرة) والاشتقاق واللغات – الفهرست ص ٨٥ بغية الوعاة ٧٦/١.

لإسماعيل بن القاسم القانى"[1]". و (التهذيب) للأزهرى"[2]"، و(المحيط) للصاحب بن عباد"[3]".

أما كتب النحو، فنجدها قد حوت النحو والصرف مرة واحدة يقول ابن جنّى :(لا تكاد تجد كتاباً فى النحو إلا والتصريف فى آخره)"[4]" وأقدم ما وصلنا منها (الكتاب) لسيبويه، و (المقتضب) للمبرد و (الأصول فى النحو) لابن السراج"[5]" إلا أنهم جميعاً استفادوا من كتاب سيبويه"[6]".

أما الصرف فقد كتب فيه عدد من العلماء كتباً مفردة إضافة لما كتب عنه فى كتب النحو، ومن الذين تقدموا ابن جنّى أبو عثمان المازنى فى كتابه :(التصريف) وقد شرحه ابن جنّى فى (المنصف).

أما كتب النوادر، فقد كانت تتناول شيئاً من اللغات غير المعروفة وأقدم ما وصلنا منها كتاب (النوادر) لأبى زيد الانصارى، و (إصلاح المنطق) لابن السكيت، إما كتب لغات القرآن فهى تبحث فى لغات القبائل الواردة فى القرآن الكريم وقراءاته من

---

[1] / اسماعيل بن القاسم بن عيذون، أبو على القالى، ولد سنة ٢٨٨هـ- بديار بكر وقدم بغداد سنة ٣٠٣هـ وقرأ النحو والعربية، على بن درستويه والزجاج والاخفش الصغير وغيرهم، خرج من بغداد إلى قرطبة سنة ٣٣٠هـ وصنف بها الأمالى، والنوادر ، والبارع فى اللغة وغيرها وتوفى بها سنة ٣٥٦هـ- بغية الوعاة ٤٥٣/١.

[2] / محمد بن أحمد بن الازهر بن طلحة الازهرى أبو منصور ، ولد سنة ٢٨٢، من أئمة اللغة، أخذ عن ابن السراج ونفطويه له من الكتب التهذيب فى اللغة ، والتقريب فى التفسير وغير ذلك بغية الوعاة ١٩/١.

[3] / إسماعيل بن عياد بن العباس ابو القاسم الوزير الملقب بالصاحب كافة الكفاة ولد سنة ٣٢٤، أخذ الأدب عن ابن فارس وابن العميد تولى الوزارة فى عهد بنى بويه، وله من التصانيف : المحيط باللغة، الكشف عن مساؤى المتنبئ، وجوهرة الجمهرة توفى سنة ٣٨٥هـ- بغية الوعاة ٤٤٩/١.

[4] / المنصف - لابن جنّى ٤/١.

[5] / هو محمد بن السرى أبو بكر ابن السراج، كان أحدث أصحاب المبرد سناً مع ذكاء وفطنة، قرأ عليه كتاب سيبويه، أخذ عنه الزجاجى والسيرافى والفارسى، مات شاباً سنة ٣١٦هـ- وله من الكتب الأصول الكبير، شرح سيبويه، والجمل، وغيرها - بغية الوعاة ١٠٩/١.

[6] / الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّى - حسام سعيد النعيمى - ص ٥٧.

الناحية اللغوية والنحوية والصرفية إضافة إلى معانى الفاظ القرآن نحو (معانى القرآن) للفراء"[1]" و (معانى القرآن) للزجاج"[2]"، و (الحجة) لأبى على الفارسى، وغيرها.

إضافة إلى ذلك قام عدد من العلماء بجمع دواوين القبائل منهم (أبو عمرو الشيبانى)"[3]" قيل عنه :(أخذ عنه أشعار القبائل كلها)"[4]" وجمع السكرى"[5]" أشعار سبع وعشرين قبيلة"[6]" لم يصل إلينا من هذه الدواوين سوى ديوان الهزليين الذى شرحه ابن جنّى كما رأينا فى آثاره.

ومن خلال هذا العرض للمعاجم والكتب التى تناولت الدراسات اللغوية قبل ابن جنّى نرجح أنّ ابن جنّى قد أفاد منها كثيراً لما يربطه بأصحابها من رابطة السند عن طريق شيوخه.

هذه هى مصادر الرواية التى اعتمد عليها علماء اللغة فى قواعدهم اللغوية والنحوية والصرفية. وكما رأينا فقد اختلفوا فى كثير من المصادر التى اعتمدوها، غير أنهم اجتمعوا على أنه لا يستقيم الاحتجاج فى تقرير حكم لغوى بغير آى القرآن الكريم، وقراءاته حتى الشاذ منها، وما روى باللفظ من الحديث الشريف أما الشعر فقد عولوا منه على أشعار الجاهليين ثم أشعار المخضرمين، وما اطرد سماعه عن العرب الفصحاء.

---

[1] / هو يحى بن زياد أبو زكريا الفراء ، الديلمى الأصل، الأسدى بالولاء كان اعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائى، أخذ عن يونس، صنف : معانى القرآن والبهاء فيما تلحن فيه العامة، النوادر، اللغات، والحدود فى الأعراب وغيرها مات بطريق مكة سنة ٢٠٧هـ- عن سبع وستين سنة ، معجم الادباء ٢٧٦/٢، بغية الوعاة ٣٣٣/٢.

[2] / هو إبراهيم بن السرى بن سهل أبو إسحق الزجاج، كان من اهل الفضل والدين، لزم المبرد وأخذ عنه النحو، وله من التصانيف : معانى القرآن، والاشتقاق، العروض، النوادر وغير ذلك، مات سنة ٣١٠ قيل ٣١١هـ الفهرست -ص ٨٤-٨٥، بغية الوعاة ٤١١/١.

[3] / هو أسحق بن مراد ابو عمرو الشيبانى، لغوى عربى أصله من الموالى ولد سنة ٩٤هـ- جاور شيبان للتأديب فيها، فنسب اليها، أخذ عنه خلق كثير منهم لإمام أحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ، وابن السكيت، ومن أشهر آثاره : كتاب الجيم، الخيل، خلق الانسان - أعلام المورد ص ٢٦٦.

[4] / الفهرست - ابن النديم - ص ١٠٧.

[5] / الحسن بن الحسين بن عبيد الله ابو سعيد السكرى، النحوى اللغوى كان رواية ثقة يقرأ القرآن ولد سنة ٢١٢هـ وتوفى سنة ٢٧٥هـ وصنف : النقائض ، النبات، وجمع شعر الجماعة من الشعراء، وجمع كثيراً من شعر القبائل ، بغية الوعاة ٥٠٢/١.

[6] / الفهرست - ابن النديم ص ١٢٣، ٢٣٢.

المبحث الثاني:-
موقف ابن جنّى من جمع اللغة ومصادر الرواية:-

عرضت فى المبحث الاول المصادر اللغوية التى اعتمد عليها اللغويون العرب فى تقعيد قواعدهم، أما علماء اللغة المحدثون فيقررون أنّ المصدر الأول للغة هو الإنسان ولكن! أى إنسان؟ أنه عندهم الرجل الذى لم تختلط لغته بلغات أخرى ولم تتأثر بمؤثرات خارجية، وهذا ما يعرف (بالحجية اللغوية)"[1]". وقد عالج العرب هذه القضية علاجاً وافياً عند جمعهم للغة العربية، فقرروا أن جمع اللغة لا يكون الا من المناطق البادية، التى لم تحتك لغتها بلغات أخرى، فرأينا فى جمع اللغة العلماء يرتحلون الى البادية يجمعون اللغة من أصحابها الأصلاء.

أما عالمنا اللغوى ابن جنّى فقد عالج هذه القضية فى باب :(فى ترك الأخذ عن أهل المدر كما أُخذ عن أهل الوبر)"[2]" مؤكداً أن أهل الوبر -أى أهل البادية الباقين على فصاحتهم ونقائهم اللغوى- هم المصدر الصحيح لدرس اللغة، وبين السبب فى عدم اعتماد لغة أهل الحضر بقوله :(علة امتناع ذلك، ما عرض للغات الحاضرة ، وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل"[3]"ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم، ولم يعترض شئ من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن اهل الوبر. وكذلك أيضاً لو فشا فى أهل الوبر ما شاع فى لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها"[4]"، وإنتقاض عادة الفصاحة وانتشارها، لوجب رفض لغتها، وترك تلقى ما يرد عنها)"[5]".

فابن جنّى فى هذا النص، يعلل لعدم الأخذ من أهل المدن لفساد ألسنتهم نتيجة لاحتكاكهم بغيرهم من الأمم، ويفترض أنه لو وجد أهل مدينة باقين على فصاحتهم دون تسرب اللحن إلى ألسنتهم، لأخذ عنهم كما أخذ عن أهل البادية، لكن يبدو أن ذلك كان

---

[1] / فقه اللغة فى الكتب العربية، عبده الراجحى – ص ٢٥٤ – هامش (١).

[2] / الخصائص ٢/٥-١٠.

[3] / الخطل : هو الخفة والسرعة، الكلام الفاسد الكثير المضطرب، وخطل بالكسر فى كلامه أى : أفحش – اللسان مادة (خطل).

[4] / الخبال : من الخبل وهو الفساد والحبس والمنع، والخبل والخبال الجنون، يقال به خبال أى مس – اللسان مادة خبل.

[5] / الخصائص ٢/٥.

مجرد افتراض من ابن جنّى لأننا رأينا بعد عصور الاحتجاج، اللحن يتسرب إلى السنة أهل البوادى فضلاً عن أهل الحواضر.

وربما كان ابن جنّى يشير بكلامه هذا إلى مدينة معينة فقد ذكر محقق الخصائص أن فى (القاموس) فى مادة (عكد) جبلا يسمى(عُكَاد)اهله باقين على لغتهم الفصيحة، وأنهم لا يسمحون للغريب أن يقيم عندهم أكثر من ثلاثة ليال خوفاً على لسانهم"[1]".

أما بالنسبة لموقف ابن جنّى من مصادر الرواية فيمكن تلخيص ذلك على موقفين : نظرى وتطبيقى.

النظرى : يتمثل بقبوله جميع لغات العرب فنجده يسمى أحد أبواب خصائصه :(باب فى اختلاف اللغات وكلها حجة)"[2]" وهو يرى (أن الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ وإن كان غير ما جاء به خيراً منه)"[3]".

هذا ما يتعلق بلغات القبائل - أى اللهجات- وقد وجدته فى هذا الجانب قد توسع كثيراً فآثرت أن أفرد لموقفه من اللهجات مبحثاً خاصا، وهو المبحث الثالث من هذا الفصل إن شاء الله.

أما ما يتعلق بلغات الأفراد ، فقد بين ابن جنّى كيفية التعامل معها، فذكر أنّ العربى قد يكتسب لغة جديدة، فإذا كانت هذه اللغة المكتسبة فصيحة كلغته الأصلية، وجب أن يؤخذ بلغته التى انتقل إليها كما يؤخذ بها قبل انتقال لسانه إليها.

أما إن كانت اللغة التى انتقل لسانه إليها فاسدة -أى غير فصيحة- فلا يؤخذ بها، ولكن يؤخذ بالأولى، حتى كأنه لم يزل من أهلها)"[4]" ويأخذ ابن جنّى على بعض متقدمى اللغويين ممارساته الفعلية فى طرح لغة بعض الأعراب بحجة فسادها، ويستشهد لذلك بموقف أبى عمرو بن العلاء من أحد الأعراب -واسمه أبا خيرة- لما سأله فقال :(كيف تقول : استأصل الله عرقاتهم، ففتح ابو خيرة التاء، فقال له أبو عمرو : هيهات أبا خيرة لان جلدك!)"[5]" ويعقب ابن جنّى على هذه الحكاية برفض موقف أبى عمرو، وأن لغة

---

[1] / الخصائص ٢/٥ ومعجم البلدان ترجمة (عكوتان).

[2] / السابق ٢/١٠.

[3] / السابق ٢/١٢.

[4] / السابق ٢/١٢.

[5] / السابق ٢/١٣.

أبى خيرة الأصلية ستظل فصيحة صحيحة بقوله :(فليس لأحد أن يقول كما فسدت لغته فى هذا ينبغى أن أتوقف عنها فى غيره... فهذا هو القياس وعليه يجب أن يكون العمل)"[1]".

كما اعترف ابن جنّى باختلاف اللهجات بين القبائل وقبلها جميعاً، فقد لاحظ أيضاً اختلاف لغات الأفراد فى القبيلة الواحدة، لأن صاحب لغة قد يراعى لغة غيره وذلك لأن العرب لم يكونوا متحجرين، بل كانوا متجاورين يتزاورون، فيسمعون كلام بعضهم بعضاً، ونتيجة لذلك فهم يؤثرون ويتأثرون"[2]" فإذا اعترفنا لهم بهذا التبادل فبالضرورة نعترف أن كلامهم كله مصدر مهم فى اللغة فإذا لم نعتمده فإننا سنلقى جزءاً مهماً من المصادر اللغوية.

أما موقفه التطبيقى من مصادر الرواية فيمكن تناوله على ثلاثة أقسام:

الاول :-

يتعلق بموقفه من الروايات اللغوية التى سمعها عن شيوخه، ومن شيوخهم.

الثانى :-

مشافهته لبعض الأعراب الذين لقيهم فى حياته.

الثالث :-

احتجاجه باقوال المولدين وأشعارهم.

ويتجلى كل ذلك فى محاولته عدم تضييق مصادر الاحتجاج بقبوله كل ما ورد عن العرب، وقد خصص باباً فى خصائصه لإيراد ألفاظ لم تسمع من غير الفصحاء عنوانه :(باب فى الشئ يسمع من العربى الفصيح لا يسمع من غيره)"[3]".

أما فيما يتعلق بالروايات التى سمعها عن شيوخه ومن شيوخهم، فقد كان له أكثر من شيخ كما رأينا فى حياته العلمية فى الفصل الأول، وقد كان أميناً فى الأخذ عنهم، حريصاً على أن يدون عباراتهم بحروفها إذا وجد إلى ذلك سبيلاً وينبه عليه كقوله :(... كذا عهد إلى أبو على -رحمه الله- فى هذا، وهذا لفظه لى فيه البته)"[4]" فإذا خانه الحفظ نبه الى ذلك بمثل قوله :(هذا محصول معنى أبى على، فأما نفس لفظه فلا يحضرنى

---

[1] / الخصائص ٢/١٣.

[2] / السابق ٢/١٥.

[3] / السابق ٢/٢١-٢٨.

[4] / السابق ٢/٢٠.

الآن حقيقة صورته)"[1]". وقد اورد عدداً من الروايات عنهم ذكروا فيها أمثلة شعرية انفرد بها شعراؤها، من ذلك ما رواه تعلب ان بعض أصحابه حدثه عن الاصمعى أنه ذكر حروفاً من الغريب فقال :(لا أعلم أحداً اتى بها إلا ابن أحمر الباهلى ... منها (الحيرم) وهو : البقر، ما جاء به غيره)"[2]" وغير ذلك الكثير من الأمثلة التى ذكرها فى (باب فى الشئ يسمع من العربى الفصيح لا يسمع من غيره) ويخلص ابن جنّى إلى أن هذه الألفاظ يجب قبولها، وذلك لما ثبتت به الشهادة من فصاحة قائليها، ويعزو ابن جنّى هذا الانفراد بالفصيح إلى أحد أمرين: الأول : أن يكون شيئاً أخذه عمن ينطق بلغة قديمة لم يشاركه أحد فى سماع ذلك منه فيقبل ذلك من الفصيح وإن خالف الجماعة.

والثانى أن يكون شيئاً ارتجله، فإن الاعرابى إذا قويت فصاحته تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد به.

فقد حكى عن رؤبة"[3]" وإليه العجاج"[4]" انهما كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسمعاها ولا سبقا اليها"[5]". ثم استدرك ابن جنّى أن هذا الغريب مقبول إذا جاء من الفصيح، أما إن جاء عن متهم أو من لم ترق فصاحته فمردود غير متقبل، وكذلك الأمر فى كل ما يخالف كلام العرب وبأباه القياس، ويستوى فى ذلك إذا كان المتلفظ به فرداً أو جماعة قليلة، إلا أن ذلك الأمر لا يكاد يقع مثله، وذلك (أن العربى الفصيح إذا عدل به عن لغته الفصيحة عافها، ولم يبهأ"[6]" بها)"[7]".

أما القسم الثانى من الموقف التطبيقى، فيظهر فى الروايات العديدة التى بثها ابن جنّى فى خصائصه ذاكراً مشافهته لبعض الأعراب، فهو إلى جانب ما حصله من

---

[1] / الخصائص ١٨/٢.

[2] / السابق ٢٣/٢.

[3] / هو رؤبة بن العجاج، راجز عربى مجيد، سكن البصرة، ثم خرج إلى البادية حيث مات عام ١٤٥هـ، له ديوان ليس فيه سوى راجيز، أكثر اللغويون من الاستشهاد به لفصاحته ولإتيانه بالحوشى الغريب، أعلام المورد ص ٢٠٩.

[4] / هو عبد الله بن رؤبة المعروف بالعجاج، راجز من الفصحاء، جاهلى أدرك الإسلام، ولقى أبا هريرة وسمع منه الحديث، وعاش الى زمن الوليد بن عبد الملك توفى عام ٩٠هـ- وهو والد الراجز المشهور رؤبة، اعلام المورد ص ٢٨٥.

[5] / الخصائص ٢٤/٢-٢٥.

[6] / يبهأ : يأنس ، يقال : بهأ بالشئ انس به واحب قربه - اللسان مادة (بها).

[7] / الخصائص ٢٦/٢.

شيوخه، كان يلجأ إلى الناحية التطبيقية، فيناقش أحد الأعراب، يتعرف أثر السليقة والطبع عليه. وقد رأينا فى عصور الاحتجاج أن العلماء قد أوقفوا الأخذ عن العرب فى الأمصار فى منتصف القرن الثانى للهجرة ومنتصف القرن الرابع للاستشهاد بعرب البادية.

أى أنه لم يكن هنالك مجال لابن جنّى لأن يأخذ عن الاعراب المعاصرين له لأن عهد الأخذ عنهم قد مضى لكننا نجده يقول :إنه يمكن الأخذ عن أهل المدينة إذا ثبتت فصاحته"[١]" فكأنه بذلك يريد أن يدع الطريق أمامه مفتوحاً ليأخذ كلام أعرابى تثبت له الفصاحة أو يسأل أعرابياً فصيحاً عن كلمة، أو يأنس بكلام بعضهم ليقوى رأياً على رأى. غير أنه يتنبه إلى مخالفته أصلاً من أصول الاستشهاد فيقول :(غير أن لأصحابنا ألا يقبلوا من اللغة إلا ما روى عن فصيح موثوق بعربيته)"[٢]" بل يحذرنا من تلقى كل ما نسمع من البادية بقوله :(فإياك أن تخلد إلى كل ما تسمعه، بل تأمل حال مورده، وكيف موقعه من الفصاحة، فاحكم عليه وله...)"[٣]" وإذا تتبعنا الأعراب الذين حاورهم ابن جنّى فنجده يأخذ كثيراً عن الشجرى"[٤]" ويثبت له الفصاحة وعدم التكلفه والبعد عن معرفة الصناعة، بل كان يأنس به ويسأله، ويأخذ عنه ونجد اسمه يتردد فى أكثر من موضع من كتبه فيقول :(سمعت الشجرى)"[٥]" (أنشدنى الشجرى) وقد ذكر اسمه وقبيلته فى الخصائص فى قوله :(وسألت يوماً أبا عبد الله محمد بن العساف العقيلى الجوثى التميمى- تميم جوثة)"[٦]".

ولعل أكثر ما كان ابن جنّى يسأل الشجرى عن أمور تتعلق بقواعد النحو التى كان ابن جنّى قد حذقها، ولكنه أراد التأكد من توافقها مع لغة أعراب عصره، خاصة أولئك الذين كانوا يحافظون على فصاحتهم. فوجهة ابن جنّى فى صحبته للأعراب - على رأى احد الباحثين المحدثين- تختلف عن وجهة الأعراب الرواة، فليس من منهجه جمع اللغة ولا تصحيحها، ولا معرفة اللهجات، وإن أراد شيئاً من هذا فلا يتجه فيه إلى

---

[١] / الخصائص ٢/٥.

[٢] / السابق ٢/٩.

[٣] / السابق ٢/١٠.

[٤] / السابق ٢/٩.

[٥] / السابق ١/٧٨.

[٦] / السابق ١/٧٦.

الأعراب ولا يأخذه من أفواههم قضية مسلمة بل نراه يقف بين جيلين منهم، ويلتمس بنفسه فرقاً بين الجيل الأول وفيه بقية من إرث لغوى ورثه عن اسلافه وبين الجيل الثانى وقد بدأ يلين لسانه كما فى قصة الشجرى وابن عم له كان ابن جنّى قد جمع بينهما وحاورهما، فقال لهما:كيف تحقران حمراء؟ فقالا :حميرا. قال :فصفراء؟ قالا:صفيراء. قال فسوداء؟ قالا سويداء. قال : فاستمررت بهما فى نحو هذا فلما استويا عليه، دسست بين ذلك (علباء)، فقلت: فعلباء؟ فأسرع ابن عمه على طريقته فقال عليباء، وكاد الشجرى يقولها معه فلما هم بفتح الباء استرجع مستنكراً فقال :عليبى"[1]" وأشم الفتحة دائماً للحركة فى الوقف وتلك عادة)"[2]".

فابن جنّى كما نتمثله عالم العربية فى معمل الصوتيات أدواته أفواه وحناجر الأعراب يديرها على أذنه وعلى قواعد العربية كما قعدها وفسرها وفلسفها. وهو يرى ان ابن جنّى أستاذ فذ من الشوامخ، وصحبته للأعراب تتصل بفلسفة اللغة، لا بجمعها، وتحصيلها، ويعتبرها بداية مبكرة لمعامل الصوتيات التى ظهرت حديثاً"[3]".

ويتفق معه فى ذلك باحث آخر حيث يرى أن ما اخذه ابن جنّى عن معاصريه من الأعراب لم يكن شيئاً أساسياً لا غنى عنه فهو لا يعدو الاستئناس حين يتحدث عن مسألة فى الأصوات أو اللهجات، ولم يجعل ما قالوه قاعدة ألبته، بل حصر المسائل التى أخذها ابن جنّى عن الشجرى وغيره من معاصريه من الاعراب فيما يأتى :-

١/ الأعراب لا يعرفون الصناعة :-

ذكر ابن جنّى انه سأل الشجرى قال :(فقلت :كيف تجمع المحرنجم؟ فقال :وأيش فرقه حتى أجمعه! وسألته يوماً : كيف تحقر الدمكمك"[4]"؟ فقال شُخَيتٌ"[5]" فجاء بالمعنى الذى يعرفه هو، ولم يراع مذهب أهل الصناعة)"[6]".

---

[1] / الاسماء المختومة بألف التأنيث الممدودة تعامل معاملة الثلاثى فتصغر على وزن (فعيل) ولا يطرأ عليه تغيير فيقال حميراء وصفيراء فى حمراء وصفراء، اما علباء فليست كذلك لأن همزتها للإلحاق.

[2] / الخصائص ٢٦/٢.

[3] / الأعراب الرواى – عبد الحميد الشلقانى – ص ١٧٢–دط ١٩٧٧ – دار المعارف – القاهرة.

[4] / الدمكمك من الرجال والإبل : القوى الشديد، ودمك الشئ طحنه– اللسان مادة (دمك).

[5] / الشخيت : النحيف الجسم ودقيقه، اللسان مادة (شخت).

[6] / الخصائص ٤٦٦/٢.

٢/ إنهم يتأملون كلامهم ويعطونه حقه فى اللفظ :-

يذكر ابن جنّى أن العرب تتأمل كلامها، وعلى ضوء هذا التأمل يكون نطقها وقد استدل على ذلك بروايات"[١]" ثم ذكر تأييداً لذلك أنه سأل الشجرى يوماً :(يا أبا عبد الله... أفتقول : ضربت أخوك؟ فقال : لا أقول أخوك أبداً. قلت : فكيف تقول ضربنى أخوك؟ فقال كذلك فقلت : ألست زعمت أنك لا تقوم أخوك أبداً؟ فقال : أيش ذا! اختلفت جهتا الكلام)"[٢]" فحاول ابن جنّى أن يؤكد بذلك أن العرب تتأمل كلامها، وتراعى أحواله.

٣/ جنوحهم إلي الخفة:-

يقول فى ذلك :(وسألت غلاماً من آل المهيأ، فصيحاً عن لفظة من كلامه لا يحضرنى الآن ذكرها، فقلت :كذا أم كذا؟ فقال :كذا بالنصب لأنه أخف فجنح إلى الخفة)"[٣]".

٤/ امتحان الفصاحة:-

كان ابن جنّى يمتحن فصاحة الأعراب الذين يتصل بهم شأنه فى ذلك شأن من سبقه من العلماء ليرى أثر الحضارة و السليقة على ألسنتهم، وقد ذكر ان الأعرابى الفصيح إذا عدل به عن لغته الفصيحة عافها ولم يبهأ بها وذكر امتحانه للشجرى وابن عمه كما رأينا فى تصغير (علباء).

٥/ بيان معنى كلمة :-

نجده يسأل الأعراب عن معنى كلمة أوردها فى الخصائص ليؤكد المعنى الذى ذكره لها كقوله :(أويت لنفسى أيّةً، معناها رحمتها ورققت لها،... وسألنا الشجرى أبا عبد الله يوماً عن فرس كانت له، فقال : هى بالبادية.. قلنا لم؟ قال : إنها وجيّة"[٤]" فأنا آوى إليها، أى أرحمها وأرق لها)"[٥]" فنجده جاء باستعمال الشجرى لكلمة(آوى)ليؤكد المعنى الذى ذكره لها.

---

[١] / الخصائص ١/٢٤٩/ ٢٥٠.

[٢] / السابق ١/٢٥٠.

[٣] / السابق ١/٧٨.

[٤] / وجيه : من الوجى، وهو الحفا؛ أى رقة قدم الدابة من كثرة المشى اللسان مادة (وجا).

[٥] / الخصائص ١/٣٣٨.

٦/ اختلاس الحركة للضرورة :-

ذكر فى باب (فى الفصيح يجتمع فى كلامه لغتان فصاعداً)"[١]" قوله الشماخ"[٢]".

لَهُ زَجَلٌ كأنَّهُ صَوْتُ حَادٍ ... إذا طَلَبَ الوسِيْقَةَ أو زَمِيرُ"[٣]"

وأشار إلى أن الإختلاس فى (كأنهو) ليس لغة، وإنما هو بسبب الصنعة، ثم قال وانشدنى الشجرى لنفسه:

وإنّا لَيُرعى فِى المَخُوفِ سَوامُنَا ... كأنَّه لم يَشْعُر بِهِ مَنْ يُحارِبُهُ"[٤]"

واختلس ما بعد هاء (كأنه) ومطل ما بعد هاء (بهى)"[٥]" واختلاس ذلك ضرورة وصنعة على ما تقدم به القول"[٦]".

٧/ تداخل الأصول :-

يرى أبن جنّى فى باب (تداخل الأصول الثلاثية والرباعية والخماسية)"[٧]" :(أن فى اللغة من الأفعال ما يتوهم كثير من الناس أن بعضها من أصل بعض وهى فى الحقيقة من أصل غيره)"[٨]" ويذكر عدداً من هذه الافعال منها (خَضِلَ) و (اخضَأَلَّ) ثم يذكر بيت الشجرى :-

أَنافَ عِلى بَاقِى الجَمالِ ودَفَّقَتْ ... بأنوارِ عُشْبٍ مُخْضَئِلٍ عَوازِبُهُ"[٩]"

ولا يعلق شيئاً على قوله، وكأنه استغنى بما سبق أن ذكره أن خضل واخضأل أصلان.

---

[١] / الخصائص ٣٧٠/١.

[٢] / هو معقل بن ضرار بن سنان أبن أمية، والشماخ لقب له، شاعر مخضرم إدرك الجاهلية والإسلام، توفى سنة ٢٢هـ- ٦٤٣م - الأغانى ١٨٤/٩ - (دط) - ١٤١٢هـ-١٩٩٢م دار الكتب العلمية - بيروت.

[٣] / الزجل : صوت فيه حنين وترنم، والوسيقة: أنثى الحمار الوحشى وهى هنا القطيع، الزمير، الغناء فى القصبة وهى الزمارة، وهو هنا يصف حماراً وحشياً هائجاً - البيت فى الكتاب - سيبويه ١١/١ ديوان الشماخ ص ٣٦ والخصائص ١٢٧/١، ٣٧١.

[٤] / البيت فى الخصائص ٣٧١/١.

٥ / السابق ٣٧١/١.

[٦] / السابق ٤٤/٢.

[٧] / السابق ٤٤/٢.

[٨] / السابق ٤٤/٢.

[٩] / السابق ٥٥/٢.

٨/ استعمال الحروف بعضها مكان بعض :-

فى باب (استعمال الحروف بعضها مكان بعض)"[١]" ذكر أنهم يقولون:(إن إلـــى تكون بمعنى مع، ويقولون تكون الباء بمعنى عن وعلى . وانشد بيت الشجرى:

أرمِى عَلَىَّ شِرْيَانَةً قَذَّافِ تُلحِقُ رِيشَ النَّبل بالأَجوَافِ"[٢]"

وقد أوضح رأيه فى ذلك بأنه لا ينبغى أن يكون على إطلاقه وإنما يكون بمعنـاه فى موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه"[٣]" ولم يعلق على الابيات التـى أوردها ومنها بيت الشجرى.

٩/ تقريب الصوت من الصوت:-

فى كلامه عن الادغام الأصغر قال :(ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مـع حروف الحلق نحو : شِعِير، وبِعِير، ورِغِيف (بالكسر) وسمعت الشجرى غير مرة يقول :زِئِير الأسد - بكسر الزاى- يريد الزَّئير)"[٤]" فكلمة الشجرى يسـتأنس بـها فـى هـذا الموضع مع ما ورد عن العرب وذكر قبل.

١٠/ فتح الحرف الحلقى فى نحو (يعدو):-

هذا تناوله ابن جنّى فى أكثر من موضع وهو فى كل ذلك يورد كلاماً للشـجرى او لبعض قومه وأخذ بقول البصريين فى الخصائص"[٥]".

من هذه المسائل التى ذكرتها، التى أخذها ابن جنّى عن الشجرى وعن غيره من الأعراب المعاصرين له يتبين لنا الآتى :

١/ إن عصر ابن جنّى لم يكن عصر مشافهة الأعراب او الأخذ عنهم عنـد جمـهور العلماء.

٢/ إن ابن جنّى وضع قاعدة جواز الأخذ عن الأعرابى بشرط التثبت من فصاحته، مما جعله يمتحن هؤلاء الأعراب، وينتهى إلى أن بعضـهم يمكـن الاستشـهاد بلغتـه كالشجرى وغيره.

---

[١] / الخصائص ٣٠٦/٢-٣١٥.

[٢] / الشريانه : يريد بها قوساً اتخذت من الشريان وهو شجر من عضاه الجبال تتخذ منه القسى. القذاق : التـى تبعد السهم، ويريد أن سهمها ينفذ فى جوف المرمى بها حتى يختلط ريشها بالجوف - الخصائص ٣٠٧/٢.

[٣] / الخصائص ٣٠٨/٢.

[٤] / السابق ١٤٣/٢.

[٥] / ٩/٢.

٣/ إن ما أخذه من الشجرى ومعاصريه لم يكن على سبيل التقعيد عن طريقه، وإنما للاستئناس أو لتأييد قول"[١]".

أما القسم الثالث فيما يتعلق بموقف ابن جنّى التطبيقى من مصادر الرواية، وهو احتجاجه بأقوال المولدين وأشعارهم وقد خرج بذلك على بعض مواقف اللغويين البصريين المتشددين.

أما أقوال المولدين، فقد رأينا ذلك فى استشهاده بالشجرى وغيره من الأعراب المعاصرين له. أما الشعراء فقد رأينا فى عصور الاحتجاج أن العلماء قد قسموهم على طبقات أربع الأولى: الشعراء الجاهليون، ... والثانية المخضرمون، والثالثة الإسلاميون، والرابعة المولدون، ويقال لهم : المحدثون، فالطبقتان الأوليان يستشهد بشعرهما إجماعاً، وأما الثالثة فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها..، وأما الرابعة فإنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً "[٢]".

ولم يكن ابن جنّى يجد حرجاً فى الاحتجاج بأقوال الشعراء المولدين، غير أنه برر لاحتجاجه فى بداية خصائصه فذكر أنه إنما يحتج للمعنى دون اللفظ "[٣]" والأمثلة على احتجاج ابن جنّى بالمولدين مبثوثة فى الخصائص فنجده فى أثناء تفسيره مادتى (كلم وقول) يشير إلى أنه قد يوقع كل واحد منهما موقع صاحبه، ومثل لذلك بعدد من الأمثلة منها قول أحد الشعراء:-

وَقَالَت لَهُ العَينَانِ سَمْعَاً وَطَاعَةً وَأَبْدَتْ كَمِثْلِ الدُّرِ لمَّا يُثَقَبِ "[٤]"

وفسره بقوله :(فأما قوله: "وقالت له العينان سمعاً وطاعة فإنه، وإن لم يكن منهما صوت، فإن الحال آذنت بأن لو كان لهما جارحة نطق لقالتا سمعا وطاعة، ويستشهد لهذا المعنى بقول عنترة"[٥]":-

لَو كَانَ يَدْرِى مَا المُحَاوَرَةُ اشْتَكَى وَلَكَانَ لَو عَلِمَ الكَلامَ مُكَلِّمِي "[٦]"

---

[١] / الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّى – حسام سعيد النعيمى ص ٣٧-٤٢.

[٢] / خزانة الأدب – البغدادى ١/٣-٤.

[٣] / الخصائص ١/٢٤.

[٤] / البيت فى اللسان فى مادة (قول) دون ذكر الشاعر، وأبدت كمثل الدر: وحدرتا كالدر.

[٥] / هو عنترة بن شداد العبسى، شاعر عربى جاهلى، من شعراء المعلقات كان عبداً أسود، اشتهر بالفروسية والشجاعة، وبحبه لابنة عمه (عبله) وتعتبر سيرته إحدى القصص الشعبية العربية، أعلام المورد ص ٢٩٠.

[٦] / البيت فى الخصائص ١/٢٤.

وهنا وجد ابن جنّى الفرصة مواتية ليتمثل بقول أحد الشعراء المولدين فى هـــذا المعنى فاستشهد بقول المتنبئ:

لو قُدِرَ السِّنَانُ عَلى لِسَانٍ ... لقَالَ لك السِّنَانُ كَمَا أَقُولُ"[1]"

وقوله ايضاً:-

لَو تَعقِلُ الشَّجَرُ الَّتى قَابلتَّها ... مَدَّت مُحيِّيَةً اليكَ الأَغْصُنَا"[2]"

وكأن ابن جنّى قد أحس بخروجه على حدود اللغويين فى الاحتجاج، فيخـــاطب قارئه بألا يستنكر هذا فيقول :(ولا تستنكر ذكر هذا الرجل -وإن كان مولداً- فى أثنـــاء ما نحن عليه من هذا الموضع وغموضه، ولطف متســـربه، فـــإن المعـــانى يتناهبـــها المولدون كما يتناهبها المتقدمون)"[3]" ويقرر أن المبرد قد استشهد بشعر أبى تمام"[4]" فـــى اللغة، وعلى ذلك يجيز الاستشهاد بشعر غيره من المولدين فى المعانى فيستشهد بأبيـــات للمتنبئ"[5]" وأبى تمام"[6]" والبحترى"[7]" "[8]"وابن الرومى"[9]" "[10]".

---

[1] / البيت فى الخصائص ٢٤/١.

[2] / السابق٢٤/١.

[3] / السابق ٢٤/١.

[4] / هو حبيب بن اوس الطائى، أبو تمام، الشاعر، الأديب، ولد فى جاسم سنة ١٨٨هـــ، ورحل إلى مصـــر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد ثم ولى بريد الموصل، وفى شعره قوة وجزالة، لـــه تصـــانيف منـــها : فحـــول الشعراء ، وديوان الحماسة (ط) ومختار أشعار القبائل، وديوان شعره ط، توفـــى ســـنة ٢٣١هـــ-الاعـــلام ١٦٥/٢.

[5] / الخصائص ٢٤/١.

[6] / السابق ٢٤/١.

[7] / هو الوليد بن عبيد الله بن يحيى أبو عبادة البحترى، ولد سنة ٢٠٦هـــ ونسبة الى بحتر أحد أجداده، تلقـــى ثقافته الاولى فى منبج اتصل بخلفاء الدولة العباسية ومدحهم- معجم الادباء ٢٤٩/١٩ وفيات الاعيان ١٧٥/٢

[8] / الخصائص ١٥/١ ، ٣٠٢، - ٢٥٧/٣.

[9] / هو على بن عباس ابن الرومى، شاعر عربى عباسى ولد سنة ٢٢١هـــ، يونانى الأصل، كـــان متشـــائماً ناغماً على المجتمع جرى فى شعره على السليقة، وفى شعره وحدة تأليف نادرة فى الشعر العربـــى - أعـــلام المورد ص ٢٥.

[10] / الخصائص ٢٩/١ ، ٢٢٠ - ١١٩/٢.

كذلك نجد ابن جنّى فى الخصائص يفسر بعض الظواهر اللغوية المولدة، فقد نقل عن الأصمعى قوله :(انباع الشجاع ينباع انبياعاً): إذا انخرط بين الصفين ماضياً، وانشد الأصمعى فى ذلك قول الشاعر:-

يُطْـــرِقُ حُلْماً وأناةً معاً ثمت ينباعُ انبياعَ الشجاعِ"[1]"

ويرى ابن جنّى أن وزن الكلمة الصرفى هو (انفعل ينفعل انفعالاً) والألف فيـــه عين وينبغى أن تكون عينه واواً، لأنها أقرب معنى من الياء هنا. ويعلق ابن جنّى علـى هذه الظاهرة بقوله :(وقد يمكن أن تكون هذه لغة تولدت، وذلك أنه لما سمع ينباع أشـبه فى اللفظ ينفعل فجاءوا منه بماض ومصدر)"[2]".

ومن هنا ومن خلال موقف ابن جنّى النظرى والتطبيقى من جمع اللغة ومصادر الرواية يمكننا أن نقرر أن ابن جنّى كان ممن يرى صحة الاســـتدلال بكـــل مصـــادر الرواية.

فاذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجده واحداً من العلماء الذين عرفـــوا للقـــراءات مقامها، بل إنه تفوق على من سبقه بأن الف كتاباً فـــى الإحتجـــاج للقـــراءات الشـــاذة واحتسبه لله تعالى وهو كتابه :(المحتسب فى تبين وجوه شـــواذ القـــراءات والايضـــاح عنها) ونجده فى كتبه الأخرى كثيراً ما يستشهد بالقرآن الكريم، أما فى الخصائص فـــلا نكاد نجد باباً منه يخلو من استشهاد بآية أو أكثر.

أما موقفه من الاستشهاد بالحديث النبوى الشريف فإننى لم أجد له كلمة يفهم منها أنه لا يرى صحة الاستدلال بالحديث بل إن فى الخصائص ما يمكن ان يعد تصريحـــاً للاستدلال بالحديث وهو قوله :(وعلى ذلك عامة ما جاء فى القرآن، وفى حديث النبـــى صلى الله عليه وسلم ومن بعده رضوان الله عليهم، وما وردت به الاشـــعار وفصيـــح الكلام)"[3]".

وقد وردت فى خصائصه أحاديث تكفى للتدليل علـــى أنـــه يجـــيز الاســـتدلال بالحديث"[4]".

---

[1] / البيت من مقطوعة مفضلية للسفاح بن كثير اليربوعى. الخصائص ١٢٢/٣.

[2] / الخصائص ١٢٢/٣.

[3] / السابق ١٦٦/٣.

[4] / الخصائص ١/١٠، ١٤، ٣٣، ٣٩، ٨٧، ١٨٩، ٢٢٠، ٢٥٠، ٣٨٣ - ٢/٨، ٣٧٢، ٤٤٢-٣/٢٤٦، ٢٤٧.

وهذا كاف لأن ينفى ما ذهب إليه أحد الباحثين المحدثين من أن أبا على وابن جنّى كانا يتمثلان بالحديث الشريف لا لغرض استنباط القواعد وإنما للاستئناس"[1]" فهذا القول مبنى على أنهما ما كان يجيزان الاحتجاج بالحديث وهو ما لم نجد تصريحاً يدل عليه بل إنهما اعتمدا على الأحاديث كاعتمادهما على غيره من مصادر الرواية كما هو واضح من النص السابق لابن جنّى إضافة الى أن ابن جنّى استشهد بالحديث فى الخصائص لعدة أغراض منها على سبيل المثال :-

١/ تأكيد المعنى فقط، نحو قوله فى أثناء حديثه عن كثرة غلبة الواو على الياء، ثم أنهم قد ملوا ذلك فقلبوا الياء واواً قلباً ساذِجاً او كالساذِج لغرض الانتقال من حال إلى حال واستشهد لهذا المعنى بأن المحبوب إذا كثر مل واستدل على ذلك بقول النبى صلى الله عليه وسلم :(يا أبا هريرة زر غِبًّا"[2]" تزدد حبا) فإيراده الحديث هنا لتأكيد المعنى الذى ذهب اليه فقط.

٢/ وقد يستشهد بالحديث لبيان اشتقاق الكلمة أو وزنها الصرفى كاستشهاده بالحديث: (من قَالَ فى الجُمعةِ : صَهْ فَقَد لَغَا)"[3]" ليبين اشتقاق كلمة (اللغة).

ومما يؤكد اهتمامه بالحديث الشريف أنه قد يبدأ استشهاده فى الباب بالحديث الشريف، فقد وجدته فى باب :(فى فرق بين الحقيقة والمجاز)"[4]" يذكر للمجاز ثلاثة معانى وهى : الاتساع، والتوكيد، والتشبيه، ثم يأتى لذلك بالشواهد وقد بدأها بالحديث الشريف فى الفرس :(وإنْ وَجَدْنَاه لَبَحْرًا)"[5]" وقد وجد المعانى الثلاثة للمجاز موجودة فيه:

وخلاصة الأمر فى هذا أن ابن جنّى اعتمد على الأحاديث لتأكيد وجهة نظره فى قضية أو حكم او مذهب يذهب إليه، شأنه فى ذلك شأن النص القرآنى، وقول العرب من الشعر والنثر، وحتى سوق هذه الأحاديث للاستئناس وتأكيد المعنى، لا ينفى جواز

---

[1] / عصور الاحتجاج فى النحو العربى- محمد إبراهيم عبادة - ص ١٦٤-١٦٥.

[2] / غبا : أى وقتاً بعد وقت، وانتصابه على الظرف، وانتصاب حباً: على التمييز والتفسير - الخصائص ٨٧/١.

[3] / الحديث عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة فى كتاب الجمعة من سنن الترمذى لمحمد بن عيسى ابن سورة ابو عيسى ٣٨٧/٢ ط.٢ /١٩٩٢م - دار سحنون وشعبان قورت - استانبول.

[4] / الخصائص ٤٤٢/٢.

[5] / الحديث عن أنس بن مالك قال :(ركب النبى صلى الله عليه وسلم فرساً لأبى طلحة يقال له مندوب، فقال : ما كان نم فزع وإن وجدناه بحرا) سنن الترمذى ١٩٨/٤ - كتاب الجهاد حديث ١٤.

الاحتجاج بها، بل يشير إلى نوع من الاطمئنان إليها، حتى تصبح من النصوص التي تدعم القاعدة وتثبت اطرادها.

أما الاستشهاد بالشعر العربى القديم، فإننا نجد ابن جنّى يخلد إليه كثيراً، فلا نكاد نجد موضوعاً من خصائصه يخلو من الاستشهاد ببيت قديم، بل وجدناه يستشهد بشعر المولدين والمحدثين الذين رفض اللغويون الاستشهاد بأشعارهم.

اما طريقه إلى هذه الشواهد الشعرية التى يستشهد بها فإنه قل أن يذكر شاهداً باسناده وإنما كان يوردها مباشرة كقوله مثلاً :(قال العجاج)"[1]"، او (قال الراجز)"[2]" أو (قال الشاعر)"[3]" غير أننى وجدته فى موضع يقول :(أنشدنا أبو على)"[4]" وفى آخر قال: (أنشدنى بعض أصحابنا)"[5]".

وقد أحسّ ابن جنّى كغيره من العلماء أن للشعر قيوده التى تجعله يختلف عن النثر فعقد باباً (فيما يجوز لنا من الضرورات الشعرية) "[6]" بل أنه لم يكتف أن تكون الضرورة الشعرية لإصلاح وزن او قافية يقول :(اعلم أن البيت إذا تجاذبه أمران، زِيغ الإعراب، وقبح الزحاف، فإن الجُفاة"[7]" الفصحاء لا يحفلون بقبح الزحاف إذا أدى إلى صحة الاعراب"[8]".

ومعنى ذلك أن الشاعر قد يخرج عن القياس المعروف لعامل آخر غير قيد الوزن والقافية ويستشهد لذلك بعدة أبيات من الشعر منها قول الشاعر :

أَلَمْ يأتِيكَ - والأَنْباءُ تُنمِي- بِمَا لاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادِ "[9]"

---

[1] / الخصائص ٥/١.

[2] / السابق ٦/١.

[3] / السابق ٧/١.

[4] / السابق ٧/١.

[5] / السابق ١٥٢/٣.

[6] / السابق ٣٢٣/١.

[7] / الجفاة : من قولهم من بدا جفا، اى من سكن البادية غلظ طبعه لقلة مخالطة الناس، والحفاء / غلظ الطبع- اللسان مادة (حفا).

[8] / الخصائص ٣٣٣/١.

[9] / البيت لقيس بن زهير العبسى فى إبل للربيع بن زياد العبسى استاقها وباعها بمكة وذلك أن الربيع كان قد أخذ منه درعاً ولم يردها إليه - الخصائص ٣٣٣/١.

فكان القياس أن يقول (ألم يأتك) لأن الفعل مجزوم إلا أنه لو قال ذلك لنقص الوزن لأنه يرجع إلى (مفاعيل) ألم يأت : مفاعيل.

ونخلص من ذلك إلى أن ابن جنّى كان يخلد كثيراً إلى الاستشهاد بالشعر، وأكد أجزم فى هذا الموضع أن ابن جنّى لم يدع شاعراً جاهليا لم يستشهد له ببيت من الشعر أو أكثر فى خصائصه.

أما النثر من أقوال العرب فيمكننا أن نقسم موقف ابن جنّى منه إلى قسمين:

الأول :-

موقفه من اللهجات العربية، وقد وجدته فى خصائصه يتتبع اللهجات العربية تتبعاً يمكن أن يكون أساساً ومنهجاً لدراسة اللهجات العربية، بل يمكن أن نعده مرجعاً أساسياً لكتب اللهجات، قديمها وحديثها، لذلك أفردت لموقفه منها مبحثاً خاصاً هو هو المبحث القادم إن شاء الله.

والثاني :-

موقفه من الحكم والأمثال الواردة عن العرب القدماء، وقد وجدته فى الخصائص يستشهد بعدد من الأمثال"[1]"، يشير أحياناً إلى أن ما سيذكره مثل"[2]"أو يكتفى بقوله :(مثل قول العرب)"[3]"، وقد يتصرف فى المثل، مثل قوله فى اسم الفعل (صه) مقارناً بينه وبين الفعل :(وليس كذلك صه،، لأنه ليس من الفعل (فى قُبيلٍ ولا دُبيرٍ) وأصل المثل (مَا يُعرَف قُبيلاً من دُبير)"[4]".

ولا بد لنا، والحديث عن مصادر الرواية عند ابن جنّى من الوقوف على موقفه من الكتب والمعاجم السابقة له.

أما الكتب فقد ذكر قراءته عدداً منها على شيوخه وأغفل ذكر قراءته عدداً آخر، ويميل أحد الباحثين المحدثين إلى أن ابن جنّى قد قرأ على شيوخه الكتب التى أخذ منها جميعاً، وإن لم يصرح بذلك لشدة كلفه بالرواية، ولعناية العلماء آنذاك بالأخذ عن الشيوخ، والقراءة عليهم"[5]"، وقد أورد فى الخصائص كتباً قليلة منها على سبيل المثال :

---

[1] / الخصائص ١١/١، ٣٩، ١٤٤، ٢٤٩، - ١٠٤/٢، ١٤٤ - ٤٧/٣.

[2] / السابق ١٤٤/٢.

[3] / السابق ١٤٤/١.

[4] / السابق ٤٧/٣.

[5] / الدراسات اللهجية والصوتية عن ابن جنّى - حسام سعيد النعيمى - ص ٣١.

١/ الأصول : لأبن السراج"[١]".
٢/ البغداديات : لأبى على الفارسى"[٢]".
٣/ الكتاب : لسيبويه"[٣]".
٤/ كتاب : حيلة ومحالة لأبى زيد"[٤]".
٥/ التذكرة : لأبى على"[٥]".
٦/ كتاب أبى حاتم فى القراءات"[٦]".
٧/ كتاب قطرب فى الرد على الملحدين"[٧]".

أما المعاجم السابقة له، فنجد أنه قد صنفت عدد من المعاجم قبل ابن جنى، وفى أثناء حياته، غير أنه لم يذكر فى الخصائص سوى معجمى (العين) المنسوب للخليل ابن أحمد الفراهيدى، و (الجمهره) للحسن بن دريد.

أما (العين) فيعتبر أول عمل معجمى كامل فى اللغة العربية، وقد اختلف الدارسون حول نسبته إلى الخليل وذهبوا فى ذلك إلى عدة آراء منها:

١/ إقرار نسبته إلى الخليل بن احمد.
٢/ إنكار هذه النسبة.
٣/ أن الخليل قد رسم المنهج ولم يحش المعجم"[٨]".

ويبدو أن ابن جنّى كان مع الرأى الثالث فقد ذهب إلى أن فى كتاب (العين) (من التخليط والفساد والخلل، ما لا يجوز أن يحمل على أصغر أتباع الخليل فضلاً عن نفسه، ولا محالة ان هذا تخليط لحق هذا الكتاب من قبل غيره -رحمه الله- وإن كان للخليل فيه عمل، فإنما هو انه أومأ إلى عمل هذا الكتاب إيماءاً ، ولم يمله بنفسه، ولا قدره ولا حرره، ويدل على أنه قد كان نحا نحوه، أنى أجد فيه معانى غامضة ونزوات للفكر

---

[١] / الخصائص ١/٢، ٢/٨، ١٦، ٣٤، ٤٢، ٦٤، ١١٨، ١٩٢، ١٩٤.
[٢] / السابق ١/٣٣١.
[٣] / السابق ١/١٨، ٢٧، ٢٩، ٦٤، ٨٨، ٨٩-٢/٤٤٠، ٤٤١.
[٤] / السابق ١/٩٧.
[٥] / السابق ١/٢٠٧.
[٦] / السابق ١/٧٥.
[٧] / السابق ٣/٢٥٥.
[٨] / المزهر فى علوم اللغة وأنواعها - للسيوطى ١/٧٦.

لطيفة وصنعه فى بعض الأحوال مستحكمة)"[1]" ويظهر لنا من خلال تكملة النص أن أبا على الفارسى كان منكراً للعين حيث يقول ابن جنّى :(وذاكرت به يوماً أبا على -رحمه الله- فرأيته منكراً له)"[2]" وقد وجدت ابن جنّى يردد آراء الخليل ويدافع عنها- وإن عارضه ونقضه فى أحيان قليلة- ، وعبارات ابن جنّى صريحة حين يدافع عن الخليل من مثل قوله معلقا على بعض القضايا اللغوية والصرفية :(فإنه مما يحقق مذهب الخليل)"[3]" وقوله :(فهذا أيضاً مما يشهد بصحة قول الخليل)"[4]".

يضاف لما سبق أن ابن جنّى إذا رأى مسألة لغوية تخالفه أو لا يقرها، او أن يكون غير متأكد من صحة نسبتها إلى الخليل فإنه يعزوها إلى من سماه :(صاحب العين)"[5]".

أما معجم (الجمهرة) لأبن دريد، فنجد ان ابن جنّى كان ينقل عن ابن دريد ويجله، غير أن هذا لم يمنعه من أن يصرح بحقيقة موقفه من (الجمهرة) لأن الأمانة العلمية تقتضى عدم التقاضى عما يقع فيه الدارسون من أخطاء وهنات. وقد رأى ابن جنّى فى الجمهرة من اضطراب التصنيف وفساد التصريف ما لا يمكن السكوت عنه، وكان حين نسخه يوقع فى متونه وحواشيه من التنبيه على مواضع الاضطراب والخطأ. واعترف ابن جنّى أنه استحيا من كثرته وأضاف :(ثم أنه لما طال على أومأت الى بعضه، وأضربت ألبته عن بعض)"[6]" وقد تمنى أحد الباحثين المحدثين لو أن ابن جنّى سجل ملحوظاته فى كتاب مستقل إذ إن ما أثبته فى الخصائص لا يعدو ان يكون ملحوظات قليلة لا تشفى غليل الباحث"[7]" وقد حاول ابن جنّى تصويب ما وقع فيه ابن دريد من أخطاء صرفية، منها :(أن ابن دريد قد وضع (أروى) فى باب (أرو) وقد سأل

---

[1] / الخصائص ٣/٢٨٨.

[2] / السابق ٣/٢٨٨.

[3] / الخصائص ٢/١٥٢ ، ١٥٤.

[4] / السابق ٢/٦٨.

[5] / الخصائص ١/٢٧٧ -١٧٨.

[6] / الخصائص ٣/٢٨٨.

[7] / مقال (شذرات معجمية فى كتاب الخصائص لمحمود جفال - ابحاث اليرموك ص ٢١٢.

ابن جنّى شيخه أبا على : من أين له أن اللام واو وما يؤمنه أن تكون ياء فتكون مـــن باب التقوى والرعوى؟ فجنح إلى ما نحن عليه من الأخذ بالظاهر وهو القول)"[1]".

وكذلك ذهب ابن جنّى إن ثعلباً وابن دريد قد ذهبا فى (يستعور) أنه (يفتعـــول) وقد وصف هذا الوزن بالفساد"[2]".

---

[1] / الخصائص ٢٥٥/١، وكتاب جمهرة اللغة، لابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن الازدى البصـــرى ٢٥٣/٣ (دط) (دت) مكتبة الثقافة الدينية.

[2] / الخصائص ٢١٥/٣.

المبحث الثالث:-

موقف ابن جنّى من اللهجات العربية:-

لم يكن للعرب فى أنحاء الجزيرة العربية لغة واحدة يتكلمون بها، بل كانت هنالك لهجات محلية، استقل كل منها بصفات خاصة، وقد أشار العلماء فى كتب اللغة لبعض ظواهر تلك اللهجات بنسبتها فى كثير من الأحيان لقبيلة معينة. أو لمجموعة من القبائل، أو نسبتها لمنطقة جغرافية من مناطق شبه الجزيرة العربية، وقد يكتفى الرواة أحياناً بقولهم : ومن العرب من يقول كذا، دون تحديد لاصحاب هذا القول.

وقبل أن أعرض لموقف ابن جنّى من الاحتجاج باللهجات العربية لابد أن أقف على تعريف اللهجة، والفرق بينها وبين اللغة وبيان الصفات التى تتميز بها اللهجة وأسباب تكوينها.

اللهجة فى اللغة :-

من (لَهَجَ) لَهِجَ بالشئ: أى أولع به واعتاده، واللَّهج: هو الولوع، واللَّهجَة واللَّهَجَة :(طرف اللسان وهى جرس الكلام، ويقال : فلان فصيح اللهجة وهى لغته التى جبل عليها فاعتادها، وتطلق على اللسان)"[1]".

أما اللهجة فى الاصطلاح العلمى الحديث :

(هى مجموعة من الصفات اللغوية تنتمى إلى بيئة خاصة ويشترك فى هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة)"[2]".

وقد تضم البيئة الواحدة عدة لهجات لكل منها خصائصها ولكنها تشترك جميعاً فى مجموعة من الظواهر اللغوية، لتكون ما اصطلح على تسميته (باللغة) فالعلاقة بين اللغة واللهجة هى علاقة بين العام والخاص (لأن اللغة تشتمل عادة على عدة لهجات تشترك فى مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التى تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات)"[3]".

---

[1] / اللسان – مادة (لهج).

[2] / اللهجات العربية – إبراهيم انيس ص ١٦ – ط٣ ١٩٦٣م مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة.

[3] / السابق – ص١٦.

وقد ذكر بعض الباحثين المحدثين أنه (لا يفرق علم اللغة بين لهجة ولغة، فكل لهجة هى لغة قائمة بذاتها بنظامها الصوتى وبنحوها وتراكيبها وبمقدرتها على التعبير)"[1]".

أما علماء العربية القدماء فقد أطلقوا مصطلح (اللغة) على (اللهجة) فكثير ما يشير أصحاب المعاجم إلى لغة تميم ولغة طئ، يريدون بذلك اللهجة، وعبروا عن اللغة بكلمة اللسان ويؤيد ذلك ما جاء فى القرآن الكريم من استعمال كلمة اللسان فى معنى اللغة نحو ثمانى مرات"[2]".

وتكاد الصفات التى تتميز بها اللهجة تنحصر فى الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها.

أما الأسباب التى ادت إلى تكون اللهجات العربية فيمكن أن نرجعها إلى عاملين رئيسين هما :

١/ العزلة التى تعود إلى طبيعة الجزيرة العربية من حيث اتساعها وترامى أطرافها واختلاف طبيعتها الجغرافية التى كونت حواجز بين القبائل العربية مما كان له الأثر الأكبر فى محافظة تلك القبائل على ما كان يستجد عندها من ألفاظ واختلاف فى الصوت، وعدم نقله إلى القبائل الأخرى مما أدى بمرور الزمن إلى أن تتحول اللغة العربية الواحدة إلى لهجات كثيرة متعددة.

٢/ و العامل الثانى هو الاختلاط بغير العرب من الأعاجم، ويتضح ذلك من تحديدهم لقبائل معينة فى عصور الاحتجاج للأخذ بلغتها، اما القبائل التى لم يؤخذ عنها فلاختلاطها بغيرها من الأمم، فلا شك أن ذلك ساعد بقدر على اختلاف اللهجات العربية"[3]" إضافة إلى هذه العوامل فإننا نجد أن الظروف الاجتماعية فى البيئة الواحدة قد تولد أنواعاً من اللهجات الخاصة كتلك التى نراها بين أصحاب حرفة من الحرف أو بين طائفة من الناس قد انعزلت عن المجتمع لأى سبب من الأسباب"[4]".

---

[1] / الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّى – حسام سعيد النعيمى – ص ٢٦١.

[2] / سورة أبراهيم آية رقم (٤) – سورة النحل آية رقم (١٠٣) – سورة مريم آية رقم (٥٠) – سورة الشعراء آية رقم (١٢٥) – سورة القصص آية رقم (٣٤) – سورة الروم آية رقم (٢٢) – سورة الدخان آية رقم (٥٨) – سورة الأحقاف آية رقم (١٢).

[3] / الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّى – حسام سعيد النعيمى ص ٧٨-٨١.

[4] / اللهجات العربية – إبراهيم أنيس – ص ٢٠.

وقد اختلفت نظرة العلماء إلى اللهجات العربية باختلاف العصـــور والعوامـل السياسية والاجتماعية، فقبل الإسلام كانت لكل قبيلة لهجتها التى تتميز بصفاتها الخاصة، ولكنهم جميعاً اشتركوا فيما يعرف باللغة النموذجية التى نشأت فى مكة لغـــة للخطابـــة ونظم الشعر.

ولما جاء الاسلام وألف بين قلوب المسلمين جميعاً سمح بأن يقرأ القرآن الكريـم بتلك اللهجات، وهذا هو معنى الحديث الشريف :(أُنزِلَ القرآنُ على سبْعةِ أحَرُف)"[1]".

فلما اتسعت الدولة العربية، أهمل العلماء اللهجات حفاظاً على وحدتها، وللقضاء على عوامل الفرقة فيها، ولم يرو لنا عن اللهجات إلا القليل فى ثنايا كتب اللغـة والأدب والتاريخ. ولما جاء عهد التدوين بدأ الرواة يفرقون بين قبيلة وأخرى، فرفضوا الأخـــذ عن كثير من القبائل لاتصالها بالأمم الأخرى"[2]".

وهكذا نجد من اللغويين المتأخرين من قد بالغ كثيراً فى الاعتماد على لـــهجات القبائل البدوية فى بناء قواعد العربية، فبدت القواعد العربية متعددة الوجوه مما أدى إلى التناقض والاضطراب، لأنهم لم يفرقوا بين اللغة الأدبية الموحدة وبين لهجات التخاطب بين القبائل. ويرى أحد الباحثين المحدثين أن الرواة لو وقفوا فى استنباط قواعدهم عنـد اللغة الأدبية التى جاءت موحدة ومتمثلة فى الأدب الجاهلى والقرآن لجنبوا انفسهم الكثير من الجدل حول ما يجوز وما لا يجوز"[3]".

أما ابن جنّى فقد عرض فى خصائصه إلى اللهجات العربية والاحتجـــاج بـها وأشار إلى أسباب اختلاف اللهجات، وأنواع هذا الاختلاف إضافة إلى ذلك تناول اللفظة، ومتى تكون لهجة ومتى لا تكون.

وابن جنّى لم يفرق بين قبيلة وأخرى بل عدهم جميعاً سواء فى جـــواز الأخـذ عنهم والاحتجاج بأقوالهم فقد عقد في الخصائص بابـاً مسـتقلاً بعنـوان :(اختـلاف اللغات"[4]" وكلها حُجَّة)"[5]" يشير فيه إلى أنه يمكن الاحتجاج بأى لهجة من لهجات العرب،

---

[1] / الحديث فى مسند الامام أحمد بن حنبل – مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيبانى ٥/٥٠١-دط ت مؤسسة قرطبة للنشر القاهرة.

[2] / اللهجات العربية – ابراهيم انيس – ص ٤٧.

[3] / السابق – ص ٤٨.

[4] / نلاحظ أنه استخدم اللغة وأراد بها اللهجة.

[5] / الخصائص ٢/١٠.

بل جواز استعمالها والقياس عليها وقد نص على ذلك بقوله :(وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ وإن كان غير ما جاء به خيراً منه)"[1]".

ولكنه لم يطلق كلامه هذا دون تقييد بل حاول أن يحتاط بالأمر بأن فصل القول فيه، فمنع تارة وأجاز أخرى، ويكمن أن نلخص موقفه فى استعمال هذه اللغات فى ثلاث نقاط:

١/ أن تكون اللهجتان فى الاستعمال والقياس متدانيتين متراستلتين أو كالمتراستلتين؛ وحينئذ لك أن تستعمل أىَ اللهجتين شئت أو أن تختار إحداهما لقوة فى القياس ولكن لا ترد بها الثانية يقول :(اعلم أن سعة القياس تبيح لهم ذلك و لا تحظره عليهم؛ إلا ترى أن لغة التميمين فى ترك اعمال (ما) يقبلها القياس، ولغة الحجازيين فى اعمالها كذلك؛ لأن لكل واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به ويخلد إلى مثله. وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها؛ لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها. لكن غاية مالك فى ذلك أن تتخير إحداهما فتقويها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها وأشد انساً بها، فأما رد إحداهما بالأخرى فلا)"[2]"، نجد أن ابن جنّى فى هذا النص يشير ألى أن الحكم فى اختيار إحدى اللهجتين فى هذه الحالة هو القياس، ولكن نجده فى مواضع أخرى عندما يقف بين لهجتين متدانيتين يعتمد على السماع، واستعمال القرآن لهذه اللهجة وتلك، كموقفه من (ما) التميمية حيث يقول :(وإنما كانت التميمية أقوى قياساً من حيث كانت عندهم كهل...)"[3]".

فابن جنّى يصرح أن التميمية أقوى فى القياس، وعلى هذا فالمنتظر؛ بناء على قاعدته التى ذكرها فى الاختيار أن يحكم باختيار التميمية على الحجازية، إلا أننا نجده ينص صراحة على اختيار الحجازية معللاً ذلك بكثرة الاستعمال مستدلاً بنزول القرآن بها فيقول :(إلا أنك إذا استعملت أنت شيئاً من ذلك فالوجه أن تحمله على ما كثر استعماله وهو اللغة الحجازية، ألا ترى أن القرآن نزل بها)"[4]".

---

[1] / الخصائص ١٢/٢.

[2] / وهو فى هذا متابع لسيبويه حيث قال :(وأما بنو تميم فيجرونها مجرى أما وهل وهو القياس لأنها ليست بفعل، وليس ما كليس ولا يكون فيها اضمار – الكتاب ٢٨/١.

[3] / الخصائص ١٢٥/١.

[4] / السابق ١٢٥/١.

٢/ أن تكون إحدى اللهجتين قليلة الاستعمال، والثانية شائعة كثيرة الاستعمال.

وفى هذه الحالة يجب أن تستعمل ما كثر استعماله وتتجاوز ما كان استعماله قليلاً يقول :(فأما أن تقل إحداهما جداً وتكثر الأخرى جداً، فإنك تأخذ بأوسعها رواية، وأقواها قياساً، ألا تراك لا تقول : مررتُ بَكَ، ولا المال لِكَ قياساً على قول قضاعة؛ المال لِهُ ومررتَ بَه، ولاتقول :أكرمْتكِشْ ولا اكرمْتكِس، قياساً على لغة من قال : مررت بِكِش وعجبت منكس)"[١]".

ويتضح لنا من هذه الأمثلة التى ذكرها إنه يعتمد فى اختيار إحدى اللغتين فى هذه الحالة على اتساع الرواية وكثرة الاستعمال كما ذكر.

٣/ أن يكون استعمال اللهجة فى شعر أو سجع:

فهو فى هذه الحالة يجيز استعمال اللغة القليلة وليس لأحد أن يعترض على الشاعر او الساجع لاستعماله اللهجة الضعيفة بقوله :(فأما أن يحتاج إلى ذلك فى شعر أو سجع، فإنه مقبول ، غير منعى عليه)"[٢]" وهو يشير فى موضع آخر إلى أن الإنسان ولو استعمل اللغة الضعيفة (لم يكن مخطئاً لكلام العرب لكنه يكون مخطئاً لأجود اللغتين)"[٣]".

وعلى رأى أحد الباحثين المحدثين أن قول ابن جنّى :

(إن الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ)؟ يمكن أن يقبل فى العرب الذين استشهد العلماء بلغتهم؛ أى الذين أخذوا لغتهم على السليقة ولم يأخذوها من أماكن الدرس؛ فهؤلاء إذا جاءنا شاهد لأحدهم على خلاف اللغة المستعملة لم نخرجه من العربية، ولكن نقول أنه خلاف اللغة التى عليها جمهور أدب العرب، أما المتعلم للغة فينبغى أن يصير إلى ما شاع استعماله عن العرب لا القليل النادر وكما رأينا فى عصور الاحتجاج فإن جمهور الناس المعاصرين لابن جنّى لا يصح الاستشهاد بلغتهم، فلذا نرى أن تحمل إجازة ابن جنّى على ما ورد من كلام العرب المستشهد بلغتهم لا على كلام أهل زمانه، ولم يقبل منه إباحته ذلك فى الشعر والسجع لأن الضرورة ينبغى ألا تكون سبيلاً للاتكاء على النادر القليل وترك الشائع الكثير من لغة العرب"[٤]".

---

[١] / الخصائص ٢/١٠.

[٢] / السابق ٢/١٢.

[٣] / السابق ٢/١٢.

[٤] / الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّى – حسام سعيد النعيمى ص ٨٥.

وهكذا نرى أن ابن جنّى يقبل الاحتجاج باللهجات العربية إذا كانت اللهجة موافقة للسماع والقياس بل إنه يقبل اللهجة حتى لو كانت مخالفة للقياس لأن الناطق بها عربى يحتج بكلامه، أما إذا كانت اللهجة قليلة أو نادرة فهى مقبولة فى الشعر والسجع.

إضافة إلى ذلك فقد أشار ابن جنّى فى خصائصه إلى الاختلاف بين اللهجات العربية وأسباب تكونه وأنواعه.

فقد سأل ابن جنّى دارساً للغة العربية عن سبب اختلاف اللهجات العربية وحاول أن يقدم جواباً عن ذلك فكان من كلام أبى الحسن الأخفش أحد احتمالين :

الأول :-

أن أول ما وضع منها على خلاف، وإن كان كله مسوقاً على صحة وقياس، ثمَّ أحدثوا من بعد أشياء كثيرة للحاجة إليها، غير أنها على قياس، ما كان وضع فى الأصل مختلفاً، وإن كان كل واحد آخذاً من صحة القياس حظاً)"[1]".

ولم يعقب ابن جنّى على هذا الرأى ، وهو مخالف لما عليه الدراسات اللغوية الحديثة"[2]".

الثانى :-

أن يكون الموضوع الأول ضرباً واحداً ثم رأى من جاء من بعد أن خالف قياس الأول إلى قياس ثان جار فى الصحة مجرى الأول، وقد عقب ابن جنّى على هذا الرأى بأمرين:

الأول :-

أن سعة القياس تجعل ما قاله غير بعيد بل تجوز فى الشئ أوجهاً عديدة لا وجهين فقط.

الثانى :-

أنه ما دام كلا القياسين صحيحاً فإنه كان بالإمكان أن يبدأ الأول بالقياس الذى صار الثانى إليه.

فهذا القبول للرأى الثانى من ابن جنّى يوضح لنا اعجابه الشديد بالعربية، فكأنه يرى أن مسألة اختلاف اللهجات صدرت عن حكمة وقصد، أما لماذا انتقل العربى من

---

[1] / الخصائص ٢/٢٩.

[2] / الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّى – حسام سعيد النعيمى – ص ٧٧.

القياس الأول إلى القياس الثانى؟ فلم يجب ابن جنّى عن هذا السؤال، وكأنه يترك المجال للعلماء من بعده للاجابة على ذلك. وحتى عصرنا هذا لم يجد العلماء من بعده إجابة قاطعة عن هذا السؤال فقد تطورت دراسة اللهجات فى القرنين الأخيرين حتى اصبحت الآن عنصراً مهماً بين الدراسات اللغوية الحديثة وأسست لها فروع خاصة بدراستها تعنى بشرحها وتحليل خصائصها وانتهوا إلى نتائج تكاد تكون متقاربة وهو أن هناك أسباب داخلية لكل لغة طبقية ومهنية وطبيعية تختلف من لغة إلى أخرى"[1]".

وكما أشرت فى موضع سابق إلى أسباب الاختلاف بين اللهجات العربية، ومن بينها (العزلة) يشير ابن جنّى إلى ذلك بأن الاختلاف بدأ يتضاءل بسبب اختلاط العرب ببعضهم ومراعاة بعضهم لغة بعض إذ يقول :(لأن العرب وإن كانوا كثيراً منتشرين، وخلقاً عظيماً فى أرض الله غير متحجرين ولا متضاغطين فإنهم بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة فى دار واحدة فبعضهم يلاحظ صاحبة ويراعى امر لغته)"[2]".

وقد نص فى موضع آخر على أن الخلاف بين اللهجات العربية ليس خلافاً عميقاً وإنما هو خلاف يسير يتناول الفروع لا الأصول :(فإن قلت : زعمت أن العرب تجتمع على لغتها فلا تختلف فيها وقد نراها ظاهرة الخلاف) وضرب مثلاً لذلك بالخلاف فى (ما) التميمية والحجازية والحكاية فى الاستفهام عن الاعلام فى الحجازية، وترك ذلك فى التميمية)"[3]" فيرد :(هذا القدر من الخلاف لقلته ونزارته محتقر غير محتفل به ولا معيج"[4]" عليه، وإنما هو فى شئ من الفروع يسير، فأما الأصول وما عليه العامة والجمهور فلا خلاف فيه ولا مذهب للطاعن به)"[5]".

فابن جنّى يرى أن اتساع الجزيرة العربية وتنوع أراضيها لم يقف امام اتصال العرب ببعضهم ولم يؤد إلى فقد الاتفاق فى الأصول بين اللهجات، لأن القبائل العربية كانت تتصل ببعضها بطرق متعددة كالأسواق التجارية والأدبية والمواسم الدينية

---

[1] / الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّى ٧٨ – اللهجات العربية انيس ٢١ وما بعدها.

[2] / الخصائص ١٥/٢-١٦.

[3] / يقول الحجازيون : ما زيد قائماً، ويقول التميميون : ما زيد قائم وفى حكاية الاستفهام يقول الحجازيون فى رد الاستفهام فى نحو أرأيت زيداً؟ من زيداً؟ بالحكاية – ويقول التميميون : من زيد؟ ولا يحكون – الكتاب ٤٠٣/١ – وشرح الرضى على الكافية ٦٣/٢.

[4] / ما عاج بالشئ : ما اكترث به وقد ضمنه معنى الحرص فعداه بعلى الخصائص ٤٤/١ هامش ٣.

[5] / الخصائص ٢٤٣/١-٢٤٤.

والغزوات .. وغير ذلك. وهذا ما توصل اليه الدرس الحديث أيضاً فقد ذكر أحد الباحثين المحدثين أنه :(لم تكن لهجات القبائل البدوية بالجزيرة العربية بعيدة الاختلاف من الوجهة اللغوية بحيث لا يمكن التفاهم حتى بين القبائل المتباعدة بعضها عن بعض فى السكن والجوار إذ إن أغلب الفروق فيما يظهر كانت ترجع الى طبيعة اختلاف الأصوات والقوالب والمفردات)"[١]" وهذا ما سبق إليه ابن جنّى فهو كما رأينا لا ينكر وجود الخلاف بين اللهجات العربية، ولكنه يرى أن هذا الخلاف جميعه مبنى على القياس، وإلا لما وجدت لغة أدبية مشتركة بين العرب، ولما رأينا منهم إعراباً. ولما رأينا تلك القوانين المنظمة الدقيقة التى تنتظم العربية يقول :(ومع هذا فليس شئ مما يختلفون فيه – على قلته وخفته– إلا له من القياس وجه يؤخذ به - ولو كانت هذه اللغة حشواً مكيلاً"[٢]" وحثواً مهيلاً"[٣]"، لكثر خلافها، وتعادت اوصافها، فجاء عنهم جر الفاعل، ورفع المضاف إليه، والمفعول به، والجزم بحروف النصب، والنصب بحروف الجزم، بل جاء عنهم الكلام سدى غير محصل، وغفلاً"[٤]" من الاعراب، ولاستغنى بإرساله وإهماله عن إقامة اعرابه، والكلف الظاهرة بالمحاماة على أحكامه)"[٥]".

أما أنواع الاختلاف القائم بين اللهجات فقد رأينا الدرس اللغوى الحديث يحصره فى طبيعة الأصوات وكيفية صدورها إضافة إلى اختلاف بسيط يرجع إلى بنية الكلمة ونسجها أو معانى بعض الكلمات"[٦]" مما دفع أحد الباحثين المحدثين الى تقسيم هذا الاختلاف إلى قسمين :

الأول : داخلى : يتناول اللفظة بحروفها وأصواتها وحركاتها.

---

[١] / مستقبل اللغة العربية المشتركة – ابراهيم انيس ص٢٠ د.ط: ١٩٥٩م مصر – والعربية – يوهان فك ص ٧-٨.

[٢] / الحشو : الرذال والردئى، ووصفه بالمكيل أن ليس مما يدق ويتنافس فيه فيوزن كالذهب – الخصائص ٢٤٤/١ هامش (٥).

[٣] / حثواً: بمعنى : حثياً : وهو ما يحثى ويثار كالتراب والرمل، ومهيلاً : أى ينهال وينصب عند سقوطه بلا فقدان ولا ضبط – الخصائص ٢٤٤/١ هامش (٦).

[٤] / الغفل : أغفله وغفله : تركه وسها عنه ، ودابة غفل لاسمة عليها – اللسان مادة (غفل).

[٥] / الخصائص ٢٤٤/١.

[٦] / اللهجات العربية – أنيس – ص ١٧.

والثانى : خارجى : يتعلق بما ترمز إليه اللفظة وبتغيرها فى التركيب ويشمل المعنى والإعراب"[1]".

أما ابن جنّى فقد تناول هذا الاختلاف كما أشار اليه المحدثون. فالأول : فى طبيعة الأصوات وكيفية صدروها فقد تناوله فى كتبه المختلفة وأفرد له بحوثاً خاصة فى كتابه (سر صناعة الأعراب) ويضيق لى المجال عن تناولها فى هذا الموضع، ولكنها دعوة منى للباحثين -من بعدى- للتنقيب فى هذا المجال، وتطبيقه على اللهجات الحديثة، خاصة لهجاتنا المحلية التى يبدو فيها هذا النوع من الاختلاف واضحاً. وحسبى فى هذا الموضع أن أوضح أن ابن جنّى قد تناول هذا الجانب بدقة وطبقة على اللهجات العربية فى القرن الرابع الهجرى بالملاحظة والاستقراء دون أن تتوفر له الإمكانيات الحديثة من معامل صوتيات وأجهزة تسجيل وغيرها.

أما الاختلاف فى بنية الكلمة ونسجها، فهو ناتج عن الاختلاف فى الأصوات، وتلتزم القبائل هذا التغيير فى مواضعه ولا يستطيعون غيره إلا مع كثير من العنت وهو على -حد رأي إبراهيم أنيس- تغيراً طفيفاً فى معظم الأحيان لا يصعب معه التعرف على الكلمة فى صورتها الأصلية أو صورتها الأكثر شيوعاً والأفصح استعمالاً"[2]".

أما ابن جنّى فنجده قد اهتم بالبحث فى هذا الموضوع فى كتابه الخصائص وتناوله فى أكثر من موضع وعقد له أبواباً أربعة:-

الاول : (باب فى الفصيح يجتمع فى كلامه لغتان فصاعداً)"[3]".

والثانى : (باب فى تركب اللغات)"[4]".

والثالث : (باب فى الأصلين يتقاربان فى التركيب بالتقديم والتأخير)"[5]".

والرابع : (باب فى الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه)"[6]".

أشار فى الباب الاول إلى أن الفصيح قد يجمع بين لهجتين فى كلامه، ولكنه لم يوضح لنا ما يعنى بكلام الفصيح، ألغة تخاطبه بين ابناء قبيلته -أى لهجته الخاص- أم

---

[1] / الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّى – ص ٨٦.

[2] / اللهجات العربية – ابراهيم انيس – ص ١٥٨.

[3] / الخصائص ١/٣٧٠-٣٧٤.

[4] / السابق ١/٣٧٤-٣٩١.

[5] / السابق ٢/٦٩.

[6] / السابق ٢/٨٢-٨٨.

تلك اللغة النموذجية التى تجمع بين اللهجات المختلفة؟ وروى فى هذا الفصل أمثلة لكلمات مختلفة البنية مثل : بغداد - بغدان - مغدان - وطبرزل - وطبرزن.

وختم الفصل بقصة رويت عن الأصمعى يوضح منها الاختلاف فى كلمة :الصقر، والسقر، والزقر"[1]".

والراجح أن هذه الكلمات المختلفة البنية تنتمى إلى لهجات متعددة، وقد ينتمى بعضها إلى لهجة واحدة فى جيلين مختلفين ولكن ابن جنّى يوردها على أنها جميعها فصيحة، لأنه كما رأينا يعترف بجميع اللهجات فى الاستعمال ويرى انها صالحة للاحتجاج بها ثم تناول فى الباب الثانى (تركب اللغات) وهو يرى فى موضع آخر أنه أمر تجيزه كثرة اللقاء بين العرب واختلاطهم وسماع بعضهم من بعض (فهم-وإن كانوا منتشرين على أرض الجزيرة الواسعة إلا أنهم يجرون مجرى الجماعة الواحدة فى تلاقيهم وتزاورهم)"[2]".

وقد ذكر ابن جنّى أن العرب يختلفون فى الاستعداد للأخذ من اللهجات الأخرى، وجعلهم فى ثلاثة أقسام:

١/ قسم يأخذ ما يسمعه من غير تردد أو إبطاء.

٢/ قسم يقيم على لهجته، فلا يؤثر فيه سماعه غيره من الألفاظ.

٣/ وقسم بين هذا وذاك؛ حيث يظهر عليه أثر ما سمع إذا طال تكراره فيظهر فى كلامه بمرور الوقت"[3]".

ولا يشترط أن يكون الأخذ للصيغة كاملاً فى كل أحوالها إذ قد يقتصر الأخذ على صورة من صورها :(لأن آخذاً إلى لغته لغة غيره قد يجوز أن يقتصر على بعض اللغة التى أضافها إلى لغته دون بعض)"[4]".

وقد تؤثر كل من اللهجتين فى الأخرى بحيث تأخذ هذه من تلك شيئاً، وتأخذ تلك من هذه شيئاً غيره فيؤدى ذلك إلى تركب لهجة ثالثة)"[5]" ولكنه لم يحدثنا عن كيف تتداخل اللغات، ولا عن الدوافع التى قد تدعو لمثل هذا التداخل.

---

[1] / الخصائص ١/٣٧٤.

[2] / السابق ٢/١٥-١٦.

[3] / السابق ١/٣٨٣.

[4] / السابق ١/٣٨٠.

[5] / السابق ١/٣٨١.

ويرى إبراهيم أنيس أن ابن جنّى قد مال إلى الناحية الصناعية البحتة فى تفسيره أفعالاً مثلا (قنط، يقنط) و (نعم، ينعم) و (فضل، يفضل) ولكنه يرى أن ابن جنّى كان موفقاً كل التوفيق حين عرض فى هذا الباب إلى قانون (المغايرة) الذى اعترف به المحدثون وأشاروا إلى أهميته فى (الاشتقاق) فى قوله :(وقد دلت الدلالة على وجوب مخالفة صيغة الماضى لصيغة المضارع) ثم قال :(وإنما دخلت يفعل فى باب (فعل يفعل، من حيث كانت كل واحدة من الضمة والكسرة مخالفة للفتحة)"[1]".

أما تداخل الأفعال الذى أشار إليه ابن جنّى فهو ينظر إليها على أنها تنتمى إلى لهجات متعددة، لأن الاستعارة بين اللغات -عند علماء اللغة المحدثين- تكون فى الكلمات لا الصيغ، وليس هناك من مبرر لامتزاج اللهجتين لتنشأ منهما لهجة ثالثة"[2]".

أما الباب الثالث : فقد عرض فيه ابن جنّى إلى كلمات رويت مختلفة البنية، باختلاف ترتيب الأصوات فيها مع اتحاد معناها، وقسم هذه الكلمات إلى ضربين:

الأول منها : مقلوب عن نظائرها، والثانى : كلمات مستقلة بعضها عن بعض وكل منها أصل مستقل بذاته مثال الأول : (امضحل) مقلوبة عن (اضمحل) و (اكرهف) مقلوبة عن (اكفهر).

أما الثانى نحو (جذب) و (جبذ) فكل منهما أصل مستقل بذاته وليس أحدهما مقلوب الآخر)"[3]" ومثل هذا النوع من القلب نجده فى معظم لغات العالم، ويعزوه إبراهيم أنيس إلى :(اخطاء السمع بين الكبار، أو من أخطاء الأطفال ثم صار الخطأ صواباً)"[4]".

أما الباب الرابع : فهو تابع للباب السابق وتال له تناول فيه إبدال الحروف فى الأصل الواحد قرر فيه (معاملة الحرفين جميعاً - المبدل والمبدل منه- على أنهما أصلان ما امكن ذلك، إلا إذا دل دال او دعت ضرورة إلى القول بابدال أحدهما من صاحبه) ومثل لذلك بعدة امثلة منها (هتل وهتن) فهو يرى أنهما أصلان لتساويهما فى التصرف فيقولون : هننت السماء تهتن تهتاناً، وهتلت تهتل تهتالاً)"[5]".

---

[1] / الأصوات اللغوية - إبراهيم انيس - ص ٤٧.

[2] / فى اللهجات العربية - إبراهيم انيس - ص ١٦٦.

[3] / الخصائص ٦٩/٢.

[4] / فى اللهجات العربية - إبراهيم انيس - ص ١٦٧.

[5] / الخصائص ٨٢/٢.

هذا بالنسبة لاختلاف اللفظ واتفاق المعنى -أى الاختلاف فى بنية الكلمة- وهو كما رأيناه واقع فى اللغة العربية، وقد عزاه العلماء إلى اختلاف اللهجات.

وهناك نوع آخر من الاختلاف أشار إليه ابن جنّى فى خصائصه وتناوله فى اكثر من موضع، إلا أنه كان تناولاً بعيداً عن اللهجات. وهو اختلاف المعنى واللفظ واحد.

فعقد باباً بعنوان : (باب فى اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فى الحروف والحركات والسكون)"[1]" قسم فيه الكلام الى ثلاثة أقسام:-

١/ اختلاف اللفظين ولاختلاف المعنيين : وليس فى هذا شئ من اختلاف اللهجات.

٢/ اختلاف اللفظين واتفاق المعنيين :وهو ما يعرف فى علم اللغة الحديث بالترادف.

٢/ والثالث هو الذى قال عنه ابن جنّى أنه ليس من غرضه فى هذا الباب، وهو الذى يعنينا فى دراسة اللهجات، إذ يمكن أن نعده من ظواهر اختلاف اللهجات فى التعبير عن المعانى المتفرقة بلفظ واحد، ومثل له بعدة أمثلة؛ نحو :(وجدت فى الحزن، ووجدت الضالة، ووجدت فى الغضب، ووجدت أى علمت؛ كقولك وجدت الله غالباً. (والصدى) :الطائر يخرج من رأس المقتول إذا لم يدرك بثأره ، و (الصدى) : العطش، و (الصدى): ما يعارض الصوت فى الأوعية الخالية، و (الصدى) من قولهم : فلان صدى مال؛ أى حسن الرعية له والقيام عليه.. وغير ذلك من الأمثلة)"[2]" وواضح أنه يريد ما اتفق لفظه واختلف معناه وهو ما يعرف (بالمشترك اللفظى) ومما يتصل بهذا الموضوع حديث الأضداد، لأنه لفظ واحد يؤدى معنيين اثنين وإن كانا ضدين، وقد ذكر له ابن جنّى مثالاً وهو يتكلم على اختلاف لهجة العرب من ابناء نزار عن لهجة عرب حمير :(ويكفى من هذا ما تعلمه من بعد لغة حمير من لغة ابنى نزار. روينا عن الأصمعى أن رجلاً"[3]" من العرب دخل على ملك ظفار"[4]" فقال له الملك : ثب، وثب بالحميرية : اجلس، فوثب الرجل فاندقت رجلاه)"[5]" فنجد أن كلمة (ثب) هنا استخدمت فى المعنى وضده، وهذا ما يعزى إلى اختلاف اللهجات الذى ادركه ابن جنّى فدعا إلى

---

[1] / الخصائص ٢/٩٣-١٠٣.

[2] / السابق ٢/٩٣.

[3] / هو زيد بن عبد الله بن دارم – الخصائص ٢/٢٨ هامش ١.

[4] / وصفها ابن جنّى بأنها مدينة لم يجيء منها الجزع الظفارى الخصائص ٢/٢٨.

[5] / الخصائص ٢/٢٨.

حسن الظن بما يرد على لسان العربى مخالفاً لما عليه الجمهور إذا كان فصيحـــاً فـــى جميع ما يرد على لسانه عدا ذلك القدر الذى انفرد به فيقول :(فلسنا نشك فى بعد لغـــة حمير عن لغة ابنى نزار فقد يمكن أن يقع شئ من تلك اللغة فى لغتهم فيساء الظن فيـــه بمن سمع منه وإنما هو منقول من تلك اللغة)"[1]".

وهناك نوع آخر من الاختلاف بين اللهجات العربية أشار إليه ابن جنّـــى فـــى خصائصه، وهو: الاختلاف فى الاعراب فذكر أنه (بين العلماء أعم منه بين العـــرب، وذلك أن العلماء اختلفوا فى الاعتلال لما اتفقت العرب عليه، كما اختلفوا أيضـــاً فيمـــا اختلفت العرب فيه)"[2]" ومن ذلك مثلاً الخلاف بين التميمين والحجازين فى خبر المبتـــدأ إذا دخلت ما عليهما كما مر بنا من قبل فى هذا المبحث"[3]".

ومن ذلك أيضاً اختلافهم فى (هلم) : حيث أجراه الحجازيون مجرى (صه ومه، ورويد) مما سمى به الفعل وألزم طريقاً واحداً، وبنو تميم يلحقونها علم التثنية والتـأنيث والجمع ويراعون أصل ما كانت عليه لم)"[4]".

على ان هلم عن التميمين ايضاً (اسم سمى به الفعل وليست مبقاة على ما كـانت عليه قبل التركيب)"[5]".

ويرى أحد الباحثين المحدثين أن ابن جنّى فى هذه الأمثلة :(إنما يعلل الخـــلاف بين اللهجات بما يمكن أن يطلق عليه : اختلاف اللهجات فى تصورها لارتباط اللفظـــة بغيرها، فهى فى (ما) ارتبطت فى ذهن الحجازى بليس ولم ترتبط بها فى ذهن التميمى ... وهكذا)"[6]".

وغير ذلك الكثير من الأمثلة التى ذكرها ابن جنّى فى خصائصه والتى تدل على اختلاف العرب فى الإعراب"[7]".

هذا هو موقف ابن جنّى من اللهجات العربية كأحد مصادر الرواية التى اعتمدها اللغويون فى استنباط قواعد اللغة، ولابد لى فى هذا الموضع أن اقف قليلاً عند موضوع

---

[1] / الخصائص ٣٨٦/١.

[2] / السابق ١٦٨/١.

[3] / انظر ص٨٢ من هذا المبحث.

[4] / الخصائص ١٦٧/١.

[5] / السابق ٣٦/٣.

[6] / الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّى- حسام سعيد النعيمى ص ٢٤٣-٢٤٤.

[7] / الخصائص ٣٣٨/١ وما بعدها - ١٣٢،٣٨،٣٧/٢.

عرض له ابن جنّى فى خصائصه، وهو شذوذ اللهجات والمقايسة بينها فعقد باباً بعنوان (القول على الاطراد والشذوذ)"[1]" فصل فيه القول فى الشاذ والمطرد فى اللغة، فجعله على أربعة أضرب، معتمداً فى هذا التقسيم على مبدأى السماع والقياس:-

الأول : ما كان مطرداً فى الاستعمال والقياس نحو :(قام زيد).

الثانى : ما كان مطرداً فى القياس ، شاذاً فى الاستعمال نحو : الماضى من يدع ويذر.

الثالث : ما كان مطرداً فى الاستعمال شاذاً فى القياس مثل : استحوذ واستصوب.

الرابع : ما كان شاذاً فى الاستعمال والقياس ومثل له بقول بعضهم : ثوب مصوون ومسك مدووف.

أما الأول فهو الغاية المطلوبة كما ذكر ، والثانى فيرى أن الشئ " إذا كان شاذاً فى السماع مطرداً فى القياس تحاميت ما تحامت العرب من ذلك وجريت فى نظيره على الواجب فى أمثاله" "[2]" فهو يرى أن اطراد الكلمة فى القياس لا يشفع للمتكلم فى استعمالها ما دامت العرب قد استغنت بغيرها عنها، فالقياس وراء الاستعمال، مما يدلنا على أن العلماء استنبطوا قواعدهم من الشواهد.

أما الضرب الثالث : وهو ما كان مطرداً فى الاستعمال شاذاً فى القياس فيرى أنه (لابد من اتباع السمع الوارد به فيه نفسه لكنه لا يتخذ أصلاً يقاس عليه غيره)"[3]" فالشذوذ فى القياس إذن لا يمنع من استعمال المطرد سماعه، وإنما يمنع القياس عليه فالقياس فى (استحوذ واستصوب) قلب الواو ألفاً بعد نقل حركتها الفتحة إلى الساكن الصحيح قبلها، نحو (استقام) فأصلها (استقوم) لا يجوز القياس على استحوذ واستصوب لأنه قليل.

أما الضرب الرابع؛ فحكمه كالثالث لا يجوز القياس عليه فلا يجوز أن نقول :(هذا رأى مقوول) قياساً على مصوون بل إنه منع فيها الاستعمال (إلا على سبيل الحكاية)"[4]".

ويرى أحد الباحثين المحدثين أن هذا يتعارض مع موقف ابن جنّى حين قال :(وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ

---

[1] / الخصائص ٩٦/١.

[2] / السابق ٩٩/١.

[3] / السابق ٩٩/١.

[4] / السابق ٩٩/١.

وإن كان غير ما جاء به خيراً منه)"[1]"، فإذا كان يجيز القياس على اللهجة الضعيفة إذا وردت عن فصحاء العرب فكيف يمنع استعمال اللفظة التى وردت عنهم، ويرجح أن هذا المنع الأخير زيادة مقحمة على الخصائص اعتماداً على رأى ابن جنّى الذى أورده فى الضرب الثانى والثالث"[2]".

فهذا هو الإطار العام لما ذكره ابن جنّى لمعنى الشذوذ وحكمه فى الاستعمال والقياس فى هذا الباب. إضافة إلى مسائل أخرى نجدها متفرقة فى الخصائص ومن ذلك (ما سمع من الألفاظ وهو مخالف للغة الجمهور) فإنه ينظر فى حال من نطق به وفى حال اللفظ نفسه:-

١/ فاذا كان من نطق به فصيحاً فى كل ما نقل عنه وكان ما انفرد به مما يقبله القياس فالأولى أن يقبل منه ما أورده، ولا يتهم بالخروج عن الفصاحة ويحسن الظن به، وعلل لذلك بأمرين :

الأول : احتمال أن يكون اللفظ قد وقع اليه من لغة قديمة بعد العهد بها فلم يبق منها أثر معلوم"[3]".

الثانى : أن يكون شيئاً ارتجله والأعرابى له (أن يتصرف ويرتجل ما لم يسبقه أحد اليه إذا قويت فصاحته)"[4]".

ومثل لذلك بما ورد عن ابن أحمر"[5]"من كلم انفرد به"[6]" فالقاعدة فى ذلك هى : لم نقطع على الفصيح نسمع منه ما يخالف الجمهور بالخطأ.

٢/ فإن جاء ما خالف الجمهور عن متهم فى فصاحته فإنه يرد حينئذ ولا يقبل منه"[7]".

---

[1] / الخصائص ١٢/٢.

[2] / الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّى – حسام النعيمى – ص ٢٥١.

[3] / الخصائص ٣٨٥/١-٣٨٦.

[4] / السابق ٢٥/٢.

[5] / هو خلف الأحمر البصرى أبو محرز بن حيان، كان راوية ثقة ، علامة يسلك مسلك الاصمعى وطريقه حتى قيل هو معلم الاصمعى، وقيل : كان يصنع الشعر وينسبه الى العرب فلا يعرف – توفى فى حدود ١٨٠هـ– صنف : جبال العرب وما قيل فيها من الشعر، وله ديوان شعر حمله عنه ابو نواس بغية الوعاة ٥٥٤/١.

[6] / الخصائص ٢١/٢-٢٤.

[7] / السابق ٣٩٠/١ ، ٢٥/٢.

أما بالنسبة للنظر إلى حال ما اورده مخالفاً للجمهور فإنه إن كان موافقاً للقياس قبل منه وإن انفرد به وأما إن كان ما انفرد به مخالفاً للقياس فإنه لا يقبل منه وإن كان قائله فصيحاً؛ لأنه بذلك يكون مخالفاً للسماع والقياس جميعاً"[1]".

أما إذا كثر عدد القائلين لما هو مخالف لرأى الجمهور والقياس فإن ابن جنّى يجيز قبوله، مفسراً ذلك بأنه :(إما أن يكون الذين نطقوا به لم يحكموا قياسه على لغة آبائهم، وإما أن يكون الدارس لم يتبين فيه وجه القياس)"[2]".

ومما يدخل فى هذا الباب ايضاً ما عقد له باباً بعنوان (أغلاط العرب)"[3]" ولعله يريد بذلك مخالفة القياس حيث يقول :(كان أبو على -رحمه الله- يرى وجه ذلك- يقصد به الغلط الذى أشار إليه- ويقول : إنما دخل هذا النحو فى كلامهم، لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها، ولا قوانين يعتصمون بها وإنما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به، فربما استهواهم الشئ فزاغوا به عن القصد)"[4]" فهم إذن لم تكن لهم القواعد التى تعصمهم عن الزيغ فى الكلام ومثل لهذا التوهم بعدة أمثلة منها ما جاء عنهم (من همز مصائب (وهو غلط منهم) حيث جعلوا مصائب بالهمز أيضاً، والحق أن (ياء) (مصيبة) ليست زائدة كياء (صحيفة) حتى يصح همزها لكنهم توهموا فى القياس"[5]" وغير ذلك من الأمثلة التى اوردها فى هذا الباب.

أما المقايسة بين اللهجات فقد وجدنا ابن جنّى يعترف بجميع اللهجات ويقبلها جميعاً، إلا أنه مع ذلك كان يفاضل بينها ويقايس، فنجده يشير إلى أن هذه اللهجة هى القياس وتلك ضعيفة فى القياس وأقيس اللهجتين كذا، وهكذا، ولم أجد له مقياساً واحداً يعتمده فى المفاضلة؛ وإنما هناك اكثر من سبب يدعوه إلى تقوية لهجة أو تضعيف أخرى ويمكن حصر ذلك فى الاتى :

١/ أن تكون إحدى اللهجتين هى لغة القرآن أو قريش أو الحجاز.

٢/ أن تكون إحداهما أكثر استعمالاً.

٣/ أن تكون إحداهما أكثر اتفاقاً مع قواعد العلماء.

---

[1] / الخصائص ٣٨٧/١.

[2] / السابق ٢٥/٢-٢٦.

[3] / السابق ٢٧٣/٣.

[4] / السابق ٢٧٣/٣.

[5] / السابق ٢٧٧/٣.

وقد يجتمع فى إحداهما أكثر من سبب، وقد يفضل لهجة على أخرى من غير ذكر السبب"[1]".

ولغة القرآن التى هى لغة قريش، هى الفصحى عنده ويسميها لغة الحجاز يقول :(وأعلى اللغتين الحجازية وبها انزل القرآن)"[2]" ولذا فإن الحجازية مفضلة إذا اختلفت مع غيرها إذ هى الفصحى والأكثر فى الاستعمال لنزول القرآن بها (فالوجه أن تحمله على ما كثر استعماله وهو اللغة الحجازية)"[3]".

وقد يوازن بين اللهجتين معتمداً على القواعد العقلية ويفضل إحداهما على الأخرى من حيث القياس ثم يرد الأمر بعد ذلك إلى الاستعمال إذ إن (استعمال ما كثر استعماله وإن لم ينته قياسه إلى ما انتهى اليه استعماله)"[4]" كما فعل فى (ما) النافيه و(هلم) عند الحجازيين والتميميين، فرأيناه قد قرر فى (ما) النافيه أن التميمية أقيس إلا أن الاستعمال ينبغى أن يكون على الحجازية لأنها أكثر استعمالاً (والذى يتبع كلام العرب ينبغى أن يصير إلى ما كثر استعماله لا إلى ما قوى قياسه)"[5]" إضافة إلى أن الحجازية لها وجه يقبله القياس ايضاً"[6]".

هذا هو مذهب ابن جنّى فى المقايسة بين اللهجات، ويرى أحد الباحثين المحدثين: أن هذه المقايسة لا تتفق والمنهج المعاصر فى النظر إلى اللهجات العربية إذ هى جميعاً على ما عبر ابن جنّى (لغات) من حيث كانت كل واحده منها (أصوات يعبر بها اهلها عن أغراضهم) ومعالجة هذه اللغات بالمنطق لا تتفق وطبيعة هذه اللغات وإنما يمكن أن نقبل منه هذه المقايسة، إذا أراد المتكلم أن يأتى باللغة الأدبية المثالية، فيكون القياس كما قرره ما وافق لغة القرآن والشعر وما ورد فى النثر"[7]".

---

[1] / كما فعل ذلك لفظ (القنيه) وأنها بين (القنيه والقنوة) وفضل القنوة بقوله :(على أن أعلى اللغتين قنوت) ولم يبين لم؟ الخصائص ٣/٩٥.

[2] / السابق ٣/٣٦.

[3] / السابق ١/١٢٥.

[4] / السابق ١/١٢٤.

[5] / السابق ١/١٢٥.

[6] / السابق ٢/١٠.

[7] / الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّى – حسام سعيد النعيمى – ص ٢٦٦.

المبحث الرابع:-
السماع والقياس عند ابن جنّي:-

لابد لى وأنا اتحدث عن موقف ابن جنّى من الرواية من أن أقف على المنهج الذى اعتمده فى خصائصه فقد اعتمد على مبدأى (السماع والقياس) والذى اجرى عليه العلماء فى استنباط قواعدهم اللغوية هو اخذهم بالأكثر والأغلب، وترك ما عداه، يقول سيبويه :(فإنما هذا الأقل نوادر تحفظ عن العرب ولا يقاس عليها ولكن الأكثر يقاس عليه)"[١]" وفى ذلك يقول ابن جنّى :(وإذا فشا الشئ فى الاستعمال وقوى فى القياس، فذلك ما لا غاية وراءه)"[٢]".

وقبل أن اعرض لموقف ابن جنّى منهما لابد لى من تعريفها وتطورهما قبل ابن جنّى وموقف العلماء منهما. فالسماع فى اللغة مصدر سمع يسمعَ، والسمع حس الأذن ويطلق أيضاً على الأذن"[٣]".

وفى الاصطلاح هو :(الأخذ المباشر للمادة اللغوية عن الناطقين بها)"[٤]"، وقد اهتم به الدارسون الأوائل للغة، بل كان الطريقة الوحيدة التى اتبعوها فى جمع اللغة فروى (أن الكسائى سأل الخليل : من أين أخذت علمك هذا؟ فأجابه من بوادى الحجاز ونجد وتهامة)"[٥]" ومثله عدد كبير من العلماء تمسكوا بالسماع"[٦]".

ولما رأى العلماء الذين التزموا السماع فى جمع اللغة وروايتها أن العربى قد يصدر عنه ما يخالف القياس بدأوا فى وضع أسس التزموها فى السماع، فقيدوا القبائل التى يؤخذ عنها، ويتجلى ذلك فى قول أبى زيد الأنصارى :(لست أقول قالت العرب إلا إذا سمعته من هؤلاء : بكر بن هوازن، وبنى كلاب وبنى هلال، أو من عالية السافلة، أو من سافلة العالية)"[٧]" ولما رأى العلماء أن العرب قد بدأوا يختلطون بغيرهم من

---

[١] / الكتاب – سيبويه ٢/٢١٤.

[٢] / الخصائص ١/١٣٢.

[٣] / اللسان – مادة (سمع).

[٤] / انباه الرواة ٢/٢٥٨.

[٥] / السابق ٢/٢٥٨ ، معجم الادباء ١٣/١٦٨.

[٦] / منهم أبو عمرو بن العلاء والأصمعى – الخصائص ١/٣٦٦ –٣٦٧.

[٧] / الدارسات اللغوية عند العرب – محمد حسين آل يسن – ص ٢٤٢.

الأعاجم أتجهوا إلى وجه آخر من وجوه الرواية وهو :(النقل) وقد اعتمده سيبويه كأساس من أسس السماع"[1]".

وعرفه ابن الانبارى بأنه :(هو الكلام العربى الفصيح المنقول بالنقل الفصيح الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة)"[2]" وليتوازى النقل مع السماع قسمه العلماء إلى متواتر وآحاد واشترطوا فى الناقل الصدق والعدل، وأن يبلغ عدد ناقليه عدداً لا يجوز على مثلهم الاتفاق على الكذب"[3]".

أما ابن جنّى فقد أولى عناية خاصة للسماع فنجده يستمع إلى الأعراب الفصحاء الذين عاصرهم ويستشهد بهم كما يستشهد بالشعراء المولدين رغم أنهم خارج عصور الاحتجاج ويأخذ عن شيوخه، إما بالسماع المباشر أو النقل عنهم بل ذهب إلى أن السماع أصل والقياس فرع عليه، وأن السماع ينقض قياساً سابقاً يقول :(إذا أداك القياس الى شئ ما ثم سمعت العرب نطقت فيه بشئ آخر على قياس غيره، فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه)"[4]" وهو فى ذلك نراه يلتزم بآراء شيوخه البصريين فى الاقتصار على الالفاظ المسموعة عن العرب وعدم القياس عليها، وقد بين علة ذلك بقوله :(لأن الغرض فيما ندونه من هذه الدواوين، ونثبته من هذه القوانين إنما هو ليلحق من ليس بأهل اللغة بأهلها، ويستوى من ليس بفصيح ومن هو فصيح، فإذا ورد السماع بشئ لم يبق غرض مطلوب وعدل عن القياس إلى السماع).

ومما لاحظته على منهج ابن جنّى فى السماع أنه كان متأثراً ببعض آراء الأصوليين، نحو قوله :(إن إجماع أهل البلدين إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص، والمقيس على المنصوص)"[5]" فهو فى هذه القاعدة يدخل فى نظام المناظرات الأصولية"[6]"، كما أنه عقد باباً خاصاً لحكم العربى الذى يسمع لغة غيره، هل يراعيها ويعتمدها أم يطرحها؟"[7]" وهنا يؤكد على تعددية الفصيح من اللغة دون أن

---

[1] / الكتاب ٢٩٠/١، ١٢٧/٢.

[2] / الإقتراح – السيوطى – ص ٤٠.

[3] / السابق ص ٤٠.

[4] / الخصائص ١٢٥/١.

[5] / السابق ١٨٩/١.

[6] / تاريخ النحو العربى فى المشرق والمغرب – محمد مختار ولد أباه ص٢٠٢– منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – ايسسكو – ١٤١٧هـ–١٩٩٦م.

[7] / الخصائص ١٤/٢.

يعطى سلماً للأفصح. ومن الملاحظات التي أوردها فى معرض السماع، قضية تشبه ما اصطلح عليه الأصوليون بفساد الاعتبار، وذلك حينما تحدث عن :(تقاود السماع وتقارع الانتزاع)"[1]" فقال :(إن السماع قد يطرد فى حكم ما، مثل رفع الفاعل، ولكن قد تختلف النتائج المترتبة على هذا الحكم إلى أن يصل الأمر إلى الاستدلال بالشئ الواحد على الحكمين الضدين مثل ما هو فى قول الشاعر"[2]" :

زَمَانٌ عَلَيَّ غُرَابُ غُدَافُ فَطَيَّرَهُ الشَّيبَ عَنِّي فَطَارا"[3]"

فقال فى هذا : يمكن أن يذهب ذاهب إلى سقوط حكم ما تعلق به الظرف من الفعل ويمكن ايضاً ان يستدل به على ثباته وبقاء حكمه، فالظرف الذى هو (على) متعلق بمحذوف تقديره (استقر على) وقام الظرف مقامه فمن أثبت حكم الفعل المحذوف جعل الفعل (فطيره) عطفاً على (استقر) ومن اعتقد سقوط حكم ما تعلق به الظرف استدل عليه، بعطف (فطيره) على الظرف الذى هو (على)"[4]" وغير ذلك الكثير من المواضع المبثوثة فى الخصائص التى تدل على اهتمام ابن جنّى بالسماع، وقد تعرضت لبعض منها فى حديثى عن مصادر الرواية واعتماده على السماع من الأعراب أما القياس فهو مصدر قايس بين الشئ أى : قدر ، والمقياس : المقدار ، يقال : قيس رمح وقيس اصبع اى قدر"[5]".

وهو في الاصطلاح العلمى :(حمل غير المنقول على المنقول إذا كان فى معناه)"[6]" أى أنك إذا اتبعت سمعت كلام العرب فى الأبنية والإعراب وإن لم تسمع ذلك منهم، كان كلامك من كلامهم لأنه جاء على ما سمعته، فهذا هو القياس، وقد بين ابن جنّى فائدته بقوله : إنك تحمل ما لم تسمعه عنهم على ما سمعته وذلك كأن يحتاج إلى تكسير الرجز الذى هو العذاب فكنت قائلاً أرجازاً قياساً على أحمال وإن لم تسمع أرجاز)"[7]" وهو يرى أن فيه تخفيف كلفة عن الناس فى تعلم العربية فقال :(ومنه ما

---

[1] / الخصائص ١/١٠٠-١٠٩.

[2] / الشاعر : هو أبو حية النميرى – الخصائص ١/١٠٧.

[3] / على غراب غداف: أراد به الشباب والشعر الأسود – الخصائص ١/١٠٧.

[4] / السابق ١/١٠٧.

[5] / اللسان مادة (قيس)

[6] / الاغراب فى جدل الاعراب – ابن الانبارى – تحقيق : سعيد الافغانى ص٤٥ – د.ط ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م دمشق.

[7] / الخصائص ٢/٤١.

وجدوه يتدارك بالقياس وتخفف الكلفة فى علمه عن الناس فقننوه وفصلوه)"[1]" ويعد استخدام القياس من الأسس المنهجية فى دراسة اللغة، وقد أخذ به اللغويون جميعاً البصريون منهم والكوفيون غير أنهم أختلفوا فى كثرة الأخذ به، والاعتماد عليه، إذ كان البصريون أكثر من سواهم ميلاً إلى استخدامه فى دراساتهم"[2]" ويذهب إبراهيم أنيس :(إلى أن القياس عند علماء القرنين الأول والثانى كان يراد به وضع الأحكام العامة، أما فى القرن الرابع؛ فكان يراد به هذا مع معنى جديد هو إمكان استنباط شئ جديد فى اللغة لم يسمع من العرب، قياساً على ما تكلمت به العرب)"[3]" وأول من استخدم القياس فى اللغة هو عبد الله بن أبى اسحق الحضرمى"[4]"، فقيل أنه (أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل)"[5]" ثم جاء اللغويون من بعده ووسعوا الأخذ بالقياس، معتمدين فى ذلك على السماع والرواية. والحق أنه لا يمكن أن يستغنى عن القياس ، وذلك أن اللغات الحية وغير الحية لا تخلو من صيغ قياسية وصيغ شاذه. ويمكننا أن نستفيد من القول بالقياس فى اللغة فوائد كثيرة من اهمها:-

١/ أننا نجد فى كثير من كتب اللغة مصادر لا تذكر أفعالها أو العكس ، فيمكننا من خلال القياس أن نكمل هذا النقص، وهذه مسألة مهمة فى المعاجم.

٢/ كما يمكننا أن نفيد من القياس فى اشتقاق أوزان جديدة لم يذكروها قياساً على أوزان ذكروها، ومن خلاله يمكننا الاعتراف بالمولد والدخيل وعده عربياً وادخاله فى معاجمنا، ما دام يجرى على الصيغ العربية. ومن خلال القياس يمكننا أن نشتق الكثير من ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية الحديثة التى نقف أمامها حائرين.

٣/ إضافة إلى كل ذلك يمكننا أن نفهم من خلال هذا الباب كيف وضع العرب لغتهم معتمدين فى ذلك على أصوات الكلمة من خلال حروفها، وسيأتى تفصيل ذلك فى الفصل القادم فى مبحث الأصوات إن شاء الله"[6]".

---

[1] / السابق ٤٢/٢.

[2] / الدراسات اللغوية عند العرب - محمد حسين آل يسن - ص ٣٤٣- ط٣ ، ١٩٦١ - دار النهضة العربية.

[3] / طرق تنمية الالفاظ - إبراهيم أنيس - ص ١٥-١٦ والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّى - حسام النعيمى ص ٤٦.

[4] / هو عبد الله بن زيد بن أبى أسحق الحضرمى أبو بحر أحد الأئمة فى القراءات والعربية وهو الذى مد القياس وشرح العلل توفى سنة ١٢٧هـ- بغية الوعاة ٤٢/٢.

[5] / طبقات ابن سلام - ص ١٤.

[6] / انظر الفصل الثالث من الرسالة - المبحث الاول ص ١١٣

تلك فوائد للقياس أشار إليها العلماء المحدثون ولكن من الذى يجوز لـــه هـــذا؟ يجيب على هذا السؤال أحد الباحثين المحدثين (بأننا إذا قلنا بجوازه لكل فرد، كان الأمر فوضى، وتعرَّضت اللغة للاضطراب ولكنا نقول كما قال الفقهاء ونحذوا حذوهم، بـــأن نضع شروطاً للقائس والمقيس، وعليه فلابد فى المجتهد اللغوى ان يكون مثقفـــاً ثقافـــة لغوية وأدبية واسعة، متمكناً من النحو والصرف، وفوق ذلك أن يكون له ذوق قد أرهف بكثرة القراءة اللغوية والأدبية ومعرفة بسر الوضع ... حتى يستطيع أن يدرك بحســـه الجيد من الردئ وما يصح وما لا يصح ويتخير اللفظ المناسب للمعنى المناســـب أمـــا بوضع جديد، أو اشتقاق من أصل قديم، فإذا بلغ هذا المبلغ كان له الاجتهاد اللغوى كمـــا كان لنظيره الاجتهاد الفقهى)"[1]".

أما ابن جنّى فقد كان مدركاً لأهمية القياس، كثير الأخذ به، ناصحـــاً بتأملـــه إذ يقول :(ولا تسرع إلى اعطاء اليد بانتقاض بابه، والقياس القياس)"[2]" بل كان من الأسس التى بنى عليها ابن جنّى آراءه اللغوية، وقد قرر ابن جنّى فى عرضه لهذا المبدأ أنه قد نص عليه من قبل المازنى فى التصريف وأشار إلى أن الخليل وسيبويه كانا يقولان (ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم، وما لم يكن فى كلام العرب فليس له معنى فـــى كلامهم"[3]" فأجاز ابن جنّى مبدأ القياس فى صياغة ألفاظ لم ترد عن العـــرب كأســـماء الفاعل وأسماء المفعولين، وذلك أننا لم نسمع كل اسم فاعل ولا مفعول، وإنمـــا ســـمعنا البعض فقسنا عليه غيره. وقرر ايضاً أنه يستفاد من هذا المبدأ فى تعريب ألفاظ أعجمية فتعامل معاملة الألفاظ العربية من حيث الوزن والتصريف والإعراب. ونقل قول أبـــى على :(إذا قلت طاب الخشكنان"[4]" فإنك ادخلته فى كلام العرب بإضافة الألف واللـــام، ويؤكد ذلك ان العرب اشتقت من الأعجمى النكرة كما تشتق من أصول كلامها، فيقـــال درهمت الخبازى، أى صارت كالدراهم؛ فأشتق من الدرهم وهو اسم اعجمى. ويؤكـــد ذلك (أنك لو مررت على قوم يتلاقون بينهم مسائل أبنية التصريف نحو قولهم من مثـــال صمحمح من الضرب : ضربرب... ومن مثل سفرجل من جعفر: جعفـــرر. فســـألك

---

[1] / مدرسة القياس فى اللغة – مقال للدكتور أحمد أمين مجلة مجمع اللغة العربيـــة ٣٥١/٧ – مطبعـــة وزارة المعارف العمومية.

[2] / الخصائص ٢٢٣/٢.

[3] / شرح تصريف المازنى – لابن جنّى ١٧٠/١.

[4] / الخشكنان هو خالص الدقيق إذا عجن وبسط، وخبز، ويقابله البسكويت الخصائص ٣٥٧/١.

أحدهم : بأى لغة كان هؤلاء يتكلمون؟ لم تجد بداً من أن تقول : بالعربية وإن كانت العرب لم تنطق بواحد من هذه الحروف)"[1]".

إضافة إلى ذلك نجد أن ابن جنّى قد مد آفاق هذا القياس ليشمل النثر والشعر، وهو فى ذلك يجيز للشاعر أن ياتى بكل الاستعمالات الواردة فيما يسمى (بضرائر الشعر) يقول :(واعلم أن الشاعر إذا اضطر، جاز له أن ينطق بما يبيحه القياس وإن لم يرد به سماع)"[2]" لكنه مع ذلك لم يطلق العنان للقائس ليقول ما يشاء بل وضع له ضوابط نذكر منها ما قاله فى بابين من كتابه وهما (باب فى تعارض السماع والقياس)"[3]" و (باب فى امتناع العرب من الكلام بما يجوز فى القياس)"[4]" وأعطى امثلة تحتمل القياس، لكن السماع يمنعه، منها أن العرب لم تأت بخبر المبتدأ فى (العمر، والايمن) من قولهم: لعمرك لأقومن، ولأيمن الله لا نطلقن.

وأصلهما: بعمرك ما اقسم به لأقومن، ولايمن الله ما احلف به لانطلقن، فحذف الخبران، وصار طول الكلام بجواب القسم عوضاً من الخبر"[5]".

وكذلك امتناعهم من استعمال استحوذ معتلاً ، وإن كان القياس داعياً إلى ذلك، ومؤذناً به، لكن عارض فيه اجماعهم على اخراجه مصححاً، ليكون دليلاً على أصول ما غير من نحوه كاستقام واستعان)"[6]".

فهو على شدة ولعه بالقياس نراه يؤكد حقيقة لغوية مهمة وهى : أن اللغة لا يمكن ان تؤخذ كلها بالقياس فى قوله :(ومعاذ الله أن ندعى أن جميع اللغة تستدرك بالأدلة قياساً ، لكن ما امكن ذلك فيه قلنا به ونبهنا عليه)"[7]" فإذا تعارض السماع والقياس فإنه ينص على أن يلتزم المسموع ويترك القياس فى ذلك، لكنه لم يجعل القياس المخالف للمسموع عديم الفائدة، وإنما جعله ذخيرة للمحدثين إذا احتاج إليه أحدهم وفى شعر أو سجع، إذ هو من كلام العرب ما دام على قياس كلامهم :(فإن صح عندك أن

---

[1] / الخصائص ١/٣٥٧.

[2] / السابق ١/٣٩٦.

[3] / السابق ١/١١٧-١٣٣.

[4] / السابق ١/٣٩١-٤٠٠.

[5] / السابق ١/٣٩٣.

[6] / السابق ١/٣٩٤.

[7] / السابق ٢/٤٣.

العرب لم تنطق بقياسك أنت، كنت على ما أجمعوا عليه ألبته وأعددت ما كان قياسك أداك إليه لشاعر مولد أو لساجع أو لضرورة لأنه على قياس كلامهم"[1].

فابن جنّى بإفساحه لمجال القياس فى النثر والشعر من جهة وضبطه لحدوده من جهة أُخرى، اتبع طريقاً وسطاً وسلوكاً يتسم بالتوازن والاعتدال يسوقه فيه منهجه القياسى، ويقوده اطلاعه الواسع على نصوص العربية الصحيحة وحذقه لأساليب العرب فى استخدامها، إضافة لصلته بالمصادر الحيَّة للغة، كصلته بأبى عبد الله الشجرى وغيره من الأعراب الفصحاء كما رأينا.

---

[1] / الخصائص ١/١٢٦.

المبحث الخامس :-
الاستحسان عند ابن جنّى :-

الاستحسان فى الأصل مصطلح فقهي يستخدم فى أصول الفقه، وهو أحد الأدلة الفقهية عند الحنفية"[1]".وقد استعاره ابن جنّى مصطلحاً ومفهوماً ليعلل لخروج بعض ألفاظ اللغة عن الأوزان القياسية التى رسخها اللغويون على ألا يوصف هذا الخروج بالشذوذ. وقد استخدمه غيره من العلماء البصريين دون أن يطلقوا عليه مصطلح الاستحسان بل يذكرون له تعبيرات أخرى كـ (طلب الخفة) أو (كراهة الاستثقال) علة لخروج الألفاظ عن أقيستها المطردة التي وضعوها لها.

وقد أطلق على هذه الأحوال التى صيغت هذه الألفاظ بمقتضاها تسميات مختلفة لعل من بينها الاستحسان. وهو كما ذكرت أولاً من القضايا اللغوية التى احتذى فيها اللغويون منهج الأصوليين وقد أقر ابن جنّى بتأثره بمناهج أصول الفقه حيث أشار إلى ذلك فى مقدمة الخصائص بقوله :(وذلك أنا لم نر أحداً من علماء البلدين"[2]" تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه)"[3]" ولذلك قام هو بهذا العمل الجليل. ويعترف ابن جنّى صراحة فى موضع آخر من كتابه أن اللغويين قد احتذوا حذو الفقهاء فى استخراج العلل والأقيسة فيقول :(وكذلك كتب محمد بن الحسن -رحمه الله- إنما ينتزع أصحابنا منها العلل لأنهم يجدونها منثورة فى أثناء كلامه فيجمع بعضها إلى بعض بالملاطفة والرفق)"[4]".

---

[1] / ضحى الإسلام - أحمد أمين - ١٨٧/٢.

[2] / أى علماء البصرة والكوفة.

[3] / الخصائص ٢/١.

[4] / السابق ١٩٣/١.

ولو استعرضنا أبواب الخصائص لرأينا عدداً من الأبواب مستعاراً من أبـــواب الفقه ومصطلحاته منها على سبيل المثال لا الحصر أبواب :(تخصيـــص العلـــل)"[1]" و (نقض العادة)"[2]" و (خلع الأدلة)"[3]" و (تكافؤ الأدلة)"[4]" إلى جانب باب (الإستحسان)"[5]".

ولما كان الاستحسان أحد الأدلة عند الحنفية؛ فقد استعاره اللغويـــون لمعالجـــة بعض القضايا اللغوية، وكان ابن جنّى أول من استخدم المصطلح فى الدرس اللغوى.

والاستحسان فى اللغة هو :-

من (الحُسْنِ) : حَسُنَ يَحْسُنُ حُسناً: وهو ضدُّ القبح ونقيضه"[6]" والاستحسان عـــدُّ الشئ واعتقاده حسناً"[7]".

فى الاصطلاح :-

هو (العدول بالمسألة عن حكم نظائرها إلى حكم آخر لوجه أقوى يقتضى هـــذا العدول"[8]"ويذهب أحدهم "[9]" إلى أنه قياس ولكنه خفي غير جلى)"[10]" ويـــرى الشـــريف الجرجانى"[11]" :أن الاستحسان اسم لدليل من الأدلة الأربعة؛ يعارض القيـــاس الجلـــي، ويعمل به إذا كان أقوى منه، سموه بذلك لأنه فى الأغلب يكون أقوى من القياس الجلي، فيكون قياساً مستحسناً ، قال تعالى ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ، الَّذِيـــنَ يَسْـــتَمِعُونَ الْقَـــوْلَ فَيَتَّبِعُـــونَ

---

[1] / السابق ٤٤٤/١.

[2] / السابق ٢١٤/١.

[3] / السابق ١٧٩/١.

[4] / السابق ٢٠٦/١.

[5] / السابق ١٣٣/١.

[6] / اللسان مادة (حسن).

[7] / التعريفات – الشريف الجرجانى (على بن محمد بن على ص ٨٢ ط١ – ١٩٨٥م – دار الكتاب العربـــى – بيروت.

[8] / من مقال (الاستحسان عند ابن جنّى) – لمحمود عبد الله جفال مجلة دراسات العلوم الانسانية مجلد ٢٢ (أ) عدد ٦ الملحق ص ٣٣٢٥ – ١٤١٦هـــ-١٩٩٥م.

[9] / هو محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمى.

[10] / مفاتيح العلوم – للخوارزمى – تحقيق : محمد الابيارى ص٢٣ دط ١٩٨٤م دار الكتاب العربى– بيروت.

[11] / هو على بن محمد بن على الحنفى، الشريف الجرجانى، مولده بجرجان سنة ٧٠٤هـــ وتوفـــى بشـــيراز سنة ٨١٦هـــ كان علامة دهره وله تصانيف مفيده منها : شرح القيم الثالث من المفتاح، حاشـــية المختصـــر وغيرهما – بغية الوعاة ١٩٦/٢.

أَحْسَنَهُ)"[1]" وترك القياس، والأخذ بما هو أرفق للنـــاس)"[2]" ويذهـــب بعـــض الدارســـين المحدثين إلى أن الاستحسان يطلق على أمرين:

أحدهما : العدول عن موجب قياس جليٍّ إلى قياس خفيٍّ أقوى منه.

والآخر : استثناء مسألة جزئية من أصل كلى لدليل شرعى خاص، هـــو أقـــوى منـــه يقتضى هذا الاستثناء.

ويذهب بعض الفقهاء إلى تقسيم الاستحسان إلى قسمين : الاستحسان القياســـيّ، واستحسان الضرورة"[3]".

أما ابن جنّى فقد يختلف الدارسون حول ما أراده من الاستحسان، فيرى محقـــق الخصائص أن تعريف الاستحسان الذي ذهب إليه بعض متأخرى الحنفية – وهـــو (أن الاستحسان عبارة عن دليل يقابل القياس الجلى الذى تسبق إليه الأفهام) ينقاد مـــع مـــا أراده ابن جنّى فى الاستحسان ، وضرب مثلاً من الألفاظ التى ذكرها ابن جنّـــى منـــها (الفتوى) فإن صيغة هذه اللفظة قياسها (الفتيا) دون إعلال ولكن العرب عدلت عن هـــذا إلى (الفتوى) للتفريق بين الاسم والصفة، وعلى ذلك فإن القياس الجلى أن يكون (الفتيا)، أما القياس الخفي – وهو التفريق بين الاسم والصفة– فأن يقال الفتوى وهو الاستحسان.

ويرد محقق الخصائص فى المقدمة تنى ابن جنّى لفكرة الاستحسان إلى ميلـــه إلى المذهب الحنفى"[4]".

ولم يعط ابن جنّى تعريفاً صريحاً ومباشراً لمصطلح الاستحسان غير أنه بدأ باب الاستحسان بأن ذكر (أن علته ضعيفة غير مستحكمة، ثم ذكر الفائدة العملية منه وهو أن فيه ضرباً من الاتساع والتصرف)"[5]".

وابن جنّى –كما ذكرت سابقاً كان أول من استخدم مصطلح الاستحسان فى علوم اللغة وعقد له باباً خاصاً فى الخصائص ويرى أحد الباحثين المحدثين ان ما كان يشـــغل بال ابن جنّى منه ليس الموقف الفقهى، بل تعليل ظواهر لغوية يتعلق أكثرها بقضيتـــى

---

[1] / سورة الزمر آية رقم (١٧– ١٨)

[2] / التعريفات – الشريف الجرجانى – ص ٨٢–٨٣.

[3] / مقال الاستحسان عند ابن جنّى – محمود عبد الله جفال – ص ٣٣٢٦.

[4] / الخصائص ٤١/١.

[5] / السابق ١٣٣/١.

الإعلال والإبدال، وذلك من خلال فكرتين تتعلقان بأصول اللغة مثلما تتعلقان بـــأصول الفقه.

أولاهما :-

ذكر العلة واثبات اهتمام النحاة بها لأنها كانت مجال التأويلات والاختلافات بين العلماء، وقد اعترف الأقدمون بهذه الاختلافات فهذا هو الزجاجي"[1]" ينسب إلى الخليـــل بن أحمد قوله فى بيان علل النحو :(إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفـــت مواقع كلامها وقام فى عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتللت أنا بما عندى أنـــه علة لما عللته منه، فإن أكن أصبت العلة فهو الذى التمست، وإن لم تكن هناك علة لـــه فمثلى فى ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء عجيبة النظـــم والأقســـام وقـــد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة فكلمـــا وقف هذا الرجل فى الدار على شئ منها، قال :(إنما فعل هذا بعلة كذا وكذا، سنحت لـــه وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم البانى للدار فعل ذلك للعلـــة التـــي ذكرها هذا الذى دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك، فإن سنح لغيرى علة لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول، فليأت به)"[2]".

والفكرة الثانية :-

هى القياس الذى برع فيه ابن جنّى وشيخه أبو على الفارسى على منهج العلمـــاء البصريين، وتجدر الإشارة هنا إلى الترابط الوثيق بين مفهومى القياس والعلة فى كـــل من الفقه واللغة، وقد تمثل ابن جنّى هذين المفهومين فى الفقه – وخاصة فـــى مذهـــب الإمام أبى حنيفة فأورد أبواباً متعددة فى الخصائص ردد فيها أقسامهما ووظيفتهما علـــى عدد من القضايا اللغوية ومن ذلك باب الاستحسان الذى حاول فيـــه تفســـير أو تعليـــل خروج بعض صيغ الألفاظ على الأقيسة والأوزان التى استقراها اللغويون مـــن خـــلال التراث اللغوي العربي وقد اعترف ابن جنّى فى باب (علل العربية) أن علل النحوييـــن

---

[1] / هو عبد الرحمن ابن اسحق أبو القاسم الزجاجى، صاحب الجمل نزل بغداد ولزم الزجاج حتى بـــرع فـــى النحو، وحدث بدمشق عن الزجاج وصنف الجمل والإيضاح، والكافى ، توفى بطبريه سنة ٣٣٩هـــ– وقيـــل ٣٤٠هـــ– بغية الوعاة ٢/٧٧.

[2] / الايضاح فى علل النحو – للزجاجى– تحقيق : مازن المبـــارك ص ٦٦ ط٣ – ١٩٧٩م – دار النفـــائس – بيروت.

ضعيفة"[1]" ولذلك لم يكن له بد من أن يلجأ إلى باب الاستحسان يفسر من خلاله خروج الألفاظ عن مقاييس العربية التى ترسخت فى الدرس اللغوى، ولم يكن باب الاستحسان متفرداً فى هذا الأمر بل تقدمته أبواب متفرقة فى الخصائص لها مساس بموضوعى العلة والقياس"[2]" ويلاحظ ان أكثر ما ذكره ابن جنّى فى موضوع الاستحسان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بما ورد فى هذه الأبواب، وقد يتكرر المثال الواحد فى عدد منها، وسنتبين ذلك حين نعرض لأمثلة ابن جنّى فى الاستحسان إن شاء الله.

أما أضرب الاستحسان فقد أورد له ابن جنّى عدة أضرب وذكر له ألفاظاً متفرقة:

الضرب الأول :-

ترك الأخف إلى الأثقل، ومثل له بألفاظ منها : الفتوى، والبقوى، والتقوى، والشروى، جميعها على وزن (فعلى) الذى يأتي فى العربية فى الأسماء والصفات وأصل صياغة هذا الوزن أن يكون بالياء لا بالواو غير أن العرب قلبوا الياء واواً من غير استحكام علة أكثر من أنهم أرادوا الفرق بين الاسم والصفة)"[3]"فابن جنّى يقرر فى هذا الباب أن هذا النوع من القلب له علة وهي علة معنوية، وليست لفظية، وهى التفريق بين الاسم والصفة غير أن هذا ليس مطرداً فى ألفاظ كثيرة فى اللغة، وقد سبق لابن جنّى أن تناول هذه الألفاظ فى باب (علل العربية) لكنه بين أن هذا النوع من القلب ساذج أو كالساذج لا لشئ أكثر من الانتقال من حال الى حال)"[4]". وقد سبق ابن جنّى فى هذا الموضوع بعض اللغويين الأوائل -خاصة البصريين- وذكروا أن سبب هذا الإعلال هو التفريق بين الاسم والصفة فذكر سيبويه :(أن العرب فرقوا بين (فعلى) اسماً، وبين (فعلى) صفة فى بنات الياء التى الياء فيها لام، وذلك قولهم : شروى وتقوى فى الأسماء؛ وتقول فى الصفات : صديا وحزيا فلا تقلب)"[5]".

---

[1] / الخصائص ١/٤٨-٤٩.

[2] / السابق ١/١١٧، ١٥، ١٠٠.

[3] / السابق ١/١٣٤.

[4] / السابق ١/٨٧.

[5] / الكتاب – سيبويه – ٤/٣٦٤، ٣٨٩.

والضرب الثاني :-

الذى ذكره ابن جنّى للاستحسان هو إلحاق نون التوكيد اسم الفاعل تشبيهاً له بالفعل المضارع واحتج له بقول الراجز:

* أَقَائِلَنَّ أَحْضِرُوا الشُّهُودَا"[1]"*

ولم يذكر أن جنّى مثالاً ثانياً له، والشاهد فيه قوله :(أقائلن) فقد قرر ابن جنّى أن إلحاق نون التوكيد فى هذا المثال استحسان، لا عن قوة علة ولا عن استمرار عادة. وأضاف أنه لا يجوز القياس عليه ولا جعله مثالاً يحتذى"[2]".

ولعل ما قام به الراجز فى المثال السابق يمكن أن يندرج تحت ما يسميه بعض اللغويين المحدثين بالقياس الخاطئ"[3]" وقياسة هنا حمل اسم الفاعل على الفعل المضارع للتشابه بينهما أحياناً فى العمل والمعنى فقد ذكر سيبويه فى باب (اسم الفاعل الذى جرى مجرى الفعل المضارع) أن قولك : هذا ضارب زيداً غداً فمعناه وعمله مثل هذا يضرب زيداً غداً، فهذا جرى مجرى الفعل المضارع فى العمل والمعنى منوناً)"[4]" فإذا كانت هذه حال اسم الفاعل والفعل المضارع فلا مانع من اتصال نون التوكيد الثقيلة له، فتصبح (أقائلن) الواردة فى الشاهد أعلاه نظير قولنا (يقولن).

والضرب الثالث:-

من الاستحسان لدى ابن جنّى هو :(قلب الواو ياء إذا وقع ساكن بين الكسرة والواو، ومن الأمثلة على ذلك الألفاظ التالية : صِبية، وقِنية، وعِذي، وبِلْيٌ، سَفَر، وَنَاقَةٌ عِلْيَان، ودابَّة مِهْيَار.

وقد بين ابن جني أن أصل الياء فيهن جميعاً واو. وذلك أن (قِنية) من : قَنَوتٌ، (وصِبْيَة) من صَبَوتٌ والأصل فيها صِبوَةٌ"[5]" . وبين في سر الصناعة علة ذلك وهي : أن الواو قلبت ياء لكسرة الصاد ولم تفصل الباء لضعفها بالسكون)"[6]".

---

[1] / البيت فى الخصائص ١٣٦/١ غير منسوب وقيله :

أَرَيتَ إن جِئتَ به أملودا مُرجلاً ويلبسُ البُرودَا

[2] / الخصائص ١٣٦/١.

[3] / القياس الخاطئ : هو المخالفة فى القياس لما شاع واطّرد فى اللغة – من اسرار اللغة – أحمد بن فارس ابن زكريا الرازى – تحقيق : عبد السلام محمد هارون – مادة عذى ط١ – ١٩٩٢م – دار الجيل – بيروت.

[4] / الكتاب ١٣٧/١.

[5] / الخصائص ١٣٧/١.

[6] / سر الصناعة ٧٣٦/٢.

وقد أدرك ابن جني أن هذا غير مطرد في اللغة؛ لاختلاف اللهجات العربية، فقد وجد أن بعض القبائل قد نطقتها بالكسرة والضمة فقالوا صِبوان وصُبوان)"[1]" أما (قِنية) فقد روى أيضاً (قِنية، وقُنوة، وقِنوة) فيقال : قَنوت وقَنيت . وينطبق هذا على عِذى"[2]" .

وبِلى سَفر وناقة عِذوات، ودَبّة مِهيار"[3]" فقد قالت العرب : بِلو سفر أيضاً وجعل ابن جني منه البلوى ولكنه استدرك على هذا بقوله :(وإن لم يكن فيها دليل إلا أن الواو مطردة في الأصل)"[4]" وذهب محقق الخصائص الى احتمال أن تكون الواو في البلوى بدلاً من الياء كالفتوى والتقوى"[5]".

أما "مِهيار" فقد ذهب ابن جني إلى أنه من قول العرب : هارٍ بهور ومنه تهور الليل، غير أنه روى عن الأخفش الأوسط أنه حكى أن أصل مهيار من هار يهير بجعل الياء لغة فيه"[6]" وليس من هار يهور.

وهكذا نرى أن ابن جنّى قد أورد هذه الألفاظ في باب (الاستحسان) في الخصائص تيقناً منه أن بعض أهل اللغة قد استحسنوا إبدال الواو فيها ياء ولكن ذلك لم يكن مطرداً إذ وردت معظم هذه الألفاظ بروايتين، وتبعاً لذلك انقسم اللغويون في إيرادها بالواو – على الأصل– مرة، وبالياء مستحسنة مرة أخرى.

والضرب الرابع من الاستحسان :

ألفاظ وصفها ابن جنّى بأنها (ما يخرج تنبيهاً على أصل بابه) نحو : استحوذ وأغيلت المرأة وأطولت ومطيبة للنفس ويؤكرم"[7]".

أما استحوذ فقد وردت فى قوله تعالى :(**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ**)"[8]" وقد عدها ابن جنّى من المطرد فى الاستعمال الشاذ فى القياس الذى يتبع فيه السمع الوارد به فيه

---

[1] / الخصائص ٢/٧٣٦.

[2] / ذكر ابن فارس أن (عذى) من قولهم أرضون عذوات ومعناها الأرض طيبة التربة – معجم مقاييس اللغة مادة عذى.

[3] / الخصائص ١/١٣٧.

[4] / السابق ١/١٣٧.

[5] / السابق ١/١٣٧.

[6] / وقد ذكر ابن فارس أن أصل المادة (هور) وهو يدل على تساقط شئ ولم يذكرها أصلاً بالياء– مقاييس اللغة– ابن فارس مادة (هور).

[7] / الخصائص ١/١٤٣.

[8] / سورة المجادلة – آية رقم (١٩).

نفسه، ولا يتخذ أصلاً يقاس عليه غيره، فلا تقول فى استقام: استقوم، ولا فى استباع: استبيع لأنه لم يسمع عن العرب ولكن تقتصر على استحوذ واستصوب)"[1]".

وقد أشار إلى ذلك من قبل سيبويه"[2]"، وتابعه البصريون من بعده، فنجد أبا عثمان المازنى يذكر تلك الألفاظ ويبين أن الأصل أن يجرى فيها الاعتلال على قياس الباب المطرد، غير أنه استثنى من ذلك: استحوذ وأغيلت المرأة فإنا لم نسمعها معتلين فى اللغة، وختم بقوله؛ (فاحفظ ما جاء من هذا ولا تقسه فإن مجرى بابه على خلاف ذلك)"[3]".

ويلاحظ أن أغلب الألفاظ التى ذكرت فيما خرج عن اصل بابه هى من وزنى (افعل واستفعل) مما تأتى العين فيه على الأصل حرف علة – ياء أو واو– ثم تبدل فى هذين الوزنين بالألف كما فى قوم نقول : أقام واستقام.

أما النوع الثانى للاستحسان من الضرب الرابع وهو ما يخرج تنبيهاً على أصل بابه) فهو مضارع الفعل الماضى المزيد بهمزة فى أوله على وزن (أفعل) نحو أكرم وأحسن والقاعدة تقول :إن مضارع هذا الوزن يجب أن يكون (يفعل) أى يكرم ويحسن، بحذف همزة (أفعل) تخفيفاً.

وقد ذكر سيبويه هذه القاعدة فى باب (لحاق الزيادة بنات الثلاثة من الفعل)"[4]" فقال :(فأما الهمزة فتلحق أولاً، ويكون الحرف على (أفعل)، ويكون (يفعل) منه (يفعل)، وعلى هذا المثال يجئ كل (أفعل) فهذا الذى على أربعة أبداً يجرى على مثال يفعل فى الأفعال كلها، مزيدة وغير مزيدة) ثم نقل عن شيخه الخليل: أن القياس أن تثبت الهمزة فى يفعل ويفعل وأخواتهما... ولكنهم حذفوا الهمزة فى باب أفعل من هذا الموضع فاطرد الحذف فيه، لأن الهمزة تثقل عليهم... وكثر هذا فى كلامهم فحذفوه واجتمعوا على حذفه) ثم بين سبباً آخر لحذف الهمزة (لأنه زيادة لحقته زيادة، فاجتمع فيه الزيادة وانه يستثقل وأن له عوضاً إذا ذهب) ولكنه يستدرك على هذه القاعدة ان الضرورة العرية قد تلجئ الشاعر إلى إثبات الهمزة، ويستدل بقول الراجز:

---

[1] / الخصائص ٩٩/١.

[2] / الكتاب – سيبويه ٣٤٥/٤.

[3] / المنصف – لابن جنّى ٢٧٦/١.

[4] / الكتاب – سيبويه ٢٧٩/٤.

* وصاليات ككما يؤثفين"[1]"*

ويذهب ابن السراج إلى ان وزن يؤكرم هو (يؤفعل)"[2]".

أما الصرفيون فيقسمون الحذف إلى قسمين قياسى وغير قياسى.

اما القياسى : فهو ما كان لعلة تصريفية كالاستثقال والتقاء الساكنين. وأما غير القياسى : فهو ما ليس لعلة تصريفية. وقد جعلوا حذف الحرف الزائد فى مضارع أفعل من الحذف القياسى؛ كراهة اجتماع همزتين فى المبدوء بهمزة المتكلم نحو : أكرم :(أُأكرم)، إذ يقال في مضارعه (أكرم) وقد حمل على المضارع المبدوء بالهمزة المضارع المبدوء بحروف المضارعة الأخرى -(يكرم- نكرم- تكرم) أما قول الراجز (يؤكرما) فيعتبر من الشواذ"[3]".

ويتضح لنا من كل ما ذكر أن هذا النوع من الحذفِ الذي اصطلح ابن جني على تسميته بالاستحسان تناوله اللغويون قبله بمصطلحات أخرى ككراهة الاستثقال أو الميل إلى التخفيف كما رأينا .

هذا بالنسبة لأضرب الاستحسان وأمثلته التي أوردها ابن جني في بابه، وقد أورد في غير هذا الباب أمثلة أخرى من الاستحسان، منها ما ذكره في باب :(في تعارض السماع والقياس)"[4]" (أن من الالفاظ ما ورد شاذاً عن القياس ومطرداً في الاستعمال) كقولهم في جمع فاعل مما تقلب عينه همزة كحائك وخائن، على وزن (فَعَلَةٌ) : (الحوكة والخونة) وقياسه في الأصل : حَاكَةٌ وخانةٌ، ولم يتجاوز العرب ذلك إلى بقية الألفاظ، فهم لا يقولون فى نحو / بايع بيعة، وسائر : سيرة. وقد علل ابن جنّى ذلك بأن ما شذ من هذا مما عينه واو لا ياء، وذلك لقرب الألف من الياء وبعدها عن الواو وعلى هذا لتصحيح نحو البيعة، وفسر ابن جنّى الاستحسان فى قياس جمع قلب الياء ألفاً، أن الألف لما قربت من الياء أسرع انقلاب الياء إليها، فهم يقولون فى النسبة إلى طيئ : طائى، وفى النسبة إلى الحيرة : حاري وكذلك يقولون فى حيحيت، وعيعيت : حاحيت وعاعيت وقلما نرى فى الواو مثل هذا) ويخلص ابن جنّى إلى أن كثرة قلب

---

[1] / الراجز هو خطام المجاشعى، صاليات : هى أثافى القدر لأنها صليت النار أى باشرتها، ككما يؤثفين : أى كمثل حالها إذا كانت أثاف مستعملة - الكتاب ٢٧٩/٤، الخصائص ٣٦٨/٢.

[2] / الأصول - لابن السراج ٣٢٣/٣.

[3] / شذا العرف في فن الصرف- الحملاوي- ص١٥٢.

[4] / الخصائص ١١٧/١-١٣٣.

الياء ألفاً كان استحساناً لا وجوباً"[1]" وغير ذلك من الأمثلة التى ذكرها ابن جنّى للاستحسان.

هذا هو موقف ابن جنّى من الاستحسان، ولا نكاد نجد أحداً من علماء العربية اتبعه فى ذلك إلا اثنان هما : أبو البركات الأنبارى"[2]" والسيوطى.

أما أبو البركات الأنبارى فقد جعل الاستحسان فصلاً من فصول كتابه (لمع الأدلة فى أصول النحو) ويبدو أنه قد تأثر بابن جنّى من حيث الاقتداء بالمصطلح ودلالته غير أنه حاول أن يضيف امثلة غير تلك التى ذكرها ابن جنّى. ومن امثلته التى ذكرها للإستحسان فيما يتعلق بتخصيص العلة (بأن أرض قد جمعت بالواو والنون فقيل أرضون، والاستحسان فى هذا الجمع أن الواو والنون عوض عن حذف تاء التأنيث لأن الأصل أن يقال أرضة، ويستدرك المؤلف أن هذه العلة غير مطردة، وبين أنها تنتقض بالألفاظ التالية : شمس، ودار، وقدر، وأصل هذه الألفاظ شمسة ، ودارة، وقدرة ولا يجوز جمعها بالواو النون"[3]".

أما السيوطى فقد تناول الاستحسان فى كتابه:(الاقتراح فى علم أصول النحو) ونقل فيه ما ذكره ابن جنّى والأنبارى، ونقل عن ابن جنّى ما كتبه فى غير باب الاستحسان، فقد جعل السيوطى من الاستحسان ما يبقى الحكم فيه مع زوال علته)"[4]" وهذا عنوان باب من أبواب الخصائص"[5]".

أما الأمثلة التى ذكرها السيوطى للاستحسان فهى ضربان :

أ/ ضرب مما نقله عن ابن جنّى كقول الشاعر :

جمىً لا يُحِلُّ الدَّهرُ إلا بإذنِنَا ولا نَسْأَلُ الأَقْوَامَ عَقْدَ المَيَاثِقِ"[6]"

والشاهد فى الاستحسان :(المياثق) ويذهب السيوطى إلى أن الشائع فى جمع ميثاق : مواثق، وذلك برد الواو إلى أصله، لزوال العلة الموجبة لقلبها ياء – وهى

---

[1] / الخصائص ١/١٢٢-١٢٤.

[2] / هو عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله، أبو البركات كمال الدين الأنبارى قدم بغداد فى صباه وقرأ الفقه على سعيد بن الرزاز حتى برع وصار معيداً للنظامية، وقرأ الأدب على أبى منصور الجواليقى ونبغ فى النحو وله: الانصاف فى مسائل الخلاف، والاغراب فى جدل الاعراب – بغية الوعاة ٢/٨٦.

[3] / لمع الأدلة – لأبى البركات الأنبارى ص ١٣٣-١٣٤.

[4] / الاقتراح فى علم أصول النحو – للسيوطى ص ٧٦.

[5] / الخصائص ٣/١٥٧-١٦٤.

[6] / الشاعر هو عياض بن أم درة الطائى.

الكسرة- ولكن الشاعر استحسن ابقاء القلب وإن زالت العلة من حيث إن الجمع غالباً تابع لمفرده إعلالاً وتصحيحاً، ونقل عن ابن جنّى أنه يقال فى تحقيره على هذه اللغة :(ميثيق)"[1]".

ب/ أما الضرب الآخر من الاستحسان فقد نقله السيوطى عمن سماه (صاحب البديع) قال فى موضوع الممنوع من الصرف :(إذا اجتمع التعريف العلمى والتأنيث السماعى أو العجمة فى ثلاثى ساكن الوسط، كهند ونوح، فالقياس منع الصرف والاستحسان الصرف لخفته)"[2]" فعلة الصرف الاستحسان مع قيام علة المنع، والخفة علة الاستحسان.

وذهب سيبويه فى هذه الأسماء إلى أن المذكر الأعجمى منها تصرف لخفتها"[3]" أما المؤنثة فيجوز فيها الصرف وعدمه، وجعل سيبويه ترك الصرف أجود"[4]".

ومن هنا يتضح لنا أن ابن الأنبارى والسيوطى قد أفادا مما ذكره ابن جنّى فى باب الاستحسان ولم يضيفا عليه إلا فى بعض الأمثلة التى لا تتجاوز الحدود التى حدها ابن جنّى فى الاستحسان كطلب الخفة وكراهة الاستثقال.

وخلاصة ذلك أن باب الاستحسان هو فى الأصل باب من أبواب الفقه، وقد استخدم فى اللغة لتعليل ما كانت العرب تستحسنه فى صياغة ألفاظها مما خرج عن مقاييسها المطردة. وكان ابن جنّى أول من استخدم هذا المصطلح من اللغويين، مع أنه لم يكن الرائد فى معالجة قضاياه فى اللغة، وقد أراد أن يبين به: أن ليس كل ما صاغه العرب مما خرج عن القياس بعد شاذاً ومرفوضاً، بل إن المسموع يعد أولى من المقيس إذا خالفه ولكن يجب أن نقف عنده ولا نتجاوزه فى القياس عليه.

فهو قد أراد ان يبين أن طلب الخفة وكراهة الاستثقال هى من الأسباب الموجبة للاستحسان عند العرب.

كما أنه يلاحظ لانه قد اقتفى فى ذلك خطوات فقهاء المذاهب الحنفي، الذين جعلوا الاستحسان أحد أدلتهم الفقهية، وكذلك احتذى فى معالجاته اللغوية، حذو شيوخه البصريين، فقد وجدنا أن جذور آرائه لها أصل فى كتاب سيبويه، وفى كتب شيوخه

---

[1] / الاقتراح - للسيوطى - ص ٧٦.

[2] / الاقتراح ص ٧٦.

[3] / الكتاب - سيبويه - ٢٣٥/٣.

[4] / السابق ٢٤٠/٣.

البصريين وتلامذتهم كالمازنى وابن السراج وأبى على الفارسى ولكن ابن جنّـــى كـــان رائداً فى استخدام مصطلح الاستحسان فى موضوعات أصول اللغة.

وقد اقتفى أثره فى ذلك عدد من العلماء كابن الانبارى والسيوطى.

الفصل الثالث
جهود ابن جني في مسيرة المعجم العربي

المبحث الأول:-
الأصوات والمعاني المعجمية عند ابن جني:-

لما كانت المعاجم العربية هى المرحلة الثالثة من مراحل رواية اللغة، وقد وقفت فى الفصل السابق على موقف ابن جنى من المرحلة الأولى والثانية. أما المرحلة الثالثة فقد خصصت لها هذا الفصل لما وجدته فى كتاب "الخصائص" من آراء معجمية قيمة يمكن أن تعد مصدرا مهما لأصحاب المعاجم. وقد ذكر أحد الدارسين المحدثين أن اسم ابن جنى يتكرر فى معجم لسان العرب ما يقرب من سبع وثلاثين وسبعمائة مرة وكذلك الحال فى المعجمات العربية الأخرى)"[1]، وسأتناول ذلك من خلال الركيزتين الأساسيتين لأى عمل معجمى وهما : اللفظ والمعنى؛ أما الألفاظ فسأتتبع موقف ابن جنى من خلال: أصواتها وصياغتها وتركيبها واشتقاقها. أما المعانى : فسأتتبع معالجة ابن جنى لموضوع الدلالة واستخراج المعانى.

إن الدراسة الصوتية لم تكن وليدة عصر ابن جنى؛ فقد أثارت قديما اهتمام علماء اللغة من الشعوب المختلفة كالهنود واليونان والرومان"[2]" ويلاحظ فى تلك الدراسات القديمة أنها ارتبطت بالكتب المقدسة، فإذا كان (الفيدا) هو الذى دفع الهنود إلى دراسة الأصوات اللغوية، فإن قراءة القرآن هى التى جعلت علماء العربية يتأملون أصوات اللغة ويلاحظونها مما أنتج فى وقت مبكر دراسة طيبة للأصوات لا تبتعد كثيرا عما يقرره المحدثون"[3]".

فقد بدأ العرب دراسة الأصوات عند انتشار الإسلام واختلاطهم بالشعوب الأخرى، فخشى العلماء على أصوات اللغة العربية، بخاصة عند قراءة القرآن الكريم، فنجد أن أول إشارة صوتية هى لأبى الأسود الدؤلى حين ضبط المصحف الشريف

---

[1] / هو محمود جفال فى مقاله (شذرات معجمية فى كتاب الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى/ أبحاث اليرموك مجلد ٩ عدد ١ ص ١٨٢.

[2] / علم الأصوات اللغوية – مناف مهدى محمد الموسوى – ط١ ١٤٠٣هـ-١٩٩٣م – جامعة السابع من ابريل – الجماهيرية الليبية ص ١٥٨.

[3] / فقه اللغة فى الكتب العربية – عبده الراجحى – ص ١٣٠.

بالشكل كما رأينا فى الفصل السابق فى نشأة الرواية اللغوية"[1]". لكنهم لم يتناولوا الأصوات كدراسة مستقلة وإنما تناولوها مختلطة بغيرها من البحوث؛ فتناولها النحاة كمدخل لدراسة ظاهرة الإدغام والحديث عن قواعد الإعلال، والإبدال. فقد عالج سيبويه الأصوات قبل معالجة الإدغام فى نهاية (الكتاب)"[2]" وعالج المبرد فى (المقتضب) الإدغام فى الجزء الاول وقدم له بدراسة للأصوات"[3]".

كما تناول أصحاب المعاجم بعض المشكلات الصوتية إما فى مقدمات معاجمهم أو فى ثنايا المادة اللغوية كما فعل الخليل فى كتابه العين إذ قدم له بدراسة صوتية"[4]".

وأسهم علماء التجويد والقراءات القرآنية بقدر لا يجحد فى هذا المجال فقد اشتملت كتبهم إلى جانب قواعد التلاوة على فصل فى مخارج الحروف وصفاتها كما فعل ابن الجزرى فى كتابه (النشر)"[5]".

كما تناول علماء البلاغة المادة الصوتية عند إشارتهم إلى تنافر الأصوات وائتلافها من خلال تعرضهم لشروط الفصاحة"[6]".

أما علماء اللغة القدامى فقد حصرت جهودهم فى مجال علم الأصوات على ثلاثة علماء تعد دراساتهم من أهم الدراسات الصوتية القديمة، وهم الخليل، وسيبويه وابن جنى"[7]".

فقد قام الخليل بترتيب معجمه (العين) ترتيبا صوتيا، وعمل له مقدمة حلل فيها أصوات العربية تحليلا علميا، وتعد -تلك المقدمة- أقدم مادة صوتية تصل إلينا"[8]".

وقد واصل سيبويه ما بدأه الخليل فقدم فى كتابه دراسة دقيقة للأصوات وصنفها حسب المخارج"[9]".

---

[1] / الفصل الثانى – المبحث الاول – ص

[2] / الكتاب – سيبويه – ٤/٤٣١-٤٣٦.

[3] / كتاب المقتضب – أبو العباس محمد بن يزيد المبرد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة دط١٣٨٢هـ-١٩٦٣م – لجنة احياء التراث الإسلامى.

[4] / العين – الخليل بن أحمد – ١/٤٧.

[5] / النشر فى القراءات العشر – محمد بن محمد الدمشقى ابو الخير ابن الجزرى – ص

[6] / سر الفصاحة – ابن سنان الخفاجى – فصل فى الأصوات وفصل فىالحروف ص ٥-٢١.

[7] / علم الأصوات اللغوية – مناف مهدى محمد الموسوى- ص ١٥٩.

[8] / مقدمة العين – الخليل بن أحمد – ١/٤٧.

[9] / الكتاب – سيبويه ٤/٤٣٢.

أما ابن جنى فهو أستاذ هذا العلم دون منازع وليس هذا غريبا على رجل عرف اللغة بأنها: (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)"[1]" وقد صنف كتابين مهمين فى علم الأصوات اللغوية هما (سر صناعة الأعراب) و (الخصائص) يعدان إضافة لكتاب سيبويه من المصادر الأساسية لعلم الأصوات اللغوية عند العرب.

ويعد كتابه (سر الصناعة) عملا كاملا لدراسة الأصوات، ويراه هو :(كتابا يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم وأحوال كل حرف منها وكيف مواقعه فى كلام العرب) ويذكر فيه أحوال هذه الحروف فى مخارجها ومدارجها وانقسام أصنافها وأحكامها... إلى غير ذلك من أجناسها)"[2]" ووصف فيه الصوت اللغوى بأنه :(عرض يخرج مع النفس مستطيلا، متصلا حتى يعرض له فى الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته)"[3]" ومن المعروف أن ابن جنى أول من عرض لجهاز النطق فشبهه بالناى وبوتر العود ليقدم صورة عن العملية الطبيعية لإنتاج الكلام"[4]".

ولا أريد فى هذا الموضع أن أتتبع كل ما كتبه ابن جنى فى الأصوات وبخاصة فى سر الصناعة فهو حقيق ببحث مفرد، وأكتفى هنا بقول أحد العلماء المحدثين: (إن معظم ما انتهى إليه ابن جنى فى سر الصناعة كان المعتمد غالبا فى كتب اللغة والتجويد حتى العصر الحديث، وليس هناك اختلافات تذكر ما عدا عدد المخارج وبعض الصفات الجزئية)"[5]".

أما المادة الصوتية التى قدمها ابن جنى فى (الخصائص)، فهى لا تسير على الطريقة المنظمة التي فى (سر الصناعة) وإن كانت من الوفرة بحيث تحتاج إلى دراسات مفردة، فنجده يتابع جهود شيوخ البصرة فى الدرس الصوتى من خلال نظرات وجوانب تعرض لها فى (الخصائص) كالإدغام والإمالة، ومضارعة الحروف للحركات، والحركات للحروف، ومناسبة حروف العربية لمعانيها، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، لإثبات القيمة التعبيرية للحرف الواحد.

---

[1] / الخصائص ١/٣٣.

[2] / سر صناعة الأعراب – ابن جنى –المقدمة ص ٣.

[3] / السابق ١/٦.

[4] / السابق ١/٣-١٠.

[5] / مدخل إلى فقه اللغة العربية – احمد محمد قدور – ص ١١٤.

فعقد فى الخصائص بابا سماه :(فى مطل الحروف) قال فيه :(والحروف الممطولة هى الحروف الثلاثة اللينة المصوته وهى : الألف والياء والواو)"[1]".

فنراه يطلق على الحركات الطويلة تسمية جديدة وهى (المصوته) وقد شرح المقصود منها فى سر الصناعة بقوله :(فإن الصوت مصدر صات الشئ يصوت صوتا فهو صائت، وصوت تصويتا فهو مصوت... ويقال رجل صات أى : شديد الصوت)"[2]" وهذه العبارة تشير إلى خاصة مهمة من خواص الحركة وهو ما يعرف فى الدرس الحديث (بالوضوح السمعى) (Sonority)"[3]".

ثم يميز ابن جنى تمييزا واضحا بين الحركات القصيرة والحركات الطويلة، فقد أعلن غير مرة أن الحركات أيضا حروف المد، قال فى باب :(مضارعة الحروف للحركات ، والحركات للحروف)"[4]".

(ألا ترى أن من متقدمي القوم من كان يسمى الضمة الواو الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والفتحة الألف الصغيرة، ويؤكد ذلك عندك أنك متى أشبعت ومطلت الحركة أنشأت بعدها حرفا من جنسها)"[5]" وهذا النص فى غاية الأهمية لأنه يجعل من حروف اللين أو المد حركات، لا تختلف عن الحركات القصيرة إلا فى كمية الصوت، ويرى ابن جنى أن الحركات العربية ليست ثلاثا فحسب، وإنما هناك حركات اخرى فرعية فيقول فى باب :(فى كمية الحركات)"[6]".

(أما ما فى أيدى الناس فى ظاهر الأمر فثلاث وهى الضمة والكسرة والفتحة، ومحصولها على الحقيقة ست. وذلك أن بين كل حركتين حركة. فالتى بين الفتحة والكسرة هى الفتحة قبل الألف الممالة؛ نحو فتحة عين عالم، وكاف كاتب. فهذه حركة بين الفتحة والكسرة، كما أن الألف التى بعدها بين الألف والياء، والتى بين الفتحة والضمة هى التى قبل ألف التفخيم نحو فتحة لام الصلاة والزكاة والحياة ... والتى بين الكسرة والضمة، ككسرة قاف قيل وسين سير فهذه الكسرة المشمة ضما، ومثلها الضمة

---

[1] / الخصائص ١٢٤/٣.

[2] / سر صناعة الأعراب – ١١/١.

[3] / علم اللغة العام – القسم الثانى – الأصوات – كمال بشر د.ط ١٩٧٠م دار المعارف – مصر – ص :

[4] / الخصائص ٣١٥/٢.

[5] / السابق ٣١٥/٢.

[6] / السابق ١٢٠/٣.

المشمة كسرا كضمة قاف المنقر"[1]"، وضمة عين مذعور ... فهذه ضمة أشربت كسرا كما أنها فى قيل وسير كسره أشربت ضما فهما لذلك كالصوت الواحد؛ لكن ليس فى كلامهم ضمة مشربة فتحة، ولا كسرة مشربة فتحة)"[2]"وهذا النص واضح من ابن جنى فى أن الحركات ست وتحدث ابن جنى عن محل الحركات من الحروف متبعا مذهب سيبويه الذى يرى أن الحركة تحدث بعد الحرف"[3]" وقال فى سر الصناعة :(محال أن تكون الحركة فى المرتبة قبل الحرف؛ وذلك أن الحرف كالمحل للحركة، وهى كالعرض فيه، فهى لذلك محتاجة إليه، فلا يجوز وجودها قبل وجوده)"[4]" وضرب فى الخصائص عدة أمثلة ليثبت عدم ورود الحركة قبل الحرف فقال فى كلمتى :(ميزان وميعاد) قلب الواو ياء يدل على أن الكسرة لم تحدث قبل الميم لأنها لو كانت حادثة قبلها لم تل الواو، فكان يجب أن يقال : موزان وموعاد وذلك أنك تقلب الواو ياء للكسرة التى تجاورها من قبلها"[5]".

وذهب أبو على الفارسى فى ذلك إلى : أن الحركة تحدث مع الحرف، ودليله أن النون الساكنة مخرجها مع حروف الفم من الانف، والمتحركة مخرجها من الفم، فلو كانت حركة الحرف تحدث من بعده لوجب أن تكون النون المتحركة أيضا من الأنف، لأن الحركة تحدث بعدها فكان ينبغى ألا تؤثر فيها) واعترض ابن جنى على هذا ودليله على ذلك أن النون الساكنة إذا وقعت بعدها الباء، قلبت ميما فى اللفظ حركة النون قبلها من الأنف إلى الفم)"[6]".

وغير ذلك الكثير من الأمثلة التى أراد أن يؤكد بها أن الحركة تحدث قبل الحرف"[7]".

ويتعرض ابن جنى فى الخصائص لما يعرف :(بالصوت فى الكلام)؛ ذلك أن الأصوات فى الكلام المتصل لا تحتفظ بخصائصها التى تعرف بها بل تكتسب خصائصا جديدة، فيذهب الدرس الحديث إلى (أن للأصوات فيما بينها نحوا خاصا، وأن علاقاتها

---

[1] / المنقر : البئر كثيرة الماء - الكتاب ٢/٢٧٠ الخصائص ٣/١٢١.

[2] / السابق ٣/١٢٠.

[3] / الخصائص ٢/٣٢٠-٣٢١.

[4] / سر الصناعة ١/٢٨.

[5] / الخصائص ٢/٣٢٢.

[6] / السابق ٢/٣٢٤-٣٢٥.

[7] / السابق ٢/٣٢١-٣٢٧.

تحكمها قواعد وأصول معينة، فنجد أن هذا الصوت ينقلب صوتا جديدا إذا وقع في سياق صوتي معين، ونجد أن صوتا ثالثا يحذف إذا توفر فيه وفيما يجاوره من أصوات شروط معينة)"[1] أشار ابن جنى إلى ذلك فى باب (الإدغام الأصغر) الذى عرض فيه لأنواع من التأثر التى يتعرض لها الصوت، وقد عالج ابن جنى هذه الظاهرة بعد سيبويه الذى عبر عنها بقوله :(هذا باب الحرف الذى يضارع به حرف فى موضعه والحرف الذى يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه)"[2] أما ابن جنى فيقول :(قد ثبت أن الإدغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب صوت من صوت. وهو فى الكلام على ضربين: أحدهما أن يلتقى المثلان على الأحكام التى يكون عنها الإدغام، فيدغم الأول فى الاخر ... كطاء قطّع ... ودال شدّ، والآخر أن يلتقى المتقاربان على الأحكام التى يسوغ معها الإدغام فيقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه. وذلك مثل ودّ فى اللغة التميمية (و أصله وتد) وامحى، والمعنى الجامع بهذا كله تقريب الصوت من الصوت ألا ترى أنك فى قطع ونحوه قد أخفيت الساكن الأول فى الثانى حتى نبا"[3] اللسان عنهما نبوة واحدة، وزالت الوقفة التى كانت تكون فى الأول لو لم تدغمه فى الآخر... فهذا حديث الإدغام الأكبر؛ وأما الإدغام الأصغر، فهو تقريب الحرف من الحرف وادناؤه منه من غير إدغام يكون هناك وهو ضروب. فمن ذلك الإمالة، وإنما وقعت فى الكلام لتقريب الصوت من الصوت ... ومن ذلك أن تقع فاء افتعل صادا أو ضادا، أو طاء أو ظاء، فتقلب لها تاؤه طاء وذلك نحو اصطبر واضطرب ... فهذا تقريب من غير إدغام"[4].

ويتضح لنا من هذه الأمثلة ادراك ابن جنى لظواهر التأثير وأسبابه من خلال ترديده لعبارة (تقريب الصوت من الصوت) وهذا ما يعرف فى الدرس الحديث بالمماثلة الصوتية (Assimilation).

ويلتفت ابن جنى التفاته واضحة إلى ما يعرف الآن (بالفونيم) (Phoneme) وهى كلمة انجليزية تصعب ترجمتها لاختلاف وجهات النظر فى تفسيرها تفسيرا علميا

---

[1] / فقه اللغة فى الكتب العربية – عبده الراجحى– ص١٣٩.

[2] / الكتاب ٤٢٦/٢.

[3] / نبا : الشئ أى تجافى وتباعد وانبيته عنى : أى دفعته عنى. اللسان مادة(نبا).

[4] / الخصائص ١٣٩/٢-١٤١.

ولكنها فى رأى بعضهم تعنى (الوحدة الصوتية (Unit) "[1]" أى : تنوع الصوت الواحد حسب تركيبة فى الكلام.

ولا أقول : إن ابن جنى قد توصل إلى هذه النظرية فى (الفونيم) على ما يفصل فيها المحدثون، وعلى ما يختلفون فيها أيضا، ولكنه كان يدرك أن الصوت يختلف باختلاف سياقه الصوتى فيقول :(وذلك أن العين إذا كانت ساكنة، فليس سكونها كسكون اللام، وسأوضح لك حقيقة ذلك لتعجب من لطف غموضه ... فصار الساكن المتوسط لما ذكرنا كأنه لا ساكن ولا متحرك)"[2]" فهذا النص الذى يحلل فيه الصوت الواحد حسب مواقعه المختلفة فى السياق الصوتى يؤكد إدراك ابن جنى لهذه الظاهرة.

ومن القضايا الصوتية المهمة التى تناولها ابن جنى فى خصائصه محاولته ايجاد علاقة قوية بين حروف العربية ومعانيها وربطها بأصوات الطبيعة، ولعل هذه النقطة هى بداية اهتمام ابن جنى بالأصوات الطبيعية فقد أشار فى بداية خصائصه إلى وجود ثلاث نظريات فى نشأة اللغة : وهى النظرية التوقيفية، والنظرية الاصطلاحية، والنظرية الطبيعية، التى ترى أن اللغة الانسانية نشأت بتقليد الإنسان للأصوات الطبيعية المحيطة به. والنظرية الأخيرة هى التى علق عليها ابن جنى بقوله :(وهذا عندى وجه صالح ومذهب متقبل)"[3]".

وتجدر الإشارة إلى أن ابن جنى قد اعترف فى باب (إمساس الألفاظ أشباه المعانى)"[4]" بفضل السبق للخليل ابن احمد وتلميذه سيبويه فى الإشارة إلى العلاقة الوثيقة بين أصوات الألفاظ ومعانيها، بل إنهما قد نبها عليها تنبيها شديدا سمح لابن جنى أن يقول :(إن هذا موضع شريف لطيف... وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته)"[5]" ثم ينقل قول الخليل :(كأنهم توهموا فى صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا : صر ، وتوهموا فى صوت البازى تقطيعا فقالوا صرصر) وينقل عن سيبويه ما يؤكد هذه العلاقة أيضا، (وقال سيبويه فى المصادر التى جاءت على الفعلان : إنها تأتى

---

[1] / علم اللغة العام - كمال بشر - ٢٠٣-٢٠٤.

[2] / الخصائص ١/٥٧-٥٨.

[3] / السابق ١/٤٧.

[4] / السابق ٢/١٥٢-١٦٨.

[5] / السابق ٢/١٥٢.

للاضطراب والحركة؛ نحو النقزان"[1]" والغليان، والغثيان. فقابلوا بتوالى حركات المثال توالى حركات الأفعال)"[2]".

وعلى الرغم من إشارة ابن جنى للخليل وسيبويه، يظل هو رائد اللغويين القدامى الذين لاحظوا هذه الظاهرة وقدروها فهو يقول :

(فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم، ونهج متلئب"[3]" عند عارفيه مأموم)"[4]" وقد جعل ابن جنى العلاقة بين الألفاظ ومعانيها أساسا لبناء عدد من النظرات المعجمية، وقد أعانه على ذلك ثقافته الصوتية والصرفية والنحوية بالإضافة إلى مباحثه فى الاشتقاق.

وكثيرة هى الأمثلة التى أوردها ابن جنى فى باب :(فى امساس الألفاظ أشباه المعانى) والتى أبرز من خلالها نظراته المتعلقة بمعانى الألفاظ وأصواتها، ومن ذلك:

١/ أن تكرار الحرف فى اللفظ يقابل تكرار الحدث أو الفعل فى الواقع، وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتى للتكرير، نحو : الزعزعة، والقلقلة، والصلصلة ... وغيرها.

٢/ أن توالى الحركات فى اللفظ يقابل تواليها فى الحدث (ووجدت أيضا الفعلى فى المصادر والصفات، إنما تاتى للسرعة نحو : البشكى"[5]" والجمزى"[6]" والولقى"[7]" ..."[8]".

٣/ إن ترتيب الحروف فى الكلمات يقابل ترتيب الأفعال التى تدل عليها تلك الكلمات (ومن ذلك أنهم جعلوا (استفعل) فى أكثر الأمر للطلب؛ نحو استسقى واستطعم، واستوهب، ... فرتبت فى هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال؛... فجاءت الهمزة والسين والتاء زوائد، ثم وردت بعدها الأصول : الفاء والعين، واللام، فهذا من اللفظ وفق المعنى الموجود هناك. وذلك أن الطلب للفعل والتماسه والسعى فيه

---

[1] / النقزان – كالوثبان – من نقز ينقز نقزا ونقزانا : وثب اللسان مادة (نقز).

[2] / الكتاب سيبويه ٢١٨/٢ والخصائص ١٥٢/٢.

[3] / متلئب : مستقيم.

[4] / الخصائص ١٥٧/٢.

[5] / البشك : هو السرعة وخفة نقل القوائم وامرأة بشكى اليدين حفيفة اليدين – اللسان مادة (بشك).

[6] / الجمزى : حمار وحشى والجمزى هو الوثب السريع – اللسان مادة (جمز).

[7] / الولق : السير السهل السريع – والاستمرار فى السير وناقة ولقى : سريعة – اللسان مادة (ولق).

[8] / الخصائص ١٥٣/٢.

والتأتي لوقوعه تقدمه، ثم وقعت الاجابة إليه... فكما تبعت أفعال الاجابة أفعال الطلب، كذلك تبعت حروف الأصل الحروف الزائدة التى وضعت للالتماس والمسألة)"[1]" فهما إذن قبل حدوث الفعل لأنهما طلب له.

٤/ إن تكرار العين فى الفعل يقابل تكرار الحدث نحو : كسر ، وغلق، وقطع :(وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليله المعانى، فأقوى اللفظ ينبغى أن يقابل به قوة الفعل)"[2]" فأشار إلى أنهم كرروا العين لأنها أقوى من الفاء واللام، لأنها واسطة لهما ومكنوفة بهما، فصارا كالسياج لها، فلما كانت الأفعال دليلة المعانى كرروا أقواها، وجعلوه دليلا على قوة المعنى المحدث به.

٥/ إن تكرار العين واللام فى البناء يدل على المبالغة فى المعنى، نحو :دمكمك"[3]"، وصمحمح"[4]"،وعركرك"[5]" ومما جاء عنهم للمبالغة نحو : اخلولق، واعشوشب، وكذلك فى الاسم نحو : عثوثل"[6]"، وغدودن.

٦/ وإن الابنية بأصوات حروفها على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها، ويحتذونها عليها، نحو : الخضم والقضم، ويحاول ابن جنى تفسير معنى اللفظتين والفرق بينهما تبعا لصوتى (الخاء ، والقاف) ويقول (فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ وما كان نحوه من المأكول الرطب. والقضم للصلب اليابس نحو : قضمت الدابة شعيرها ... فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس؛ حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث)"[7]"... وغير ذلك الكثير من الأمثلة التى اوردها فى هذا الباب، ونلاحظ فيها أن ابن جنى قد يستخدم المصطلحات الصوتية مباشرة نحو قوله فى (الوسيلة، والوصيلة) :(والصاد أقوى صوتا من السين (لما فيها من الاستعلاء) ... فجعلوا الصاد لقوتها للمعنى الأقوى، والسين لضعفها للمعنى الأضعف)"[8]".

---

[1] / الخصائص ٢/١٥٣-١٥٤.

[2] / السابق ٢/١٥٥.

[3] / الدمكمك : الشديد القوى – اللسان مادة (دمك).

[4] / الصمحمح : هو الرجل الشديد وتقال للقصير ، واللسان مادة (صمح).

[5] / العركرك : هو القوى الغليظ – اللسان مادة (عرك).

[6] / العثوثل : الضخم المسترخى – اللسان مادة (عثل).

[7] / الخصائص ٢/١٥٧.

[8] / السابق ٢/١٦٠.

٧/ ويذهب ابن جنى إلى أبعد من هذا لطفا وحكمة، وذلك أن ترتيب أصوات الحروف فى الابنية يقابل ترتيب الاحداث أو الأفعال فى الواقع، فأول الحروف فى الكلمة يقابل أول الحدث فى الواقع، وآخرها يقابل آخره سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب نحو قولهم : (بحث) ، فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصحلها"[١]" تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت فى الأرض، والثاء للنفث والبث فى التراب، وهذا أمر تراه محسوسا محصلا فأي شبهة تبقى بعده، أم اى شك يعرض على مثله)"[٢]".

وكأن ابن جنى كان يدرك استغلاق ما ذهب إليه وأن العلماء بعده سيقفون بين مؤيد ومعارض لما ساقه إذ يقول :(فهذا ونحوه أمر إذا أنت أتيته من بابه، وأصلحت فكرك لتناوله وتأمله، أعطاك مقادته، وأركبك ذروته، وجلا عليك بهجاته ومحاسنه، وإن أنت تناكرته، وقلت هذا أمر منتشر، ومذهب صعب موعر؛ حرمت نفسك لذته، وسددت عليها باب الحظوة به)"[٣]" ويرى ابن جنى أن ما لاحظه من هذه الأمثلة، لم يقع فى هذه اللغة الشريفة مصادفة؛ إنما هو شاهد على حكمة العرب وذكائها وما وفقها الله إليه من معرفة، ودليله على أن ما ذكره تؤيده شواهد كثيرة : هو أن العرب تسمى الأشياء بأصواتها؛ كالبط لصوته، وغاق للغراب لصوته أيضا وتشتق أفعالا من الأصوات؛ كاشتقاقهم حاحيت، وعاعيت، وهاهيت، إذا قلت : حاء وعاء وهاء وهى أصوات الزجر للحيوان، والأمر فى هذا وأضرابه واسع، وعلى الرغم من أن ما ذكره ابن جنى لا يصح إلا فى بعض الكلام دون غيره إلا أننا نجد فى امثلته وطريقة عرضها، ما يشهد له بالتعمق وتقليب الأمور.

أما باب (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى)"[٤]" فقد خصصه ابن جنى للحديث عن تقارب اصوات الألفاظ لتقارب المعانى الدالة عليها. ويلاحظ أنه قد ذكر فى الباب السابق"[٥]" أمثلة من هذا النحو، ساقها للدلالة على حكاية الأصوات الطبيعية. أما فى هذا الباب فيبدو أن ابن جنى كان مشغولا بفكرة أخرى إلى جانب حكاية الأصوات؛ وهى

---

[١] / الصحل : حدة الصوت مع بح – اللسان مادة صحل.

[٢] / الخصائص ١٦٣/٢.

[٣] / السابق ١٦٢/٢.

[٤] / السابق ١٤٥/٢.

[٥] / السابق ١٥٢/٢ باب (امساس الألفاظ أشباه المعانى).

القيمة البيانية للحرف الواحد اعتمادا على مخرجه وصفاته. إذ لم يعنه من كل حرف أنه صوت؛ وإنما عناه من صوت هذا الحرف أنه معبر عن غرض، وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التى يمكن حل أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدوال المعبرة. فكل حرف منها يستقل ببيان معنى خاص ما دام يستقل باحداث صوت معين. سواء كان بسيطا أو مركبا، ثنائيا أو ثلاثيا أو رباعيا أو خماسيان مجردا كان أو مزيدا"[1]".

وتجدر الإشارة إلى أن ما أورده ابن جنى فى هذا الباب يسلك عادة لدى الباحثين المحدثين فى باب (الاشتقاق الأكبر)"[2]" غير أننى أعنى هاهنا بما سبق ذكره من توظيف للمعارف الصوتية حول مخارج الحروف وصفاتها فى بيان معنى كل حرف منها. وقد ذكر ابن جنى لذلك الأمثلة واحتج بالشواهد التى لا يسهل دفعها، فقد كان مقتنعا بوجود التناسب بين اللفظ ومدلوله فى كل أحواله. ومن ذلك :(أزّ، وهزّ)، أى أقلق وأزعج وأورد قوله تعالى :(**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**)"[3]" أى تزعجهم وتقلقهم، وهذا فى معنى تهزهم هزا والهمزة أخت الهاء فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء وهذا المعنى أعظم فى النفوس من الهز لأنك قد تهز ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك)"[4]".

(ومنه العسف"[5]" والأسف، والعين أخت الهمزة، كما أن الأسف يعسف النفس وينال منها، والهمزة أقوى من العين؛ كما أن أسف النفس أغلظ من التردد بالعسف. فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين)"[6]" وغير ذلك الكثير من الأمثلة التى ذكرها فى البابين.

وقد تقع المضارعة فى الأصل الواحد بالحرفين نحو قولهم (السحيل) و(الصهيل) فالأول من (سحل) والثانى من (صهل) والصاد اخت السين كما أن الهاء أخت الحاء.

---

[1] / دراسات فى فقه اللغة – صبحى الصالح – ص ١٤٢.

[2] / السابق ص١٤٧.

[3] / سورة مريم – آية رقم (٨٣).

[4] / الخصائص ١٤٦/٢.

[5] / العسف : السير على غير طريق وهدى ونقل المعنى إلى الظلم – الخصائص ١٤٦/٢ هامش (٧).

[6] / السابق ١٤٦/٢.

ومثله قولهم فى الصوت (سحل) و (زجر) والسين أخت الزاى، كما أن اللام أخت الراء.

ثم تجاوز ذلك إلى المضارعة بالأصول الثلاثة (الفاء، والعين، واللام) فقالوا (عصر) و (أزل) فى الحبس فالعين أخت الهمزة، والصاد أخت الزاى، والراء أخت اللام. وكذلك قالوا :(الأزم) : المنع، و (العصب) : الشد، فالمعنيان متقاربان والهمزة أخت العين والزاى أخت الصاد، والميم أخت الباء، وقالوا (أفل) و (غبر) للغائب"[1]".

وغير ذلك الكثير من الشواهد التى أوردها ابن جنى فى هذا الباب، مشيرا بها إلى دلالة الحرف على المعنى بالنظر إلى قوة الحرف ضمن منظومة المخارج، فالحرف القوى للمعنى الأقوى والحرف الضعيف للمعنى الأضعف. ويشير فى نهاية هذا الباب إلى أن (هذا النحو من الصنعة موجود فى أكثر الكلام، وفرش"[2]" اللغة محتاج إلى من يثيره ويبحث عن مكنونه)"[3]".

وإذا عدنا مع ابن جنى إلى الباب السابق (إمساس الألفاظ أشباه المعانى) نجده يذهب إلى أبعد من ذلك لإثبات القيمة التعبيرية للحرف الواحد، فى أن هذا الحرف البسيط يوحي بمعناه الذاتى من خلال صوته ومن أوضح الأمثلة على هذه الظاهرة اللغوية العجيبة ما ذكره ابن جنى من ازدحام الدال، والتاء، والطاء والراء، واللام والنون إذا اجتمعت مع الفاء فى كلمة على التقديم والتأخير، فأكثر أحوالها ومجموع معانيها أنها للوهن والضعف ونحوهما. وأورد لذلك عددا من الأمثلة منها :

الدالف : للشيخ الضعيف.

والشئ التالف والطِّليفُ : المجان، وليست له عصمة الثمين.

والطَّنِفُ : ما خرج عن البناء وهو إلى الضعف.

والنَّطَفُ : العيب ، وهو إلى الضعف.

والدَّنِفُ : المريض.

الطِّفل : للصبى ، لضعفه.

---

[1] / الخصائص ١/١٤٩-١٥٠.

[2] / فرش : هو بسط الشئ – اللسان مادة (فرش).

[3] / الخصائص ٢/١٦٨.

الفطر : الشق وهو إلى الوهن . وغير ذلك ويختم الباب بتنبيهنا علـــى أن مثـــل هـــذه الامثلة كثيرة فى اللغة، ولو شاء لكتب منها أوراقا كثيرة"[1]".

وواضح أن ابن جنى يعول فى هذه الأمثلة على حرف الفاء فهو الذى أفاد بقيمته التعبيرية الخاصة معنى الوهن والضعف فى الأمثلة السابقة. وعلى الرغم من اعجـــابى بالكثير من المواضع التى حاول فيها ابن جنى إثبات القيمة التعبيرية للحرف الواحد فـــى الألفاظ العربية إلا أنه من الصعب استنتاج قانون عام يجعل لكل حرف معنى خاصا بـــه وأن يكون معنى الكلمة من مجموع حروفها مطلقا. فنحن لا نستطيع أن ننكـــر وجـــود العلاقة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها، خاصة بين الألفاظ الموضوعة لمحاكاة الأصوات الطبيعية، فالعصفور يزقزق، والذئب يعوى، والقطة تموء إلى غير ذلك من أصـــوات الحيوانات، ومثله خرير الماء وصرير الباب وشهيق الباكى وأنين المريض وغيرها من الألفاظ المشتقة من أصواتها. ولكن كل ذلك ينبغى أن يؤخذ بمزيد من الاحـــتراز قبـــل الاستقراء والتحرى لتقديم نتائج عامة حول معانى حروف العربية.

ويمكننا أن نفيد من هذه الأبواب مما قدمه ابن جنى من وصف دقيق للأصـــوات العربية، يكاد يصل فى دقته إلى ما أثبتته التجارب الحديثة. بالإضافة إلى أنه يقدم لنـــا المنهج التقليدي فى فقه اللغة وهو تأريخه للفظة ومعناها بشرح تصاريفها ليندرج مـــن المعانى المادية المحسوسة إلى المعانى المجردة المدركة، بحثا عن قانون عـــام ينتظـــم اللغة وهو جوهر علم اللغة - كما يعرفه المحدثون)"[2]".

---

[1] / الخصائص ١٦٨/٢.

[2] / فقه اللغة فى الكتب العربية – عبده الراجحى – ص ٢٩٢ هامش (١).

المبحث الثاني:-
الوزن الصرفي والمعاني المعجمية:-

وضح لنا من خلال حياة ابن جنى العلمية، انه كان عالما فى علوم شتى، ولكنه نبغ فى علم الصرف وتذكر لنا المصادر أن اتصاله باستاذه أبى على الفارسى كان بسبب مسألة صرفية"[1]" حتى أصبح فيما بعد إماما فى علم التصريف : وألف فيه كتبا مستقلة منها (المنصف) فى شرح تصريف المازنى، والتصريف الملوكي.

وبالإضافة إلى ذلك يزخر كتابه الخصائص بآرائه الثاقبة فى هذا العلم، ويرى أن علم التصريف هو ميزان العربية، وبه يعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليه، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به وقد عرفه بقوله :(أن تجئ إلى الكلمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتى)"[2]".

ولقد أدرك ابن جنى ما للصرف من أهمية كبيرة لضبط ألفاظ اللغة العربية، فعقد بابا فى خصائصه سماه (الغرض من مسائل التصريف)"[3]" فجعلها على ضربين :

الأول : الإدخال لما تبنيه فى كلام العرب والإلحاق له به، نحو قولك فى مثل جعفر من ضرب : ضربب، ومثل حبرج"[4]" ضربب، ومثل صفرد"[5]" : ضربب، ومثل سبطر: ضرب، ومثل فرزدق من جعفر: جعفرر. فهذا عندنا كله إذا بنيت شيئا منه فقد أدخلته فى كلام العرب، وأدعيت بذلك أنه منه)"[6]".

فهذا النوع من فوائد التصريف من ابن جنى يضع أمامنا حلا لعدد من المعضلات اللغوية من مثل معرفة أصول الألفاظ العربية، واشتقاقها أو معرفة أصول الألفاظ المعربة التى قد يختلط أمرها على من لم يتسلح بثقافة صرفية، إضافة إلى حل مشكلة تعريب بعض الألفاظ التى نعانى منها، ويرى بعض الباحثين المحدثين :(أن العربية استطاعت فى فترة مبكرة من تاريخها أن تستوعب من هذا القبيل ما هو أكبر

---

[1] / بغية الوعاة ١٣٢/٢ – نزهة الألباء ص ٣٣٢.

[2] / المنصف فى شرح تصريف المازنى ٢/١ – ٣.

[3] / الخصائص ٤٨٧/٢–٤٨٨.

[4] / الحبرج : نوع من طيور الماء – الخصائص ٤٨٧/٢ هامش (٧).

[5] / الصفرد : طائر يقال له ابو المليح – الخصائص ٤٨٧/٢ هامش (٨).

[6] / الخصائص ٤٨٧/٢.

فى زمانها –مما هو فى زماننا– وقد كان ذلك ميسورا لدى العلماء العرب لأنهم كانوا يعرفوا خصائص لغتهم)"[1].

والثانى : هو التماس الرياضة به والتدريب بالصنعة فيه، نحو قولك فى مثل (فَيْعُول) من شويت : شَيْوِيٌ، وفى فُعْلُول منه (شُوْوِيٌ) وفى مثل (عَضْرَفُوتٌ) من الآءة : (أَوْ أَيْوٌ) ومنها مثل (صُفْرُق)"[2]": (أُوْوِيو)، ومن يوم مثل (مَرْمَيس) : (يَوْيَويم)، ومثل : أَلَنْدَدَ :(أَيْنَوَم) ومثل قولك فى نحو :(افْعَوْعَلْتَ) من وَأَيْتَ (أياوأيت))"[3]".

ويشير ابن جنى إلى أن الغرض من هذا التأنس به واعمال الفكرة فيه ... ويشير إلى أن (ذلك لم يات عن العرب مثله) مما دفع كثير من العلماء المحدثين إلى نقده، وأنه بذلك - وغيره من علماء العربية– قد أغرقوا الدرس الصرفى فى متاهات من الافتراض؛ إذ إنهم كانوا يتصورون أصولا غير موجودة ويبنون عليها تغييرات لم تحدث قط"[4]".

ومثل ذلك ما يقوله فى باب (ملاطفة الصنعة)"[5]" حيث يقول :(وذلك أن ترى العرب قد غيرت شيئا من كلامها من صورة إلى صورة، فيجب حينئذ أن تتأتى لذلك وتلاحظه لا أن لتخبطه وتتعسفه. وذلك كقولنا فى قولهم فى تكسير جَرْو وَدْلو : أجرٍ وأدلٍ: إن أصله أجرُوٌ وأدلُوٌ ، فقلبوا الواو ياء. وهو – لعمرى كذلك، إلا أنه يجب عليك أن تلاين الصنعة ولا تعازّها، فتقول: إنهم أبدلوا من ضمة العين كسرة فصار تقديره أجرِوٌ وأدلِوٌ، فلما انكسر ما قبل الواو –وهى لام– قلبت ياء فصارت أجرٍ وأدلٍ، وإنما وجب أن يرتب هذا العمل هذا الترتيب من قِبل أنك لما كرهت الواو هنا لما تتعرض له من الكسرة والياء فى أدلِوٍ وأجرِوٍ، لو سميت رجلا"[6]" بأدلٍ ثم أضفت إليه، فلما ثقل ذلك بدءوا بتغيير الحركة الضعيفة تغييرا عَبْطا وارتجالا. فلما صارت كسرة تطرقوا بذلك لى قلب الواو ياء تطرقا صناعيا. ولو بدأت فقلبت الواو ياء بغير آلة القلب من الكسرة قبلها لكنت قد استكرهت الحرف على نفسه تهالكا وتعجرفا لا رفقا

---

[1] / فقه اللغة فى الكتب العربية – عبده الراجحى ص/١٥٣-١٥٤.

[2] / الصفرق : نوع من النبات – الخصائص ٤٨٨/٢ هامش (٤).

[3] / الخصائص ٤٨٨/٢.

[4] / فقه اللغة فى الكتب العربية – عبده الراجحى ص/١٥٣-١٥٤.

[5] / الخصائص ٤٧٠/٢.

[6] / شرط التسمية هنا قبل الإضافة إلى ياء النسب لأنه جمع فلا ينسب إليه على لفظة إلا إذا كان علما، وإلا نسب إلى مفرده – الخصائص ٤٧٠/٢ هامش (٤).

وتلطفا. ولما فعلت ذلك فى الضمة كان أسهل منه فى الـــواو الحـــرف؛ لأن ابتذالـــك الضعيف أقرب مأخذا من إنحنائك على القوى فاعرف ذلك أصلا فى هذا الباب)"[1]".

فهذا النحو من ابن جنى دفع الكثير من العلماء المحدثين إلى إنكاره وأن مثل هذه الطريقة فى الدرس الصرفى تكثر منه كثرة غير مألوفة مما جعلهم يدعون إلى الغائه"[2]".

ولكن ذلك لا يجعلنا ننكر أن ابن جنى قد تمكن بفضل ثقافته الصرفية من حـــل مشكلة ضبط الألفاظ العربية بالوزن أو بالحركات. وهى مما لا يستغنى عنـــه واضـــع المعجم. إضافة إلى أنه تمكن من اصدار أحكام صائبة فى الأعمـــال المعجميـــة التـــى سبقته. فقد وجد لهم العذر فيما وقعوا فيه من أخطاء لبعدهم عن معرفـــة التصريـــف. وحاول أن يصوب بعض ما وقع فيه لغويو العرب -ممن لم تكن لهم دراية كافية فـــى الصرف- من مغالطات فى تفسيراتهم أو استنتاجاتهم الصرفية. وأورد على ذلك عـــدة أمثلة منها ما ذكره فى وزنى (رخو) و (رخود) إذ توهم بعض اللغويين تشابه الأصليـن لتوافق حروف الكلمتين. فرفع ابن جنى هذا التوهم بأن بين تركيب كـــل كلمـــة مـــن الكلمتين فيقول :

(وإنما تركيب (رخو) من (ر خ و) وتركيب (رخود) من (ر خ د) وواو رخـود زائدة، وهو (فعول) ... والفاء والعين من رخو ورخود متفقتان، ولكن لامهما مختلفتـلن ... وأما معنى الرخو : فهو الضعيف، والرخود: المتثني، والتثنى عـــائد إلـــى معنـــى الضعف)"[3]". ولعل هذا التداخل الشديد فى اللفظ والمعنى هو الذى أوهم البعـــض فلـــم يستطيع التفريق بين أصليهما ويعزى ابن جنى ذلك إلى ضعف نظرة وقلة أمـــره مـــن التصريف ويورد أمثلة أخرى لمثل ذلك فى هذا الباب"[4]".

ومن معالجات ابن جنى القيمة فى التصريف تلك المحاولات التى بذلها لإعـــادة الفاظ معينة إلى أصولها رغم التغيير الذى قد يطرأ عليها فى أثناء استخدامها، فذكر ذلك فى باب : (فى الأصلين يتقاربان فى التركيب بالتقديم والتأخير)"[5]" هو ما يعرف بـــالقلب

---

[1] / الخصائص ٢/٤٧٠.

[2] / فقه اللغة فى الكتب العربية عبده الراجحى ص ١٥٥.

[3] / الخصائص ٢/٤٤-٤٥.

[4] / السابق . والصفحة

[5] / السابق ٢/٦٩.

المكانى فقسم تلك الألفاظ التى تتحد فى التركيب وتختلف فى ترتيب الحروف إلى قسمين:

الأول : أن يكون اللفظان جميعا أصلين، ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه، وهذا هو القياس الذى لا يجوز غيره ومثل له بقولهم : جذب وجبذ، فليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه، فهما جميعا يتصرفان تصرفا واحدا نحو : جذب يجذب جذبا فهو جاذب والمفعول مجذوب، وجبذ يجبذ جبذا فهو جابذ ومجبوذ، فمثل هذين اللفظين وجب ان يتوازيا وأن يمثلا بصفحتيهما معا وغيرهما مما هذه سبيله.

والثانى : أن يكون أحدهما مقلوبا عن صاحبه فتبحث عن أيهما الأصل وأيهما الفرع، وسبيلك فى ذلك أن تأخذ أوسعهما تصرفا أصلا لصاحبه. وضرب لذلك أمثلة كثيرة من كلام العرب نذكر منها اضمحل وامضحل فنجد المصدر الاضمحلال، ولا يقولون امضحلال. وكذلك قولهم : اكفهر واكرهف فالثانى مقلوب عن الأول؛ لأن المصدر الإكفهرار ولم يمر بنا الاكرهفاف. وغير ذلك الكثير من الأمثلة التى أوردها فى هذا الباب الذى ختمه بقوله :(والقلب فى كلامهم كثير، ... ومتى أمكن تناول الكلمة على ظاهرها، لم يجز العدول عن ذلك بها، وإن دعت ضرورة إلى القول بقلبها كان ذلك مضطرا إليه لا مختارا)"[1]".

فهو يشير بذلك إلى أن القلب لا يجوز أن نجزم به إلا اضطرارا، ثم يوضح فى الباب التالى"[2]" (إلى أنه متى أمكن أن يكون الحرفان جميعا أصلين... لم يسع العدول عن الحكم بذلك ... وأورد عددا من الأمثلة للألفاظ المتساوية فى الاستعمال فلا يجوز جعل أحدهما أصلا للآخر ومن ذلك هتلت السماء وهتنت، فهما أصلان متساويان فى التصرف"[3]".

ومن إسهامات ابن جنى الصرفية فى المعجم العربى إشارته إلى تلاقى الوزن الصرفى والمعانى المعجمية، فقد بابا فى الخصائص سماه :(باب فى تلاقى المعانى، على اختلاف الأصول والمبانى)"[4]" قدم له بتعريف موجز وهو :(أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة فتبحث عن أصل كل اسم منها فتجده مفضى المعنى إلى معنى صاحبه)

---

[1] / الخصائص ٢/٦٩-٨٢.

[2] / باب فى الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه -الخصائص ٢/٨٢.

[3] / السابق ٢/٨٢.

[4] / السابق ٢/١١٣.

فالواضح من هذا التعريف أن هذا الأمر أقرب إلى موضوع الترادف غير أن للصوف الأثر الكبير فيه. ويمثل ابن جنى لذلك بخلق الإنسان، و (خَلْق) :(فَعْل) من خلقت الشئ أى ملَسته، ومنه صخرة خلقاء؛ أى ملساء"[1]" ومعناه أن خلق الإنسان هو ما قدر له ورتب عليه، وكأنه أمر قد استقر وزال عنه الشك، ثم ينتقل ابن جنى إلى وزن (فعيلة) من (فعل) ويبدو أنه قد وجد فى صيغة (فعيلة) ضالته التى أقام عليها هذا الباب، فهذا البناء يمكن أن يتشكل منه مجموعة من الألفاظ رغم اختلاف أصولها فإنها ستفضى إلى معنى واحد وهو ما ذهب إليه فى معنى الخلق والخليقة. فذكر ألفاظا أخرى وهى :

الطبيعة : وهى من طبعت الشئ أى قررته على أمر ثبت عليه.

والنحيته : من نحت الشئ أى ملسته وقررته على ما أوردته منه فالنحيته كالخليقة.

ومنها الغريزة : فهى كالطبيعة لأن طبع الدرهم ونحوه ضرب من وسمه وتغريزه بالآلة التى تثبت عليه الصورة، وذلك استكراه له وغمز عليه كالطبع... وهكذا يمضى ابن جنى مع بقية الألفاظ ومنها : النقيبة والنحيزة والسجية والطريقة ... الخ، وبتتبع أصول هذه الألفاظ جميعا ومعانيها توصل ابن جنى إلى أنها تؤدى معنى واحدا، (فهى تؤذن بالالف والملانية والإصحاب والمتابعة. وكذلك وجد أن فى معانى أصول هذه الألفاظ التمرين على الشئ وتليين القوى ليصحب وينجذب)"[2]".

ولم يكتف ابن جنى بصيغة فعيلة، بل ضرب لإثبات ذلك الكثير من الأمثلة، ومن ذلك قولهم للقطعة من المسك (الصوار) بكسر الصاد وضمها، من صاره يصوره إذا عطفه وثناه، ومنه قوله تعالى :(**فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ**)"[3]" وإنما قيل له ذلك لأنه يجذب حاسة من يشمه إليه وكذلك تجد أيضا معنى المسك من (فعل) : من امسكت الشئ كأنه لطيب رائحته يمسك الحاسة عليه. فمسك يلاقى معناه معنى الصوار وإن كانا من أصلين مختلفين وبناءين متباينين؛ أحدهما (م س ك) والآخر (ص و ر). وكأن ابن جنى كان يحس أن كثيرا من أهل اللغة سيرى أن فى هذا الباب نوع من التكلف - وهذا ما ذهب إليه بعض الباحثين المحدثين، إذ رأوا (أن ابن جنى قد تكلف كثيرا للوصول إلى ما كان يرمى إليه من استخراج معنى مشترك للبناء المذكور رغم

---

[1] / اللسان - مادة (خلق).

[2] / الخصائص ٢/١١٣-١١٧.

[3] / سورة البقرة آية (٢٦٠).

اختلاف الأصول والبناء)"[1] فيرد عليهم بقوله :(وأهل اللغة يسمعون هذا فيرونه ساذجا غفلا ولا يحسون لما نحن فيه من حديثه فرعا ولا أصلا)"[2] ويشير فى موضع آخر من هذا الباب إلى أنه لم يبتدع هذا من اللغة وإنما نبه عليه شيخه أبو على، ويشير إلى فضل هذا الباب وأهميته قائلا :(وهذا مذهب فى هذه اللغة طريف، غريب لطيف، وهو فقهها وجامع معانيها ... وكان أبو على رحمه الله يستحسن هذا الموضع جدا وينبه عليه ويسر بما يحضره خاطره منه)"[3] ثم يفرق بينه وبين الاشتقاق إذ إن هذا الباب يجمع بين المعانى مجردة من الألفاظ فكأن بعضه منبهة على بعض، وهو يرى أنه أشرف للغة وأعلى من الاشتقاق"[4]".

إضافة إلى ذلك فقد ظهرت إسهامات ابن جنى واضحة فى المعجم العربى فى تحديده لأبنية الكلام عند العرب، فقد حصره بين الثنائى إلى الخماسى، وبين كثير الاستعمال من قليله، فالثلاثى كثير الاستعمال لخفته، أما الرباعى والخماسى فهما قليلا الاستعمال لطولهما وثقلهما"[5]". ثم أشار إلى ما كثر استعماله وما قل، وما شذ ولم يكتف بالإشارة إلى كثرة الاستعمال أو قلته أو شذوذه؛ بل يتبع ذلك تفسيراته وملحوظاته الصرفية القيمة، من ذلك ما ذكره أن بعض أوزان الثلاثى قد قل استعماله فى اللغة نحو صيغة (فعل)، وبين أن سبب ذلك الاستثقال وهو هنا الانتقال من كسر إلى ضم. وأطال فى عرض أمثلة من الأوزان الرباعية التى قل استعمالها، أو لم تستعمل فذكر من ذلك الصيغ التالية :(فعلل) و (فعلل) و (فعلل) و (فعلل)"[6]".

وهكذا نرى ابن جنى يعالج الكثير من القضايا الصرفية فى خصائصه التى لا يستغنى عنها واضع المعجم العربى وذلك لابراز معانى الكلمات من خلال بنائها ووزنها الصرفى لبيان أوجه التباين والاتفاق بين كلمة وأخرى ورأيناه فى أثناء شرحه للأمثلة يقحم المعنى المعجمى للكلمة.

وسنراه فى المبحث القادم يحاول إخراج المعانى من خلال حروف الكلمة واشتقاقها وذلك بتناوله للاشتقاق بأنواعه المختلفة.

---

[1] / مقال بعنوان (شذرات معجمية فى كتاب الخصائص – لأبى الفتح عثمان بن جنى أبحاث اليرموك عدد ٩ ص ١٨٩.

[2] / الخصائص ١٢٣/٢.

[3] / السابق ١٣٣/٢.

[4] / السابق والصفحة.

[5] / السابق ٦١/١.

[6] / السابق والصفحة.

المبحث الثالث:-
الاشتقـــاق:-

ومما هو متصل بالدراسة المعجمية (الاشتقاق) وقد حظى بعناية اللغويين منـــذ وقت مبكر؛ فقد دعت الحاجة إلى معرفته مع بداية التأليف فى النحو وعلـــوم العربيـــة لماله من ارتباط بأصول الكلمات ومعانيها، وأحوال تراكيبها كما دعت الحاجـــة إليـــه لمعرفة معاني الأسماء التى نقلها الناس عن العرب وجهلوا أصولها"[1]".

فعنى علماء العربية بالاشتقاق، وتناولوه بالدرس والتحليل وألف فيه عدد منـــهم كتبا خاصة منهم : الأصمعى، وابن دريد وابن النحاس"[2]"، وقطرب، والزجـــاج، وابـــن السراج ... وغيرهم"[3]" ونقل السيوطى عنهم أن الاشتقاق هو :(أخذ صيغة من أخـــرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية)"[4]" فيعنون بالاشتقاق هنا وجود أصل من الصيغ يمكـــن أن يشتق منه صيغ أخرى كضرب : فإنه دال على مطلق الضرب فقط، أمـــا ضـــارب ومضروب ويضرب واضرب فهى صيغ أخرى تشتق من الأصل وتشترك معـــه فـــى الهيئة.

وقد اتفق اللغويون على أن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، لذلـــك جعـــل الاشتقاق واحدا من ضروب تصرفهم فى الكلام، فقد أجمع اهل اللغة –إلا من شذ منهم– أن للغة العرب قياسا، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، فاسم الجن مشتق مـــن الاجتنان، وأن الجيم والنون تدلان على الستر والخفاء وعلى هذا سائر كلام العـــرب - كما يقول ابن فارس ولكنه يسارع إلى جعل هذا الاشتقاق مبنيا على التوقيف... وليـــس

---

[1] / مدخل إلى فقه اللغة العربية – أحمد محمد قدور – ص ١٣٢.

[2] / ابن النحاس : هو أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس المرادى ابو جعفر النحوى المصري، رحل إلـــى بغداد اخذ عن الأخفش الصغير والمبرد والزجاج وصنف كتبا كثيرة منها : اعراب القرآن ومعـــانى القـــرآن وشرح المعلقات وشرح المفضليات والاشتقاق وغيرها بغية الوعاة ٣٦٢/١.

[3] / مقدمة تحقيق اشتقاق الاسماء – لأبى عبد الملك بن قريب الأصمعى تحقيـــق : رمضـــان عبـــد التـــواب، وصلاح الدين الهادى ص ٤٦-٥٢- دط ١٤٠٠هـــ-١٩٨٠م مكتبة الخانجى بمصر.

[4] / المزهر ٣٥١/١.

لنا اليوم أن نخترع، ولا أن نقول غير ما قالوه ولا أن نقيس قياسا لم يقيسوه، لأن فـــى ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها"[1]".

ونقل السيوطى عن علماء العربية اختلافهم فى علاقة الكلم بعضها ببعض، فرأى بعضهم : أن الكلم كله مشتق وذهب آخرون إلى أن بعضه مشتق وبعضه غير مشـــتق. وسار معظم اللغويين على رأى ابن فارس بجعل الاشتقاق سماعيا، ولا يجوز إن صدر عن الذين عاشوا بعد عصور الاحتجاج، -أيا كانوا- عربا أو مولدين"[2]".

أما ابن جنى فقد أجاز الاشتقاق من الأصول العربية وغيرها بحجة (أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم) كما شرحت ذلك فى موقفه من القياس)"[3]" وقد اشتق ابن جنى نفسه أسماء للمصدر والمكان المفعول من الرباعى. وذكر عقب ذلك (أن هـذا كله من كلام العرب، ولم يسمع منهم، ولكنك سمعت ما هو مثله وقياسه قياسه ويستشهد بصنيع العجاج ورؤبة اللذين قاسا اللغة وتصرفا فيها، وأقدما على ما لم يأت بـــه مـــن قبلهما)"[4]" وإن نظرة واحدة منا إلى الألفاظ العربية، كفيلة أن تثبت لنا أن الاشتقاق جـار دون توقف، ملاحظا، أو غير ملاحظ، حتى الذين انكروه من علماء العربيـــة نجدهـم استعملوا الجم الغفير من الكلمات الجديدة صيغة أو دلالة.

ويشير العلماء إلى أنه لابد للاشتقاق من عنصرين أساسيين معا هما :

١/ الأصل الذى تؤخذ منه مادة اللفظ الجديد، أو المصدر المعتمد.

٢/ الأوزان أو الصيغ التى يحددها النظام الصرفى للغة.

وهذا هو المقصود من الاشتقاق على حين إطلاقه، مما يجعل من اللغة جســـما حيا تتوالد أجزاؤه، ويتصل بعضها ببعض بأواصر قوية، واضحة، وتغنى فى الوقـــت نفسه عن ضم عدد من المفردات المفككة المنعزلة، التى كان لابـــد منـــها لـــو عـــدم الاشتقاق"[5]".

وأيا كانت نظرة علماء اللغة فى الاشتقاق، فقد قسموه إلى أربعة أنواع تناولـــها ابن جنى فى خصائصه:

---

[1] / الصاحبى فى فقه اللغة – أحمد بن فارس – ص ٦٧.

[2] / السابق وصفحة – والمزهر – للسيوطى ٣٤٦/١

[3] / الخصائص ٣٦٩/١.

[4] / السابق والصفحة.

[5] / مدخل إلى فقه اللغة العربية – أحمد محمد قدرو – ص ١٣٥.

الأول : الاشتقاق الصغير ، أو الأصغر:-

وهو كما ذكره ابن جنى : بأنه (هو ما فى أيدى الناس وكتبهم كأن تأخذ أصلا من الأصول، فتتقراه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغه ومبانيه، وذلك كتركيب (سلم) فإنك تأخذ معنى السلامة من تصرفه نحو : سلم ، يسلم ، وسالم، وسلمان، وسلمى، والسلامة، والسليم"[1]".

وهذا هو الاشتقاق التصريفى الذى يعنى انتزاع كلمة من أخرى على أن يكون بينهما تناسب فى المعنى، وتغيير فى اللفظ يضيف زيادة على المعنى الأصلى، ويشمل هذا النوع عشرة أقسام تضم المشتقات المطردة التى تخضع لقواعد الاشتقاق وهى : الفعل الماضى ، والمضارع، والأمر، واسم الفاعل ، والمفعول، والزمان، والمكان، والآلة، والصفة المشبهة، واسم التفضيل)"[2]" ويتصل بهذا النوع من الاشتقاق والخلاف حول أصل المشتقات، الفعل هو أم المصدر، فذهب الكوفيون إلى أن الفعل هو أصل المشتقات، وذهب البصريون إلى أن المصدر هو الأصل وأورد كل من الفريقين الأدلة والحجج لذلك"[3]".

والذى عليه الدرس الحديث هو تعدد مصادر الاشتقاق"[4]" وإلى ذلك ذهب ابن جنى، فهو يرى أن العرب اشتقوا من غير المصادر ومن غير الأفعال، فاشتقوا من أسماء الأعيان، ومن أسماء الأمكنة والأزمنة، ومن أسماء الأصوات فاشتقوا من الذهب والفضة فقالوا : مذهب ومفضض، ومن أسماء الأعلام قالوا : قدس وكوف، من القدس والكوفة، ومن أسماء الأزمنة والأمكنة، فقالوا، أحرف من الخريف، وأحرم من الحوم. ومن أسماء المعانى الجامدة اشتقوا من أسماء الأعداد فقالوا وحد وتوحد من الواحد. واشتقوا من الأصوات أسماء وأفعالا؛ فكلمة (طق) حكاية صوت حجر ومنها اشتقوا (طقطق) إذا صوت. واشتقوا من الحروف أفعالا ومصادرا، وعلى ذلك قولهم (مويت)

---

[1] / الخصائص ٢/١٣٤.

[2] / مدخل إلى فقه اللغة العربية – أحمد محمد قدور – ص ١٣٥.

[3] / الانصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين تأليف الشيخ : كمال الدين أبى البركات (عبد الرحمن بن محمد ابن عبيد الله بن أبى سعيد الأنبارى النحوى : تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ١/١٤٤ ط٢ – ١٩٥٣م – مطبعة حجازى –القاهرة.

[4] / مدخل إلى فقه اللغة العربية – قدور – ص ١٣٧.

إذا كتبت (ما) و (لويت) إذا كتبت (لا). واشتقوا من حروف المعاني أيضا فقالوا مرة بعد مرة (سوف) إذا قالوا سوف"[1]".

وذهب ابن جنى إلى أنهم اشتقوا من الأسماء الأعجمية أفعالا وأسماء فيقال (درهمت الخبازى) أى صارت كالدراهم فاشتق من الدرهم وهو اسم اعجمى"[2]".

فهذا النوع من الاشتقاق - كما رأينا- اوسع من أن يحصر فى مصدر واحد، لأنه وسيلة جيدة لتوليد الألفاظ للدلالة على المعانى الجديدة.

والنوع الثانى من الاشتقاق هو :

(الاشتقاق الكبير) وعرفه ابن جنى بالتعريف التالى: (هو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا تجتمع التراكيب الستة، وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شئ من ذلك عنه، رد بلطف الصنعة والتأويل إليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك فى التركيب الواحد"[3]".

فهذا النوع من الاشتقاق يقوم على تقاليب المادة الواحدة واستخراج معنى مشترك منها جميعا، فقد حدد اللغويون القدامى أن الألفاظ العربية تقوم على حروف ثلاثة أصلية هى (الفاء والعين واللام) أطلقوا عليها فى المعجم مصطلح المادة . وما زاد عن ذلك يمكن أن يرد إلى تلك الأصول الثلاثية لكن هذه الحروف الأصول قد يختلف ترتيبها عن طريق القلب، فتتألف من ذلك صورة محتملة لكلمات تشترك فى الحروف من غير مراعاة للترتيب، وتتقارب فى المعنى تقاربا كبيرا، وعلى هذا يكون الاشتقاق الكبير نوع من القلب المكانى.

وهذه الطريقة فى محاولة الوصول إلى الاحتمالات اللغوية من لفظة واحدة هى الطريقة التى اعتمد عليها الخليل فى (العين) واصلا منها إلى تحديد المهمل والمستعمل. ومع أن السيوطى يذكر أن هذا النوع من الاشتقاق (مما ابتدعه ابو الفتح)"[4]" فإن مفهوم كلام ابن جنى أنه ليس من ابتداعه، وإنما له فضل التقليب فقط، وإلى ذلك ذهب أحد الباحثين المحدثين بقوله :(إذا أرخ الاشتقاق فينبغى أن يؤرخ بالخليل وأعماله اللغوية... إلا أن الخليل لم يرم منه إلى أن يدرسه، وإنما رمى إلى الاستفادة منه فى حصر اللغة

---

[1] / الخصائص ١/٢٧٥-٢/٣٤.

[2] / السابق ٢/١٣٣.

[3] / السابق ٢/١٣٤.

[4] / المزهر ١/٣٤٦.

العربية فى تقاليب كلماتها وتصاريفها... فإن كان ابن جنى أول من لقبه بهذا الاسم كما صرح فى الخصائص فإن الخليل أول من التفت إليه، وبنى تأليف العين عليه)"[1]" ويشير ابن جنى إلى أن شيخه أبا على الفارسى كان يستعين به ويخلد إليه إلا أنه لم يسمه.

وبتأمل الاشتقاق الأكبر عند الخليل ندرك أن الخليل لم يستعمله كاستعمال ابن جنى، فقد كان يقلب الأصل الثلاثى ويعقد عليه تقاليبه الستة ليخرج لكل واحد منها بمعناه الخاص، أما ابن جنى فإنه كان يعمد إلى عقد معنى مشترك بين التقاليب الستة، فالخليل عمد إلى حصر الألفاظ العربية عن طريق الإحصاء الرياضى، ولم يذهب إلى أن فى هذه الفكرة شيئا من الاشتقاق.

ومن الجدير بالانتباه أن ابن جنى بدأ كتابه (الخصائص) فى باب (القول على الفصل بين الكلام والقول)"[2]" بالإشارة إلى هذا النوع من الإشتقاق ذاكرا أنه يتجاوز قدر الاشتقاق ويعلوه إلى ما فوقه، فقد توصل إلى أن جميع تقاليب الكلام (ك،ل،م) يقوم على القوة والشدة، ثم ذكر أن تقاليب القول (ق ، و ، ل) الستة مع معانيها يجمعها الحركة والخفة.

وخصص بعد ذلك بابا سماه (فى الاشتقاق الأكبر)"[3]" عرفه فيه وذكر له أمثلة اخرى، نحو تقلب (جبر) فهى أين وقت فإنها تدل على القوة والشدة، فجبرت العظم أو الفقير إذا قويتهما وشددت فيهما، والرجل المجرب : هو الذى جرسته الأمور ونجذته، فقويت متنه واشتدت شكيمته ... الخ"[4]".

ومن ذلك تركيب : (قسو) و (قوس) و (وسق) و (سوق) و (وقس) و(سقو) وذكر ان التركيب الأخير معمل، وجميع ذلك إلى معنى القوة والاجتماع منها :

القَسْوَةُ : وهى شدة القلب.

القَوْسُ : لشدتها واجتماع طرفيها.

الوَقْسُ : لابتداء الحرب لما فيه من الجمع والشدة.

الوَسَق : للحمل وذلك لاجتماعه وشدته.

---

[1] / الخليل بن أحمد – مهدى المخزومى – ص ٧٥ د.ط ١٩٦٠ مطبعة الزهراء – بغداد.

[2] / الخصائص ١/١٥.

[3] / السابق ١/١٣٥.

[4] / السابق والصفحة.

ومن الوسق : قيل استوثق الأمر : اجتمع، والسوق لأنه استحثاث وجمع للمسوق بعضه إلى بعض.

ويعترف ابن جنى بعد سرده لأمثلة أخرى أن هذه النوع من الاشتقاق فى استخراج المعنى العام للتراكيب الستة غير متيسر فى جميع ألفاظ اللغة وأنه غير مطرد. إلا أنه يشيد به ليكون فى ذلك إعظام لهذه اللغة الشريفة من أجله"[1]".

ولنا أن نتساءل : ما الذى دعا ابن جنى إلى هذا على ما فيه من وعورة وتكلف في ابتداع معان للألفاظ واختراع علاقات قد لا تبدو فى كثير من الأحيان طبيعية أو منطقية؟ ولكن يبدو أن الأمر يتعلق بقضية كبيرة وهى المعنى أو الدلالة، ومن ثم علاقة اللفظ بمعناه أو بدلالته. ولما كان اللغويون الذين سبقوا ابن جنى قد أكثروا الحديث عن الألفاظ وأصولها، وما يتعلق بذلك من فصاحتها، وغرابتها، أو انتمائها إلى اللغة العربية أو غيرها؛ فرأى منهم الشطط والتكلف فى موضوع الاشتقاق الصغير أو الأصغر باعتباره الأصل فى اثبات عروبة الألفاظ، فربما أراد ابن جنى أن يضيف إلى ذلك كله دراسات فى الألفاظ باستخراج معانيها من خلال أصواتها وأبنيتها، ثم من خلال دوران حروفها وتغيير ترتيب هذه الحروف فى الاشتقاق الأكبر.

يضاف إلى هذا أن ابن جنى قد رأى فى معجم (العين) وفى نظام التقاليب المتبع فيه ما جعله يعمل فكره فى ربط معانى الألفاظ ذات الأصول الواحدة والتراكيب المختلفة"[2]".

وعلى الرغم من اعتراف ابن جنى بعدم استمرار الاشتقاق الأكبر فى جميع اللغة، نجد الكثير من اللغويين يعترضون عليه، فيرى السيوطى أنه ليس معتمدا فى اللغة، ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق فى لغة العرب، وإنما جعله أبو الفتح بيانا لقوة سلعده ورده المختلفات إلى قدر مشترك"[3]".

أما المحدثون فقد أعجب بعضهم بهذا النوع من الدراسة، وعبر أحدهم عن ذلك بقوله :(وكذلك ظهرت فى القرن الرابع دراسة جدية للاشتقاق اللغوى وبقيت عصرا طويلا، وكان استاذ هذه المدرسة ابن جنى الموصلى. وهو الذى ينسب إليه ابتداع مبحث جديد فى علم اللغة، وهو المسمى الاشتقاق الأكبر، وهو البحث الذى يؤتى ثمره

---

[1] / الخصائص ١٣٨/٢.

[2] / أسرار اللغة – ابراهيم انيس – ص ٦٦.

[3] / المزهر ٣٤٧/١.

إلى اليوم والذى يختص بمادة الكلمة دون هيئتها، ولم يكن لعلماء اللغة من العرب انتاج أعظم من هذا)"[1].

وقد لاحظ بعض الدارسين أن المبالغة فى الاعتداد بهذا النوع والتمثيل له ربما قادت إلى الزعم بأن كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف، وإن نقصت حروف إحداهما عن حروف الأخرى، فإن إحداهما مشتقة من الأخرى)"[2].

النوع الثالث من أنواع الاشتقاق هو :-

(الاشتقاق الأكبر) وهو عند اللغويين القدامى والمحدثين :(ارتباط بعض المجموعات الثلاثية ببعض المعانى ارتباطا عاما، لا يتقيد بالأصوات نفسها، بل بترتيبها الأصلى والنوع الذى تندرج تحته)"[3].

وذهب بعضهم إلى أنه :(انتزاع لفظ من لفظ مع تناسب بينهما فى المعنى والمخرج واختلاف فى بعض الأحرف نحو : عنوان وعلوان، ففى الثانية أبدلت اللام من النون؛ لتناسب النون واللام فى المخرج؛ لأنهما من الأحرف الزلقية، وقد توسع بعضهم إذ لم يشترط فى هذا النحو من الإبدال التناسب فى المخارج...)"[4].

فهذا النوع من الاشتقاق يقوم على الابدال -وقد سبق أن تعرضت له فى مبحث الأصوات- فقد تناوله ابن جنى فى خصائصه، وعرفه بأنه :(نوع من تقارب الحروف لتقارب المعانى) وكان ابن جنى معنيا هنا ببيان القيمة التعبيرية للحرف فى ضوء معارفه الصوتية ولم يقصد بذلك إلى إرساء نظرية تدور حول الاشتقاق غير أن هذا النوع من الاشتقاق آل عند الكثير من اللغويين القدامى إلى توسع فى طرق الإبدال وشرح لما يصح منها أو لا يصح.

كما آل لبعض المحدثين الذين استفادوا من أمثلة ابن جنى إلى القول بالثنائية"[5].

ومن أمثلة هذا النوع : قشط الجلد وكشطه، وكبح الفرس، وكمحه، وهدر الحمام وهدل، وبعثر وبحثر.

---

[1] الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع – آدم متز – ص ٣٣٠.

[2] / المزهر – للسيوطى ٣٥٤/١.

[3] / مدخل إلى فقه العربية – أحمد محمد قدور – ص ١٤٤-١٤٥.

[4] / فقه اللغة – على عبد الواحد وافى – ص ١٨٤ ط٥ ١٣٨١هـ-١٩٦٢م لجنة البيان العربى.

[5] / مدخل إلى فقه العربية – أحمد محمد قدور – ص ١٤٥.

ومن الأمثلة على الاتفاق فى المخارج والصفات : صقر وسقر وصراط وسراط.

وقد يختلف فى هذا الباب مدلولا الكلمتين أحدهما عن الآخر بعض الاختلاف مع بقاء المعنى العام للمادة مشتركا فيهما، ومن ذلك : أزّ وهزّ ، وعسف وأسف، فالأزّ معناه الازعاج والاقلاق فهو مشترك مع الهزّ فى المعنى العام للمادة وأن كان أقوى منه فى الدلالة على هذا المعنى وأعظم منه وقعا فى النفس. والأسف يشترك مع العسف فى أنه يعسف النفس وينال منها، ولكنه أقوى فى هذا المعنى من العسف.

وقد وقف ابن جنى على هذا النوع من الاشتقاق فى فصلين من خصائصه، وضرب له أمثلة كثيرة ولكنه لم يسمه؛ بل أدخله تحت قانون عام سماه (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى)"[1]" والباب الآخر سماه (الحرفان المتقاربان يستعمل أحدهما مكان صاحبه)"[2]" وليس مدار القضية هنا على تفسير هذا الابدال - وإن كان ضروريا- وإنما على جعل هذا الابدال- عند كثير من القدماء- نوع من أنواع الاشتقاق، اعتمادا على تقارب الأصول وتماثل المعانى.

النوع الرابع من أنواع الاشتقاق :-

لم يدرجه العلماء تحت أنواع الاشتقاق المعروفة، ولم يسمه ابن جنى، ولكنه تناوله فى خصائصه وتعرض له فى أكثر من موضع وهو :(اشتقاق معانى الألفاظ الجامدة) وهو لون من الوان الاشتقاق يقوم على تفسير معانى الألفاظ الجامدة التى لا تنتمى إلى أصل معين، كاشتقاق اسم الناقة من التنوق، والجمل من الجمال، والإنسان من الإنس، والخيل من الاختيال)"[3]".

وقد أثر عن علماء العربية محاولات لتفسير بعض الألفاظ غير المشتقة، من مثل ما روى من أن أبا عمر بن العلاء، سئل عن اشتقاق الخيل فلم يعرف فمر أعرابى محرم، فأرادا السائل سؤال الأعرابى ، فقال أبو عمرو دعنى فأنا ألطف بسؤاله وأعرف. فسأله، فقال الأعرابى : استفاد الاسم من معنى السير، فلم يعرف من حصر ما

---

[1] / الخصائص ٢/١٤٥-١٥٢.

[2] / السابق ٢/٨٢-٨٨.

[3] / مقال شذرات معجمية فى كتاب الخصائص - لأبى الفتح عثمان بن جنى - محمود جفال - أبحاث اليرموك مجلد ٩ عدد ١ ص ١٩١.

أراد الأعرابى، فسألوا أبا عمرو عن ذلك، فقال : ذهب إلى الخيلاء التى فى الخيل والعجب، ألا تراها تمشى الغرضنة خيلاء وتكبرا"[1]".

ويبدو أن ابن جنى قد حذا حذو هذا المثال فيما ذكره من أمثلة، ومن ذلك ما ذكره عن معنى الفضة وسبب تسميتها بذلك، فيقرر أنها سميت بذلك لانفضاض أجزائها وتفرقها فى تراب معدنها، ولا يكتفى ابن جنى بذلك، بل نجده يضيف إليه مسمى الفضة الآخر :(اللجين) فيقول :(إنها سميت بذلك لأنها ما دامت فى تراب معدنها فهي ملتزمة فى التراب متلجنة به)"[2]" ثم نرى ابن جنى يحتال فى بعض أمثلته، لتقريب معانى الألفاظ، وقد يبالغ فى ذلك ويتكلف، ويسعفه فى ذلك ما كان ينقله عن شيوخه –وخاصة أبي على الفارسى الذى نقل عنه معنى السحاب، وأنه (فعال) من (سحب)، وذلك لأنه بسحب أهدابه، وسمى السحاب كذلك بـ (الحبى) وقد فسره الفارسى بأنه من حبا يحبو، وكأن السحاب لثقله يحبو حبوا"[3]".

والنوع الخامس من الاشتقاق هو :

الاشتقاق الكبار أو النحت :

وهو أن تنتزع أصوات كلمة من كلمتين فأكثر أو من جملة للدلالة على معنى مركب من معانى الأصول التى انتزعت منها)"[4]" فالنحت أقرب إلى الاشتقاق من الأنواع الثلاثة السابقة، لأن فيه توليدا لفرع من أصل، فهو أقرب إلى الاشتقاق الصرفى إلا أن النحت يكون من كلمتين فأكثر على حين أن الاشتقاق الصرفى يكون من حروف كلمة واحدة.

والنحت يعد سنة من سنن العربية، وقد تناوله العلماء قبل ابن جنى، وذهب ابن فارس إلى أن اكثر الرباعى والخماسى منحوت، ومثل لذلك بقول العرب :(ضَبَطْرٌ) للرجل الشديد من (ضَبَطَ وضَبَرَ) و (صَهْصَلِقٌ) من (صَهَلَ وصَلَقَ) (وصِلْدَمٌ من (الصَّلْدِ والصَّدْمِ)"[5]". وقد قام احد العلماء المحدثين بدراسة إحصائية تتبع فيها أبواب

---

[1] / طبقات اللغويين والنحويين – للزبيدى – تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ص ١٩٥٤م مطبعة السعادة.

[2] / الخصائص ١٢٣/٢.

[3] / فقه اللغة – على عبد الواحد وافى – ص ١٨٠

[4] / السابق والصفحة

[5] / المزهر – السيوطى ٤٨٢/١.

مزيدات الثلاثى فوجد ثلاثمائة كلمة منحوته بين فعل وصفة، مما صرح ابـــن فـــارس بنحته بعبارة قاطعة)"[1]".

أما ابن جنى فإنه لم يتناول النحت ضمن باب الاشتقاق ولكنه أشار إليـــه فـــى أبواب أخرى من الخصائص، فذكر أن سبب النحت هو : الاختصار والتعبير عن معنى جديد يكون من جماع معنيى كلمتين، كقولهم (ضبطر) صفة للرجل الشديد الصلب مـــن (ضبط وضبر) ومن حكاية صوت معين :(بأبأ) إذا حكى صوت الباء فى جملة"[2]".

وحكاية الأصوات فى جملة لها الكثير من الأمثلة فى يومنا هذا كقولنا (دمعـــز)؛ أى أدام الله عزك، و (حوقل) قال :(لا حول ولا قوة إلا بالله) وغيرها...

لكن موقف اللغويين القدامى من النحت لم يتعد الاحتفاء به، وذكر بعض أمثلتـه، لأنه ورد على ألسنة العرب الذين يحتج بهم، لذلك قصروه على السماع"[3]".

أما فى عصرنا هذا فقد لجأ إليه الباحثون لإيجاد المصطلحات العلمية المقابلـــة للمفردات الأجنبية. واتخذ سبيلا من سبل تعريب العلوم المستحدثة ونمو اللغة بوجه عام لكنهم لم يميلوا إلى فتح باب النحت على مصراعيه، فقد عبر مجمع اللغة العربية فـــى القاهرة عن ذلك عندما أباح اللجوء إلى النحت عند الضرورة)"[4]". ونحتت فى العصـــر الحديث العديد من الكلمات من أصول عربية أو أجنبية فقالوا (برمائى) من البر والماء، و (زمكان) من الزمان والمكان، وقالوا لا سلكى ولا اخلاقى، وعرفت لغـــة الصحافـــة أمثلة عديدة من هذا النحت باتت تتردد على الكثير من الألسنة"[5]".

وأيا كانت نظرة العلماء إلى الاشتقاق بأنواعه المختلفة فـــإن هـــذه الدراســـات الاشتقاقية، على وعورتها، وتكلفها، تغنى المعجم العربى، فتحل أزمة طغيان المعـــانى على الألفاظ من حيث أن الألفاظ محدودة، والمعانى تزيد بتطور الفكر وتنوع صنـــوف المعرفة.

وقضية تطور الألفاظ تبعا لتطور المعانى هي من القضايا المعجمية المهمة التى تعرض لها ابن جنى فى خصائصه بل ذهب إلى استخراج المعانى ليس مـــن الألفـــاظ وحدها بل من كل الظروف والملابسات التى تحيط بها، وسأحاول معالجة ذلـــك مـــن خلال المبحث القادم أن شاء الله.

---

[1] / دراسات فى فقه اللغة – صبحى الصالح ص ١٥٨.

[2] / الخصائص ١/٢٧٥-٢٧٦.

[3] / المزهر – للسيوطى ١/٤٨٥.

[4] / مدخل إلى فقه اللغة العربية – أحمد محمد قدور – ص ١٤٩.

[5] / السابق ص ١٤٩.

المبحث الرابع :-
السيـــاق اللغـــوى :-

أخذ الدارسون على المعاجم العربية القديمة أن معظـــم مصنفيـــها قـــد صبـــوا اهتماماتهم على الألفاظ المفردة واللفظة المفردة جامدة وصامتة إلى أن يتم اســـتخدامها فتكتسب حياة وحيوية.

ويشير الدرس الحديث إلى أن الكلمة المفردة قد لا تعطينا صورة حقيقية للمعنى المطلوب إلا حين تتركب فى جملة فتتخذ كل كلمة موقفا معينا من هذه الجملة بحيـــث ترتبط الكلمات بعضها ببعض على حسب قوانين لغوية خاصة بالنظام النحوى، وفيـــه تؤدى كل كلمة وظيفة معينة وهو ما يعرف بالدلالة الاجتماعية بين أنـــواع الـــدلالات الأربعة "١" إضافة إلى دلالات أخرى تستمد من الظروف والملابسات.

وقد أولى ابن جنى عددا من التراكيب عناية واهتماما من حيث تتبـــع أصولـــها اللغوية، وتفسيرها من النواحى النحوية والصرفية والدلالية، معتمدا على إيراد الشـــواهد وشرحها، ثم ذكر العلاقة بين الألفاظ فى التركيب الواحد. وهذا ما يدعو إليـــه الـــدرس الحديث؛ حيث فكر بعض المحدثين من المستشرقين فى وضع معجـــم عربـــى حديـــث تقتبس ألفاظه من النصوص"٢" والذى يعنينا من ذلك هو دعوته إلى ما قام به ابن جنـــى فى تتبعه للألفاظ وشرح دلالاتها، وخير مثال لذلك ما فعله ابن جنى فى تفسيره لعبـــارة (لا أبالك) التى وصفها ابن جنى بقوله :(قولهم :(لا أبالك) كلام جرى مجرى المثل، فإن لا النافية فى هذا التركيب، قد خرجت من معناها الأصلى إلى معنى الدعاء، وينقل ابـــن جنى عن شيخه أبى على الفارسى تفسيره للمثل :(أى أنت عندى ممن يستحق أن يدعى عليه بفقد أبيه ويؤكد ابن جنى هذا التفسير فى احتجاجه بقوله:

وتَتْرُكُ أُخْرَى فَرْدَةً لا أَخَالَهَا

وذلك أنه لم يقل : لا أخت لها، فدل هذا على أن الكلام فى هـــاتين العبـــارتين جرى مجرى المثل، وفيه يستوى التعبير للتذكير والتأنيث، كما يجرى فى المثـــل مـــا يصلح للجنس والعدد، قل ذلك، أو كثر. وزاد ابن جنى الأمر تأكيدا فى ان عبـــارة (لا

---

[١] / دلالة الألفاظ – إبراهيم انيس – ص ٤٨.

[٢] / السابق ص ٢٤٩.

أبالك) تقال فى الشعر وفى غيره، -لمن له أب أو لمن ليس له أب- فهذا الكلام دعاء فى المعنى لا محالة. وإن كان فى اللفظ خبراً.

ويؤكد ابن جنّى على أن هذا الكلام خارج مخرج المثل بقول الشاعر :

يَا تِيْمَ تِيَمَ عَدِيٍ لَا أَبَالَكُمُ لَا يُلْقِيَنكم فِي سَوْأَةٍ عُمَرُ"[1]"

فهذا أقوى دليل على كون هذا القول مثلاً لا حقيقة؛ ألا ترى أنه لا يجوز أن يكون للتيم كلها أب واحد، ولكن معناه : كلكم أهل للدعاء عليه.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الزمخشرى قد ذكر العبارة وشرحها شرحاً مقتضباً فى قوله :(ومن المجاز لا أبا لك، ولا أبا لشانئك، يقولونه فى الحث)"[2]".

ولعل أهتم موضوع عرض له ابن جنّى فيما يتصل بدراسة المعنى، هو ذلك الذى يطلق عليه المحدثون (سياق الحال Context of situation وقد تناوله أحد العلماء المحدثين وبين أنه جملة العناصر المكونة للموقف الكلامى) ومعنى ذلك أنه : مجموع الظروف التى تحيط بالكلام؛ أى أن تحديد المعنى المقصود لا يتم إلا بمعرفة هذه الظروف"[3]" ويرى فى نظريته الدلالية أن المعنى هو المحصلة النهائية لتحليل الحدث اللغوى تدريجياً على مستويات اللغة كافة : الاجتماعية، والصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية فى قوله :(ولمعرفة المعنى يمكن أن نتقبل الحدث اللغوى بشكل كامل، وبعد ذلك نختبره على مستويات مختلفة بالترتيب التنازلى، مبتدئين بالسياق الاجتماعي ونتقدم خلال النحو، والمفردات إلى الأصوات، ووظائفها)"[4]".

أما ابن جنّى فقد كان على إدراك واضح لهذه الجوانب، وعرض لها فى أكثر من موضع، وإن جاءت مبعثرة تفتقر إلى التنظيم، وسأحاول فى هذا المبحث أن أجمع ما تفرق من كلامه، وانتثر من آرائه فى كتابه (الخصائص) لأخرج من ذلك بما يمكن أن يسمى (نظرية المعنى عند ابن جنّى) مقارنة بينها وبين ما توصل إليه المحدثون فى هذا السياق من خلال نظرية (فيرث)"[5]" الدلالية. ففيرث ينظر إلى سياق الحال كأى

---

[1] / الشاعر هو جرير، وعمر هو بن لجأ التيمى، كانت بينه وبين جرير مهاجاة – الخصائص ٣٤٥/١.

[2] / اساس البلاغة – جار الله أبو القاسم محمود الزمخشرى – ص ١٠ مادة (أبى) (دط) ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م دار والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر.

[3] / فقه اللغة فى الكتب العربية – عبده الراجحى – ص ١٦٧.

[4] / مقال بعنوان (الدلالة عند ابن جنّى) عبد الكريم مجاهد – ص ١٦٢ دار الملك عبد العزيز – الرياض- المملكة العربية السعودية مجلة الدار – العدد الاول – السنة التاسعة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ص ١٦٢.

[5] / أحد علماء اللغة المحدثين ، الذين تبنوا سياق الحال وأخذوا على عاتقهم تطويره.

مستوى لغوى آخر من مستويات اللغة، إن لم يكن أهم مستوى منها فنراه يحـــدد عـــدة مقولات يعتبرها العناصر الأساسية لسياق حال الحدث اللغوى على المستوى الاجتماعى وهى :

أ/ المظاهرة الوثيقة الصلة بالمشاركين – ولعله يقصد بالمشاركين المتكلمين والســامعين بملامحهم الظاهرة، التى تصور صفاتهم الظاهرة، وتشف عن دواخل نفوسهم، ويمكـــن أن تتضمن ما يلى :

١/ كلام المشاركين أو الحدث الكلامى الصادر عنهم.

٢/ الحدث غير الكلامى عند المشاركين، أى أفعالهم، وسلوكهم وتصرفاتهم أثناء الكلام.

ب/ الأشياء الوثيقة الصلة بالموقف.

ج/ أثر الحدث الكلامى.

وفى تحديده لهذه المقولات إنما أراد أن يجعل لسياق الحال، أسسا تقوم عليـــها دراسته، بشكل علمى، لأنه يعول عليها كثيرا فى إقامة صرح المعنى الدلالى. فهو يرى أن التصور الأساسى فى علم الدلالة يقوم على سياق الحال، ويعطـــى للســياق أهميـــة كبرى، ويرى أن دوره الفعال لا يقتصر على ما حدده له من مقولات هى عبارة عـــن ظروف وملابسات اجتماعية؛ وإنما يفيد منه أيضا الصوتى والنحوى والمعجمـــى فـــى تحليلهم للحدث اللغوى، حتى أنه لا يتصور علما للدلالة دون دراسة السياق. بـــل إنـــه يطلق على الدراسة السباقية مصطلح (علم الدلالة)، وكأن الدلالة ليست شيئا غير معرفة عناصر سياق الحال، وعلى ذلك فالقول الفصل فى معانى المفردات والجمل والعبـارات يقع على عاتق العنصر الاجتماعى فى الدلالة"[١]".

والآن وبعد أن تعرفنا مقولات سياق الحال عند فيرث يجدر بنا أن نعرض مـــا ذكره ابن جنى فى ذلك ونقارن بينها وبين ما توصل إليه فيرث فى نظريتـــه الدلاليـــة. فابن جنى يقول :(والذى يدل على أنهم قد أحسوا ما أحسسنا، وأرادوا وقصدوا ما نسبنا إليهم إرادته وقصده شيئان:

أحدهما : حاضر معنا، والآخر : غائب عنا، إلا أنه مع أدنى تأمل فى حكـــم الحـــاضر معنا.

---

[١] / مقال «الدلالة عند ابن جنى) – لعبد الكريم مجاهد عبد الرحمن – الداره – العدد الاول ص ١٦٣.

فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من احوال العرب ووجوهها، ويضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها من استخفافها شيئاً أو استثقاله، وتقبله أو انكاره والأنس به أو الاستيحاش منه، والرضا به أو التعجب من قائله، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود، بل الحالفة على ما فى النفوس)"[1]".

فكأنه يتوصل إلى معرفة ما قصدته العرب بما يشاهده من أحوال المتكلمين الذين اتيحت له رؤيتهم فى أثناء حديثهم، أو يستعين بما نقله العلماء من أحوال المتكلمين الذين لم يحضر حديثهم. وهذا الحديث من ابن جنّى إذا قارناه بالعناصر الأساسية لسياق الحال عند فيرث نجده ينطبق على العنصر الثانى :(الحدث غير الكلامى عند المشاركين)؛ بل إننى أجد فى كلام ابن جنّى وضوحاً وتفصيلاً أكثر؛ خاصة حين يقول :(الأحوال الشاهدة بالقصود؛ بل الحالفة على ما فى النفوس) فكأن هذه التصرفات التى تبدر والملامح التى تتشكل على الوجه تصور ما فى النفس تصويراً لا شك فيه، فكأنها شاهد يقسم على صدق قوله حتى لا يترك شبهة على ما يقول. ويمضى ابن جنّى فى توضيح افكاره فى هذا النص فسيشهد بقول الشاعر "[2]":

تَقُولُ – وَصَكَّتْ وَجْهَهَا بِيَمِينِهَا– أَبَعْلِيَ هَذَا بِالرَّحَى المُتَقَاعِسِ"[3]"

فإذا نظرنا إلى هذا الشاهد من ابن جنى نجده يتضمن أمرين من عناصر سياق الحال.

الأول : الأول الحدث الكلامى ، وهو استنكارها للأمر بقولها :(أبعلى هذا بالرحى المتقاعس!).

والثانى : (الحدث غير الكلامى عند المشاركين) وهو قول الشاعر:

(صكت وجهها بيمينها) فيرى ابن جنى أنه قد علم بقوله (وصكت وجهها) قوة إنكارها وتعاظم الصورة لها. هذا مع أنك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها اعرف ولعظم الحال فى نفس تلك المرأة ابين) فهذا الرأى من ابن جنى هو ما عبر عنه فيرث بـ :(أثر الحدث الكلامى وغير الكلامى) أي أن من سمع قولها مباشرة، أبعلى هذا بالرحى المتقاعس؟! وشاهدها فى الوقت نفسه تصك وجهها بيديها، سيكون أشد تأثرا وبحالها أكثر معرفة؛ بفعل هذين الحدثين.

---

[1] / الخصائص ٢٤٥/١.

[2] / الشاعر هو : نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي – اللسان مادة (ردع).

[3] / المتقاعس الذى يخرج صدره ويدخل ظهره وذلك شكل من يطحن بالرحى، الخصائص ٢٤٥/١ هامش ٤.

أما العنصر الثالث من عناصر سياق الحال عند فيرث وهو الاحاطة بالأشـــياء الوثيقة الصلة بالموقف الكلامي؛ فخير ما يمثله ويعبر عنه عند ابن جنى استشهاده بقول الشاعر"[1]":

* قلنا لها قفى لنا قالت قاف*"[2]"

يقول ابن جنى :(لو نقل إلينا هذا الشاعر شيئا آخر من جملة الحال فقـال مـع قوله (قالت قاف) و أمسكت بزمام بعيرها) أو (عاجته علينا) لكان أبين لما كانوا عليـه، وأدل على انها أرادت : وقفت أو توقفت، دون أن يظن انها أرادت : قفى لنا! أى يقول قفى لنا! متعجبة منه وهو إذا شاهدها وقد وقفت علم أن قولها (قاف) إجابة بـــه، لا رد لقوله وتعجب منه)"[3]"

ولا يخفى علينا ما بالامساك بزمام البعير وشده من دلالة على الوقوف، بـل إن ذلك من اوضح وأبرز الأمارات دلالة على الرغبة فى الوقوف. ويشبه أحـد العلمـاء المحدثين هذه الصورة فى أيامنا هذه برفع الكوابح اليدوية للسيارة وشدها للدلالة علـى وقوفها وضمان عدم تحركها"[4]".

ابن جنى يرى فى إمساك زمام البعير (وهو الحدث غير الكلامى) قرينة يـزول معها الإبهام ويتضح موقفها إذ يدل على استجابتها لا على تعجبها وإنكارها الـذى قـد يتبادر إلى الذهن من قولها (قاف).

وكثيرة هى المواقع التى تؤكد إدراك ابن جنى الواضح ليساق الحال، منها : مـا قرر فيه أن المعانى قدر لا يوصل اليها إلا بالظروف التى أحاطت بها، ومـن ثـم لا ينبغى للغوي أن يكتفى بالسماع، بل ينبغى أن يجمع إليه الحضور والمشاهدة؛ أي يحيـط بظروف الكلام ويضرب المثل بقول العرب :(رفع عقيرته) التى تعني لنا أنـه رفـع صوته والحقيقة أنه لولا معرفة المناسبة أو السياق الذى قيلت فيه لما أمكننا أن نصـل إلى ما نفهمه منها؛ لأنه ليس للدلالة العقيرة الوضعية، أو لإشتقاقها، أي صلـة برفـع

---

[1] / الشاهر هو : الوليد بن عقبة بن أبى معيط، كان عاملا لعثمان رضى الله عنه على الكوفة – الخصـائص ١/٣٠ هامش (٤).

[2] / هذا صدر البيت وعجزه (**ولا تحسبينا قد نسينا الإيحاف**) وقالت (قاف) أي أني واقفة أو وقفت، فاستغنى بالحرف عن الجملة والايجاف، : سرعة السير– الخصائص ١/٣٠ هامش (٤).

[3] / الخصائص ١/٢٤٦.

[4] / مقال الدلالة عند ابن جني لعبد الكريم مجاهد – مجلة الداره – السنة التاسعة ص ١٦٦.

الصوت فيرجع الفضل كل الفضل فى إدراك دلالتها إلى السبب أو السياق الذى قيلت فيه، ويحتج ابن جنى بقول أبى بكر بن السراج (بأنه لا يؤمن أن تكون هذه الألفاظ المنقولة إلينا، قد كانت لها أسباب لم نشاهدها ولم ندر ما حديثها، ومثل له بقولهم :(رفع عقيرته(إذا رفع صوته ... فلو ذهبنا نشتق لقولهم (عقر) من معنى الصوت، لبعد الأمر جدا، وإنما هو أن رجلا قطعت إحدى رجليه، فرفعها ووضعها على الأخرى ثم نادى وصرخ بأعلى صوته، فقال الناس : رفع عقيرته؛ أى رجله المعقورة)"[1]".

إذا فرفع عقيرته لم تكتسب هذا المعنى بأصواتها المكونة لها؛ أى من دلالتها الصوتية المطردة، بل اكتسبته من السبب والسياق الذى صاحبها، ولم يكتف ابن جنى بذلك بل رأى أن الحال المشاهدة؛ أى الحدث غير الكلامى يمكن أن ينوب عن اللفظ، ويكون له تأثيره فى بيان المعانى النحوية، التي تترتب عليها المعانى الدلالية كقوله: (ومن ذلك ما أقيم من الاحوال المشاهدة مقام الأفعال الناصبة، نحو قولك إذا رأيت قادما: خير مقدم، أى قدمت خير مقدم. فنابت الحال المشاهدة مناب الفعل الناصب وكذلك قولك للرجل يهوي بالسيف ليضرب به : عمرا، وللرامى للهدف إذا أرسل النزع"[2]" فسمعت صوتا : القرطاس والله : أى اضرب عمرا وأصحاب القرطاس"[3]".

فالحال المشاهدة : إرسال السهم والهوي بالسيف، حدثان غير كلاميين نابا مناب الحدث الكلامى لأنهما جزء من سياق الحال، فاستغنى بهما عن الفعل الناصب إذ كانت لهما نفس الدلالة، وبالتالى نفس العمل وتأكيدا على شدة تعلقه واهتمامه بهذه الحال السباقية ينهى كلامه فى صورة أمنية، لو تحققت لكان الغناء فيها عن كثير من الكلام إذ يقول :(فليت شعرى إذا شاهد أبو عمرو وابن أبي أسحق، ويونس، وعيسى بن عمر، والخليل وسيبويه، وأبو الحسن، وأبو زيد، وخلف الأحمر، والأصمعى، ومن فى الطبقة والوقت من علماء البلدين وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها، وتقصد له من أغراضها، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور مالا تؤديه الحكايات، ولا تضبطه الروايات، فتضطر إلى قصود العرب، وغوامض ما فى أنفسها، حتى لو حلف منهم

---

[1] / الخصائص ٢٤٨/١.

[2] / النزع : السهم اللسان مادة (نزع).

[3] / الخصائص ٢٦٤/١ ، ٢٨٤ – ٢٨٥.

حالف على غرض، دلته عليه إشارة لاعبارة، لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقا فيه، غير متهم الرأى والنحيزة والعقل)"[1]".

فهذا الكلام من ابن جنى يوضح أن الحدث غير الكلامى وما يصاحبه، أبلغ عنده من العبارة أى : الحدث الكلامى حتى لو شفعت هذه العبارة بأغلظ الأيمان.

ويؤكد ذلك ما ذكره فى موضع آخر، حيث يتناول العوامل التى تؤثر فى المعنى كالنبر، والتنغيم، والاستعانة بإشارات من الوجه واليدين وغير ذلك، فيقول :(وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب"[2]" من قولهم : سير على ليل) وهم يريدون ليل طويل. وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها، وذلك أنك تحس فى كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح، والتفخيم والتعظيم، ما يقوم مقام قوله : طويل أو نحو ذلك، وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته، وذلك أن تكون فى مدح إنسان والثناء عليه فتقول : كان والله رجلا فتزيد فى قوة اللفظ بـ (والله) هذه الكلمة، وتتمكن فى تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها وعليها، أي؛ رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما، أو نحو ذلك. وكذلك تقول : سألناه فوجدناه إنسانا، وتمكن الصوت بـ(إنسان) وتفخمه، فتستغنى بذلك بقولك : إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك. وكذلك أن ذممته ووضعته بالضيق قلت سألناه وكان إنسانا وتزوى وجهك وتقطبه، فيغنى ذلك عن قولك : إنسانا لئيما أو لحزا أو مبخلا أو نحو ذلك)"[3]".

فنجد أنه يشير فى هذا النص، إلى قضية الحذف الذى يجيزه النحاة إن دل على المحذوف دليل لفظى أو حالى، والدليل الحالي هو الظروف التى يقال فيها الكلام.

ومثل هذا الإدراك من ابن جنى لسياق الحال كان كفيلا لأن يؤدى إلى دراسة ممتازة للمعنى، ونحن نعلم أن العرب قد أهتموا اهتماما كبيرا بقضية المعنى لأنه يتصل بالأصل الذى صدرت عنه حركتهم العقلية كلها مما نعلمه فى كتب التفسير والأصول والفقه، والشروح المختلفة التى وضعوها للفن القولى، شعره ونثره. ومع أن هذه الأعمال كانت تعرض لأسباب النزول أو مقتضى الحال وغير ذلك من الجوانب التى تمس ظروف الكلام؛ فإن دراستهم على المستوى الدلالي لم تكشف عن منهج واضح –

---

[1] / الخصائص ٢٤٨/١.

[2] / كأنه يريد قول سيبويه (وكذلك سير عليه ليلا ونهارا ... الا أن تريد معنى سير عليه ليل طويل ونهار طويل الكتاب ١١٥/١.

[3] / الخصائص ٣٧٠/٢-٣٧١.

على رأى أحد العلماء المحدثين- إلا أنه يعزو ذلك إلى أننا لم ندرس بعد أعمالهم فـــى هذا الجانب دراسة تسمح بالكشف عن مثل هذا المنهج"[1]".

ومما سبق يتضح لنا أن الأصالة فى سياق الحال إنما هى لابن جنى من اللغويين العرب، لأننا بعد مناقشة ما ورد عن ابن جنى ومقارنته بعناصر ســياق الحــال التــى قررها (فيرث) فى نظريته الدلالية. إذ لم نجد أدنى فرق بينهما سوى أن الاخير قد عمل لسياق الحال نظرية منظمة واسسا واضحة، معطيا إياها الأهمية القصــوى فــى بيــان المعنى الدلالي.

وقد رأينا أن الأسس والمقولات التى أقام عليها فيرث نظريته قد توافــرت فــى كلام ابن جنى من خلال بعض النماذج التى أوردتها لابن جنى فى هذا المجــال دون أن أحمل كلامه ما لا يطيقه، ودون تعسف فى تأويله. مع ملاحظة أن ابن جنى قد أورد ما أورده فى القرن الرابع الهجرى بالملاحظة والاستقراء.

ويمكننا أن نخلص من كل ذلك إلى أن هناك فرقا بين الدلالة الاجتماعية والدلالة المعجمية، فالدلالة المعجمية مثلا لــ (رفــع عقيرتــه) : رفــع رجلــه المعقــورة اى المقطوعة، أما الدلالة السياقية فهي : رفع صوته. وفى ذلك أبلغ رد وأوضحه من ابــن جنى على من رأى عدم التفرقة بين الدلالتين لأنهما شئ واحد، وعلــى رأس هــؤلاء إبراهيم أنيس الذى يقول :(ولكن المعاجم قديمها وحديثها تتخذ من الدلالــة الاجتماعيــة للكلمات هدفا أساسيا، وتكاد توجه إليها كل عنايتها. فلا غرابة إذن ألا يفــرق بعــض اللغويين بين الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية، وهذا هو ما ارتضيناه هنا أو قنعنــا به، فكلما ذكرنا الدلالة المعجمية لا نعنى بها سوى الدلالة الاجتماعية)"[2]".

ويتضح لنا بعد ذلك أن الدلالة المعجمية هى الدلالة القاموســية الجــامدة التــى تحتاج فى تحديد معناها إلى جملة من العوامل أو المؤثرات، الصوتيــة، والصرفيــة، والنحوية، والاجتماعية، أما الدلالة الاجتماعية أو المعنى الاجتمــاعى للكلمــة فتحــدده الظروف والملابسات المحيطة بالكلام أو ما يعرف بالمقام أو السياق. وثبــات المعنــى المعجمى لا يمنع السياق من أن يوجهه وجهة معينة من تخصيص أو تعميم أو تطويــر أو مجاز بل إن فى ذلك رد على الكثير من المحدثين من اللغويين العرب – ممن درس

---

[1] / فقه اللغة فى الكتب العربية – عبده الراجحى – ص ١٦٣ هامش ٣.

[2] / دلالة الألفاظ – إبراهيم أنيس – ص ٥١.

اللغة دراسة أوربية حديثة أن (الدلالة أو علم الدلالة Semantic من المبتدعات الأوربية الحديثة التى بحث بها الغربيون فى أواخر القرن التاسع عشر)"[1]".

[1] / التطور اللغوى التاريخي - إبراهيم السامرائى ص ٤١ ط٢ - ١٤٠١هـ-١٩٨١م دار الأندلس للطباعة والنشر - بيروت ، لبنان.

المبحث الخامس :-
المصطلحات :-

احتاج العرب إلى المصطلحات حينما نمت الحركة العلمية واتسعت وتنوعت، واستطاع عدد من علماء اللغة وغيرهم، وضع مصطلحات محددة لعدد من فروع العلم والمعرفة، مستعينين بوسائل متنوعة منها : الوضع والقياس والنحت والتعريب والترجمة والتوليد وقامت جهود فردية بتسجيل هذه المصطلحات المتنوعة وتفسيرها، وتمثلت بعض هذه الجهود بتأليف كتب مثل كتاب (مفاتيح العلوم) للخوارزمي"[1]" وكتاب (التعريفات) للشريف الجرجاني"[2]".

أما الجهود الأخرى فكانت تتمثل بشرح بعض المصطلحات المتعلقة بموضوع الكتاب المؤلف كما فعل ابن جني في (الخصائص) كما سيتضح لنا"[3]".

أما الجهود الحديثة، فبعضها فردي، وبعضها الآخر جماعي تمثل باهتمام مجامع اللغة العربية بتعريب مصطلحات العلوم والفنون، ثم إصدار معاجم خاصة يجمع كل منها ألفاظ علم أو فن معين ومن هنا يتضح لنا أن هذه المصطلحات العلمية والفنية هي ألفاظ خاصة، وليست عامة، كبقية ألفاظ اللغة لذلك خصصت لها مؤلفات خاصة. ولم تدمج بألفاظ اللغة فيما صدر من معاجم وقبل الحديث عن تناول ابن جني للمصطلح العربي لابد من الوقوف على تعريف المصطلح أو الاصطلاح بدلالتيه:

فالدلالة اللغوية مأخوذة من أصل المادة (صَلَحَ) والصَّلاح نقيض الفساد والاصلاح نقيض الافساد"[4]".

أما الدلالة العلمية أو الاصطلاحية فتعني (اتفاق جماعة على امر مخصوص)"[1]" فالاصطلاح : هو اللفظ أو الرمز اللغوي الذي يستخدم للدلالة على مفهوم علمي أو

---

[1] / هو محمد بن العباس أبوبكر الخوارزمي ولد سنة ٣٢٣، ولد ونشأ بخوارزم وكان أصله من طبرستان، استوطن نيسابور مات سنة ٣٨٣- بغية الوعاة ١٢٥/١.

[2] / هو علي بن محمد بن علي الحنفي الشريف الجرجاني، ولد بجرجان سنة ٧٠٤هـ- وتوفي بشيراز سنة ٨١٤هـ، ويقال إن مصنفاته زادت عن الخمسين منها حاشية المختصر وحاشية الكشاف/ بغية الوعاة ١٩٧/٢.

[3] / البحث اللغوي عند العرب - احمد مختار عمر ص ١٦٠ ط ٦ - ١٩٨٨م - عالم الكتب القاهرة.

[4] / اللسان - مادة (صلح).

عملى أو فنى، ولأبد فى كل مصطلح من وجود مناسبة أو مشابهة بين مدلوله اللغوى ومدلوله الاصطلاحى"[٢]".

أما ابن جنى فقد حفل كتابه الخصائص بعدد وافر من المصطلحات، منها ما يتعلق بعلوم اللغة العربية من نحوية وصرفية وعروضية، ومنها ما استعاره من مصطلحات خاصة بعلم الكلام والمنطق وأصول الفقه ومصطلح الحديث. فقد أشار فى مقدمة الخصائص إلى أنه قد عمل كتابه فى أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه"[٣]".

أما معالجته للمصطلحات فلم يعاملها معاملة واحدة فكان يشرح بعضها، مبتدئا من معانى أصولها ثم يذكر مختلف استعمالاتها وتطور معانيها، حتى صارت مصطلحات خاصة. وأما بعضها الآخر فكان لا يفسرها ولعله – والله اعلم– على رأى أحد الباحثين المحدثين يعتمد فى ذلك على قدرة قارئيه للربط بين استخدام اللفظ فى الأصل، واستخدامه فى الموضوعات اللغوية التى استعار لها هذه المصطلحات، من خلال طرحه للموضوعات وإيراده الأمثلة والشواهد ثم شرحها"[٤]".

ومن الأمثلة على استخدام ابن جنى لمصطلحات معالجته لمصطلحى (الكلام) و(القول) فى بداية الخصائص فقد عالجهما معالجة معجمية خالصة متتبعا فى ذلك طريقة معجم (العين) من حيث التركيز على مادتى (كلم) و (قول) ، حيث تناولها تناولا يتناسب ونظرته فى (الاشتقاق الأكبر)، فبعد أن تتبع ابن جنى تقاليب (ك ، ل ، م) الستة، متوصلا إلى أنها (حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة)"[٥]"، وأشار إلى أن المستعمل منها أصول خمسة، أهمل منها الأصل السادس (ل ، م ، ك) ، وساق الأمثلة والشواهد للأصول الخمسة المستعملة. ثم توصل بعد ذلك إلى المعنى الاصطلاحى الذى نما إليه مصطلح الكلام هو : (كل لفظ مستقل لنفسه، مفيد لمعناه).

---

[١] / معجم متن اللغة ٤٧٨/٣.

[٢] / المصطلح النحوى قبل الكتاب – عوض حمد القوزى ص ٢٢-٢٣.

[٣] / مقدمة الخصائص ٢/١.

[٤] / مقال شذرات معجمية فى كتاب (الخصائص) – محمود جفال – مجلة ابحاث اليرموك – مجلد ٩ عدد ١ ص ٢١٠.

[٥] / الخصائص ١٣/١.

ويضيف ابن جنى لهذا التعريف الاصطلاحى المعنى الذى يدور فى دراسات النحويين لمصطلح الكلام بقوله :(وهو الذى يسميه النحويون الجمل، نحو زيد أخوك، وقام محمد، وضرب سعيد، وفى الدار أبوك، وصه، ومه... وجاء وعاء فى الأصوات ولب – فى معنى لبيك فى لغة بعض العرب ... فكل لفظ استقل بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناها فهو كلام)"[1]".وضرب الأمثلة لأنواع الجمل العربية المستعملة.

وأما مصطلح (القول) فتتبع ابن جنى معنى (ق ، و ، ل) بتقاليبها الستة، ليتوصل بذلك إلى أن :(معنى ق ، و ، ل) أين وكيف وقعت، من تقدم بعض حروفها على بعض، وتأخره عنه : إنما هو للخفوف والحركة، وجهات تراكيبها الستة مستعملة كلها، لم يهمل شيئ منها)"[2]" ثم ذكر الأمثلة والشواهد على ذلك متوصلا إلى أن مصطلح القول هو :(أنه كل لفظ مذل به اللسان، تاما كان أو ناقصا. فالتام هو المفيد، أعنى الجملة، وما كان فى معناها، من نحو صه، وإيه والناقص ما كان بضد ذلك، نحو زيد، ومحمد، وإن ...."[3]" ثم خلص ابن جنى بعد أن فرق بين الكلام والقول، وعرف المصطلحين إلى النتيجة التالية :(كل كلام قول، وليس كل قول كلام)"[4]".

ومن أدل الأدلة التى ذكرها للفرق بين الكلام والقول إجماع الناس على ان يقولوا : القرآن كلام الله، ولا يقال القرآن قول الله، فعبر عنه بالكلام الذى لا يكون إلا أصواتا تامة مفيدة، وعدل به عن القول الذى قد يكون أصواتا غير مفيدة ... وهكذا يمضى ابن جنى إلى نهاية هذا الباب فى سوق الأمثلة والشواهد التى تؤكد ما توصل إليه من فرق بين المصطلحين.

مما سبق ذكره ومن خلال تتبعى للمصطلحات التى عرفها ابن جنى وشرحها شرحا معجميا فى خصائصه فيمكننى وضع النقاط التالية حول تناوله لها :

أولا :-

يبدأ ابن جنى بتعريف المصطلح، كتعريفه لمصطلح ٠اللغة) فيقول (أما حدّها، فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)"[5]" وعرف النحو بأنه :(انتحاء سَمْتِ كلام

---

[1] / الخصائص ١/١٧.

[2] / السابق ١/٥-١٢.

[3] / السابق ١/١٧.

[4] / السابق ١/٣٢.

[5] / السابق ١/٣٣.

العرب فى تصرفه من إعراب وغيره)"[1]"، أما الإعراب فعرفه بأنه :(هو الإبانة عن المعانى بالألفاظ)"[2]" وعرف مصطلح البناء بأنه :(لزوم آخر الكلمة ضربا واحدا من السكون أو الحركة لا لشيئ أحدث ذلك من العوامل)"[3]".

ثانيا:ـ

يذكر الأصل اللغوى للمصطلح واشتقاقه. فإن مصطلح لغة فى رأى ابن جنى- عربى الأصل، واشتقاقه من (لغا) : بمعنى تكلم فيقول :(فإنها (فعله) -(لغوه) ككره وثبه وقله ... وقيل فيها : لغى يلغى، إذ هذى ومصدره اللغا ... وكذلك (اللغو) واستشهد على ذلك بقوله تعالى :(... وإذا مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً)"[4]"

أما مصطلح النحو فيذكر أنه مصدر؛ أى نحوت نحوا كقولك : قصدت قصدا، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم)"[5]".

والإعراب مصدر أعربت عن الشئ إذا أوضحت عنه وفلان معرب عما فى نفسه؛ أى مبين له وموضح عنه وذكر ابن جنى أن من اشتقاق اللفظ (عربت الفرس تعريبا إذا بزعته، وذلك أن تنسف أسفل حافره، ومعناه أنه قد بان بذلك ما كان خفيا من أمره إلى مرآة العين، بعد ما كان مستورا، وبذلك تعرف حاله؛ أصلب هو أم رخو؟ ... وغير ذلك. وسمى يوم الجمعة بالعروبة لأنه أظهر أيام الأسبوع لما فيه من التأهب لها والتوجه إليها وقوة الاشعار بها)"[6]".

أما تسمية البناء (وهو لزوم ضرب واحد من الحركات فإن هذه التسمية للمصطلح استعيرت من المعنى الحسى للبناء من حيث كان البناء لازما موضعه، لا يزول من مكان إلى غيره) وعليه فسر ابن جنى قول الناس فى الدخول فى الزواج :(قد بنى فلان بأهله) وأصل ذلك أن الرجل كان إذا أراد الدخول بأهله بنى بيتا من أدم أو قبة أو نحو ذلك ثم دخل بها فيه، فقيل لكل داخل بأهله :(هو بان بأهله)"[7]".

---

[1] / الخصائص ١/٣٤.

[2] / السابق ١/٣٥.

[3] / السابق ١/٣٧.

[4] / سورة الفرقان آية رقم : ٧٢.

[5] / الخصائص ١/٣٤.

[6] / السابق ١/٣٥-٣٧.

[7] / السابق ١/٣٧.

ثالثا :-

يذكر الوزن الصرفى للمصطلح : فمصطلح (لغة) وزنه (فعلـــه) أى : لغـــوة، حذفت لامه فصارت (لغة) ونظير ذلك فى العربية كثير نحو : ثبة وقله وكـــرة، كلـــها لاماتها واوات لقولهم كروت وقلوت"[1]، والنحو مصدر ولكن العرب اســـتعملته ظرفـــا أيضا.

رابعا :-

يذكر المعانى المجازية للمصطلح، فقد استعير البناء من معناه الحسى إلى معنى مجازى للدلالة على البناء فى الشرف والمجد واحتج لذلك بعدة أبيات من الشعر منـــها قول الشاعر"[2]":

فَبَنَى لَنَا بَيْتاً رَفِيعاً سُمْكُهُ فَسَمَا إليهِ كَهْلُهَا وغُلَامُهَا"[3]"

خامسا :-

يستشهد على معانى المصطلح واستعماله، بالقرآن الكريم ، والحديـــث النبـــوى الشريف، والشعر العربى وأقوال العرب وأمثالهم، بل بأقوال المولدين وشروحاتهم، ومن ذلك ما قالته العرب فى المثل للبناء، فيروى ابن جنى عن أبى زيد الأنصارى تفســـير للمثل العربى :(المعزى تبهى ولا تبنى) فإن تبهى : تفعل من البهو، أى تتقافز علـــى البيوت من الصوف، فتخرقها، فتتسع الفواصل من الشعر فيتباعد ما بينها حتى يكون فى سعة البهو. (ولا تبنى)، أى لا ثلة لها وهى الصوف، فهى لا يجز منها الصـــوف ثـــم ينسجونه ثم يبنون منه بيتا"[4]". ومثل ذلك استشهاده بالحديث الشريف فى القـــول علـــى الاعراب :(الثيب تعرب عن نفسها) ويستشهد على مصطلح اللغة من القـــرآن الكريـــم بقوله تعالى (... **وإذَا مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً**).

وهكذا يمضى ابن جنى فى معالجة المصطلح العربـــى معالجـــة معجميـــة إذا تتبعناها بدقة فى الخصائص يمكننا ان نخرج منها بمعجم للمصطلح العربى من خـــلال اللغة وشواهدها المستعملة كما يدعو إليه الدرس الحديث.

---

[1] / الخصائص ١/٣٣-٣٤.

[2] / هو لبيد بن ربيعة.

[3] / البيت فى الخصائص ١/٣٩.

[4] / السابق ١/٣٩.

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وهادى المهتدين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم... نخلص من ذلك إلى :

إن أبا الفتح عثمان بن جنى عالم عظيم بل عبقريٌ فذ، تظهر لنا عبقريته من خلال مؤلفاته فى مختلف العلوم، فقد كتب فى اللغة والنحو، والصرف، والأصوات، والقراءات، والعروض، والأدب. مما يكشف لنا عن منهج شامل فى دراسة اللغة، وهذا ما يدعو اليه الدرس الحديث.

وقد هيأ له ذلك ذهنه المتوقد وذكاؤه النادر إضافة إلى أنه قد عاش فى القرن الرابع الهجري عصر ازدهار العلم والمعرفة فى مختلف الفنون. ونشأ فى بغداد حاضرة العالم الإسلامي وعاصمة الخلافة آنذاك فوجد بين يديه ثروة ضخمة من التراث أخذها عن علماء أفذاذ فى ذلك القرن، بالإضافة إلى أنه قد طوف فى البلاد، وتنقل بين مراكز الحضارة آنذاك، كل ذلك أسهم بقدر وافر فى تكوينه العلمى.

وقد رأينا أنَّ ابن جنى أول من شرح ديوان المتنبئ، وكان يحسن الثناء عليه فى كتبه، ويستشهد بشعره فى المعانى والأغراض وكان المتنبئ يجله ويشير إلى انه رجل لا يعرف قدره كثير من الناس مما دفع ببعض الرواة أن يجعلوا من المتنبئ تربا لابن جنى وصاحبا معاصرا لزمه دهرا طويلا. بينما اتضح لنا من خلال البحث أن علاقتهما واعجاب كل منهما بالآخر لا يعدو أن يكون عناية نحوي بشعر شاعر، ملأ شعره الآفاق فى زمانه وإلى يومنا هذا.

وقد اتضح لنا من خلال نشأة الرواية وتطورها ومصادرها المختلفة أن المحاولات الأولى لنشأة الدرس اللغوي كانت مرتبطة بالدين والعقيدة. ومن أجل الحفاظ على الصورة المثلى للغة العربية وضع العلماء حدودا معينة لجمع اللغة فيما عرف (بعصور الاحتجاج) معتمدين فى ذلك على مسألة اختلاط العرب بالأعاجم وأثره فى السليقة اللغوية. أما المصادر التي اعتمد عليها العلماء فى جمع اللغة وتقعيد قواعدها فقد تباينت مواقفهم من مصدر لآخر، ولكنهم اجتمعوا جميعا على أنه لا يستقيم الاحتجاج فى تقرير حكم لغوي بغير آى القرآن الكريم وقراءاته حتى الشاذ منها وما روي باللفظ من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم أما الشعر فقد عوَّلوا منه على أشعار الجاهليين ثم

أشعار المخضرمين، وما اطرد سماعه عن العرب الفصحاء"أما موقف ابن جنى من مصادر الرواية فيمكن تلخيصه على موقفين :

أ/ نظري : يتمثل بقبوله جميع لغات العرب.

ب/ تطبيقي : يتناول موقفه من : الروايات التى سمعها من شيوخه، ومشافهته لبعض الأعراب الذين لقيهم فى حياته، واحتجاجه باقوال المولدين وأشعارهم. ويتجلى كل ذلك فى محاولته عدم تضييق مصادر الاحتجاج. ومن خلال ذلك يتضح لنا الآتى :

١/ أن عصر ابن جني لم يكن عصر مشافهة الأعراب أو الأخذ عنهم عند جمهور العلماء.

٢/ أن ابن جني وضع قاعدة جواز الأخذ عن الأعرابى بشرط التثبت من فصاحته، مما جعله يمتحن هؤلاء الأعراب، وينتهى إلى أن بعضهم يمكن الاستشهاد بلغته كالشجرى وغيره.

٣/ أن ما أخذه ابن جنى عن الشجرى ومعاصريه لم يكن على سبيل التقعيد عن طريقة وإنما للإستئناس أو لتأييد قول.

٤/ أن ابن جنى لم يكن يجد حرجا فى الاحتجاج بأقوال الشعراء المولدين، لكنه برر لاحتجاجه فى بداية خصائصه بأنه يحتج للمعنى دون اللفظ.

٥/ أن ابن جنى يقبل الاحتجاج باللهجات العربية إذا كانت اللهجة موافقة للسماع والقياس، بل إنه يقبل اللهجة المخالفة للقياس إذا كان الناطق بها عربى يحتج بكلامه أما إذا كانت اللهجة قليلة أو نادرة فهى مقبولة فى الشعر والسجع.

٦/ وقد رأينا ابن جنى فى منهجه فى الخصائص متأثرا بمذهب الأصوليين، وقد استعار منهم مصطلح (الاستحسان) ليعلل به لخروج بعض ألفاظ اللغة عن الأوزان القياسية دون أن يوصف هذا الخروج بالشذوذ، وكان ابن جنى أول من استخدم هذا المصطلح من اللغويين مع أنه لم يكن الرائد فى معالجة قضاياه فى اللغة. وقد أراد أن يبين به أن ليس كل ما صاغه العرب مما خرج عن القياس يعد شاذا مرفوضا، بل إن المسموع يعد أولى من المقيس إذا خالفه ولكن يجب أن نقف عنده ولا نتجاوزه فى القياس عليه.

وبين لنا أن طلب الخفة وكراهة الاستثقال هي من الأسباب الموجبة للاستحسان عند العرب، وقد اقتفى أثره فى ذلك عدد من العلماء كابن الآنبارى والسيوطي.

٧/ أنَّ ابن جنى لم يضع عملا معجميا مستقلا كغيره من علماء عصره فى ذلك القرن الذى وصفه الدارسون بقرن المعاجم العربية؛ لكثرة ما انتج فيه من مؤلفات معجمية ولكن نجد أنَّ كتبه -وبخاصة (الخصائص)- قد حوت إسهامات معجمية وافرة - أبرز ابن جني من خلالها أهمية علم الأصوات والصرف والاشتقاق لكل من يتصدى لعمل المعاجم العربية، وكذلك اعتنى عناية خاصة بالدعامة الثانية لأي عمل معجمي -وهى الدلالة- فوصل فيها إلى معظم ما توصل إليه الدرس الحديث.

هذا وقد خرجت الباحثة من البحث بالنتائج والتوصيات الآتية :

١/ التأكيد على أنَّ ما قدمه ابن جنى وغيره من أسلافنا ينبغي أن يسبق أيَّ محاولة للتجديد، والذى لا شك فيه أن مثل هذا المنهج يحتاج إلى عمل جاد وجهد مستمر من أساتذتي العلماء وزملائى وزميلاتى طلاب الدراسات العليا؛ لأن إدراكنا للقديم هو الأساس الصحيح الوحيد لتأصيل الدرس العربي. وهذا لا يعنى اغفال المناهج الحديثة، بل ينبغى أن نكون على اتصال مستمر بها وربطها بالقديم.

٢/ دعوة الباحثين المحدثين للوقوف بحذر أمام بعض الروايات القديمة ودراسة تلك الروايات دراسة موضوعية وربطها بالحقائق التاريخية للوصول إلى نتائج علمية محققة.

٣/ أن ما قدمه ابن جنى فى مجال دراسة اللهجات العربية وخاصة الخلاف الصوتى بين تلك اللهجات يمكن أن يُعدَّ مرجعا أساسيا لدراسة اللهجات العربية وتطبيقه على اللهجات المحلية، وهذه دعوة مني للباحثين للتنقيب فى هذا المجال، فهو حقيق ببحوث مفردة.

٤/ أنَّ ما قدمه ابن جنى من وضع أسس وقواعد للمعجم العربى -على تفرقه وتشتته فى ثنايا الخصائص يمكن أن يعد إسهاما فعالا يستفاد منه فى أى عمل معجمى للمستقبل، وكذلك يمكن احتذاء حذوه فى المعالجات المعجمية التى قد تكون أغفلت فى معاجمنا العربية، كما رأينا فى معالجته للمصطلح العربى.

وأسأل الله وحده التوفيق والسداد وصلى الله على إمام البلغاء وسيد الفصحاء

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفهارس الفنية

أولا
الآيات القرآنية

الآيـــــــــة	سورة	رقمها	الصفحة
١/ (... قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيكَ...)	البقرة	٢٦٠	١٣٠
٢/ (... قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَت كُلَّ شَئٍ...)	الأعراف	١٥٦	٢٥
٣/ (... أَنَّ اللهَ بَرِئٌ مِنَ الْمُشرِكِينَ وَرَسُولُه...)	التوبة	٣	٤٣
٤/ (أَلَم تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً)	مريم	٨٣	١٢٣
٥/ (وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً)	الفرقان	٧٢	١٥٤
٦/ (... رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)	النمل	١٩	جـ
٧/ (... فَبَشِّر عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَولَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ...)	الزمر	١٨،١٧	١٠٢
٨/ (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ...)	المجادلة	١٩	١٠٦

ثانيـــا
الأحاديث النبوية

الحديـــــــث	الصفحة
١/ (أُنزِلَ القُرآنُ على سَبْعةِ أحرُفٍ كلُها شافٍ كافٍ)	٧٨
٢/ (الثَّيِّبُ تُعرِبُ عَن نفسِها)	١٥٥
٣/ (ما رَأَينا مِنْ شيءٍ وإنْ وَجدْناهُ لَبحرًا)	٧٠
٤/ (مَنْ قالَ فِي الجُمُعَةِ أنصِتْ والإمامُ يَخطُبُ فقَد لَغَا)	٧٠
٥/ (يا أَبَا هُرَيرةَ زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا)	٧٠

ثالثـــا
الأبيات الشعرية

الآيـــــــــــة	القائل	الصفحة
١/ غاض القريض وأذوت نضرة الأدب وصوَّحت بعد ريٍّ دوحه الكتب	ابن جنى	٢٠
٢/ وإنا ليرعى فى المخوف سوامنا كأنَّه لم يشعر به من يحاربه	الشجرى	٦٥
٣/ أنـــــافٍ على باقى الجمـــال ودفقت بأنوار عشب مخضلٍّ عوازبه	الشجرى	٦٥
٤/ وقالت له العينان سمعا وطاعة وأبدت كمثل الدُّرِّ لمَّا يثقب	غير منسوب	٦٧
٥/ غزال غير وحشيٍّ حَكى الوحشيَّ مقلته	ابن جنى	٢٢
٦/ صدودك عنى ولا ذنب لى دليل على نية فاسدة	ابن جنى	٤
٧/ أقائلن أحضروا الشهودا	غير منسوب	١٠٥
٨/ ألم يأتيك – والأنباء تنمى– بما لاقت لبون بنى زياد	قيـــس بـــن زهـــير العبسى	٧١
٩/ يا تيم تيم عدى لا أبا لكم لا يلقينكم فى سوأة عمر	جرير	١٤٣
١٠/ زمان على غراب غداف فطيره الشيب عنى فطارا	أبو حية النميرى	٩٥
١١/ تقول وصكَّت وجهها بيمينها أبعلى هذا بالرحى المتقاعس	نعيم بـــن الحـــارث يزيد بن السعدى	١٤٥
١٢/ يطرق حلما وأناة معا ثمَّ ينابع انبياع الشجاع	السفاح بـــن كثـــير البربوعى	٦٩
١٣/ له زجلٌ كأنَّه صوتُ حادٍ إذا طلب الوسيقة أو زمير	الشماخ بن ضرار	٦٥

١٤/ ألا يا القوم للخطوب الطوارق وللعظم يرمى كل يوم بعارق	الشريف الرضى	١٨
١٥/ قلنا لها قفى لنا قالت قاف ولا تحسبينا قد نسينا الإيجاف	الوليد بن عقبة بـــن أبى معيط	١٤٦
١٦/ حمى لا يحل الدهر إلا بإذننا ولا نسأل الأقوام عقد المياثق	عياض بـــن أم درة الطائى	١٠٩
١٧/ صدودك عنى ولا ذنب لى دليل على نية فاسدة	ابن جنى	٤
١٨/ لو قدر السنان على لسان لقال لك السنان كما أقول	المتنبئ	٦٨
١٩/ لو كان يدرى ما المحاور اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمى	عنترة بن شداد	٦٧
٢٠/ فبنى لنا بيتا رفيعا سمكه فسما إليه كهلها وغلامها	لبيد بن ربيعة	١٥٥
٢٠/ لو تعقل الشجر التى قابلتها مدت محيية إليك الأغصنا	المتنبئ	٦٨
٢١/ وصاليات ككما يؤثفين	خطام المجاشعى	١٠٨

رابعـــا
فهرس الاعلام

الاســـــــم	الكنية واللقب	الصفحة
١/ إبراهيم بن أحمد بن الحسن بن مهران	أبو إسحق القرمسينى	٨
٢/ إبراهيم أنيس	–	٣٤
٣/ إبراهيم بن السرى بن سهل	أبو إسحق الزجاج	٥٧
٤/ أحمد بن بويه بن فناخسرو	أبو الحسن معز الدولة	٦
٥/ أحمد بن الحسين الجعفى	أبو الطيب المتنبئ	١٢
٦/ أحمد بن على الرازى	أبوبكر الجصاص	٢٥
٧/ أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد	أبو الحسين ابن فارس	٣٠
٨/ أحمد بن محمد بن إبراهيم	أبو العباس ابن خلكان	١٦
٩/ أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس	أبو جعفر ابن النحاس	١٣٢
١٠/ أحمد بن محمد	أبو العباس الأخفش الثانى	٣
١١/ أحمد بن يحيى بن يسار	أبو العباس ثعلب	٧
١٢/ إسحق بن مرار	أبو عمرو الشيبانى	٥٧
١٣/ إسماعيل بن حماد	أبونصر الجوهرى	٤٦
١٤/ إسماعيل بن عباد بن العباس	أبو القاسم الصاحب بن العباد	٥٦
١٥/ إسماعيل بن القاسم بن عيذون	أبو على القالى	٥٦
١٦/ بكر بن محمد بن بقية	أبو عثمان المازنى	١٣
١٧/ بهاء الدولة	–	٣٠
١٨/ ثابت بن محمد	ابو الفتوح الجرجانى	٩
١٩/ حبيب بن أوس	أبو تمام	٦٨
٢٠/ الحجاج بن يوسف الثقفى	–	٤٣
٢١/ الحسن بن أحمد بن عبد الغفار	أبو على الفارسى	٣
٢٢/ الحسن بن الحسين بن عبيد الله	أبو سعيد السكرى	٥٧
٢٣/ الحسن بن على	ابو محمد بن وكيع الضبى التنيسى	١٦

٢٤/ الحسين بن أحمد بن نصر	أبو عبد الله	٩
٢٥/ الخليل بن أحمد الفراهيدى	–	٤٤
٢٦/ رؤبة بن العجاج	–	٦١
٢٧/ زبان بن العلاء بن عمار	أبو عمرو بن العلاء المقرئ	٤٤
٢٨/ زياد بن أبى سفيان بن حرب	زياد بن أبيه	٤٣
٢٩/ سعيد بن أوس بن ثابت	أبوزيد الأنصارى	٤٥
٣٠/ سعيد بن مسعده	أبو الحسن الأخفش الأوسط	١٦
٣١/ ظالم بن عمرو بن سفيان	أبو الأسود الدؤلى	٤٣
٣٢/ عالى بن عثمان بن جنى	أبو سعد البغدادى	٤
٣٣/ عبد الرحمن بن إسحق	أبو يوسف الزجاجى	١٠٣
٣٤/ عبد الرحمن بن الكمال	أبوبكر جَلال الدين السيوطى	٣
٣٥/ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله	أبو البركات كمال الدين الأنبارى	١٠٩
٣٦/ عبد الرحمن بن محمد	أبوزيد ولى الدين ابن خلدون	٢٩
٣٧/ عبد السلام بن الحسين بن محمد	أبو أحمد القرمسينى	٩
٣٨/ عبد القادر بن عمر	البغدادى	٥٠
٣٩/ عبد الله بن رؤبة	العجاج	٦١
٤٠/ عبد الله بن زيد بن الحارث	أبو بحر ابن اسحق الحضرمى	٩٦
٤١/ عبد الله بن قيس	أبو موسى الأشعرى	٤٢
٤٢/ عبد الله بن محمد بن سعيد	أبو محمد ابن سنان الخفاجى	١٠
٤٣/ عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن على	أبو سعيد الأصمعى	٤٥
٤٤/ عبد الملك بن محمد بن إسماعيل	أبو منصور الثعالبى	١٢
٤٥/ على بن أحمد	أبو الحسن ابن سيده	١٠
٤٦/ على بن الحسين بن محمد	أبو الفرج الأصبهانى	٨
٤٧/ على بن حمزة	أبو نعيم	٢٠
٤٨/ على بن عباس	ابن الرومى	٦٨
٤٩/ على بن عبد الله بن حمدان	سيف الدولة الأمير	١٩

٥٠/ على بن عبيد الله	أبو الحسن السمسمى	٩
٥١/ على بن محمد بن على	الشريف الجرجانى	١٠١
٥٢/ على بن يزيد	القاشانى	٨
٥٣/ عمر بن ثابت	أبو القاسم الثمانينى	٨
٥٤/ عمرو بن عثمان بن قنبر	أبو بشر سيبويه	٣٠
٥٥/ ابو عمرو بن العلاء بن عمار	المازنى	٤٤
٥٦/ عنترة بن شداد العبسى	–	٦٧
٥٧/ فناخسرو بن الحسن بن بويه	أبو شجاع عضد الدولة	١٩
٥٨/ القاسم بن معن بن عبد الرحمن	–	٤٧
٥٩/ أبو محرز بن حيان	خلف الأحمر	٩٠
٦٠/ محمد بن أحمد بن الأزهر	أبو منصور الأزهرى	٥٦
٦١/ محمد بن أحمد بن سهل	أبو غالب، ابن بشران الواسطى	٨
٦٢/ محمد بن أحمد بن يوسف	الخوارزمى	١٠١
٦٣/ محمد بن الحسن بن دريد	أبوبكر ابن دريد	٥٥
٦٤/ محمد بن الحسن بن يعقوب	أبوبكر العطار ابن مقسم	٧
٦٥/ محمد بن الحسن	الرضى الاستراباذى	٢٧
٦٦/ محمد بن الحسين بن موسى	أبو الحسن الشريف الرضى	١٨
٦٧/ محمد بن الحسين	أبو الفتح ابن وحشى	٩
٦٨/ محمد بن السرى	أبوبكر السراج	٥٦
٦٩/ محمد بن العباس	أبوبكر الخوارزمى	١٥١
٧٠/ محمد بن عبد الله	أبو الحسين ابن شاهويه	٨
٧١/ محمد بن على	أبوبكر المراغى	٧
٧٢/ محمد بن محمد	ابن الجزرى	٥١
٧٣/ محمد بن محمد	ابو نصر الفارابى	٤٨
٧٤/ محمد بن المستنير	أبو على قطرب	٤٤
٧٥/ محمد بن مكرم بن على	أبو الفضل جمال الدين ابن منظور	١٠

٧٦/ محمد بن يزيد بن عبد الأكبر	أبو العباس المبرد	٥٤
٧٧/ محمود بن عمر بن أحمد	أبو القاسم جار الله الزمخشرى	٤٩
٧٨/ معقل بن ضرار بن سنان	الشماخ الشاعر	٦٥
٧٩/ نصر بن عاصم بن أبى سعيد	الليثى	٤٣
٨٠/ نصر الله بن محمد بن عبد الكريم	ابو الفتح ضياء الدين الشيبانى ابن الاثير	١١
٨١/ النضر بن شميل بن خرشة	ابو الحسن البصرى الشاعرى	٤٧
٨٢/ النعمان بن ثابت	أبو حنيفة	٢٤
٨٣/ نهشل بن زيد	أبو خيرة الأعرابى	٤٧
٨٤/ الوليد بن عبيد الله بن يحيى	أبو عبادة البحترى	٦٨
٨٥/ ياقوت بن عبد الله	شهاب الدين ياقوت الحموى	١٢
٨٦/ يحيى بن زياد	أبو زكريا الفراء	٥٧
٨٧/ يعقوب بن إبراهيم بن حبيب	أبو يوسف	٢٤
٨٨/ يعقوب بن إسحق	أبو يوسف ابن السكيت	١٣

خامساً : المصادر والمراجع

أولاً القرآن الكريم :-

١/ اختلاف الرواية فى شواهد سيبويه الشعرية – حسن موسى الشاعر ط١ / ١٩٩٢م – دار البشير– عمّان.

٢/ أساس البلاغة – جار الله أبو القاسم محمود الزمخشرى – دط ١٣٨٥هـ–١٩٦٥م – دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر.

٣/ اشتقاق الأسماء – لأبى عبد الملك بن قريب الأصمعى – تحقيق : رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادى – دط. ١٤٠هـ–١٩٨٠م – مكتبة الخانجى بمصر.

٤/ الأعراب الرواة – عبد الحميد الشلقانى – دط – ١٩٧٧م دار المعارف القاهرة.

٥/ أعلام المورد – (موسوعة تراجم مستقاة من موسوعة المورد– تأليف منير البعلبكى – إعداد : رمزى البعلبكى – ط١ ١٩٩٢م دار العلم للملايين – بيروت – لبنان.

٦/ الأعلام – لخير الدين الزركى – ط١٠– ١٩٩٢م دار العلم للملايين.

٧/ الاغراب فى جدل الأعراب – لابن الأنبارى –تحقيق : سعيد الأفغانى – دط ١٣٧٧هـ–١٨٥٧م – دمشق.

٨/ الاقتراح فى علم أصول النحو – للشيخ عبد الرحمن جلال الدين السيوطى – دط– ١٣١٠هـ–حيدر آباد.

٩/ إنباه الرواة على أنباه النحاة – للوزير جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ط١ – ١٣٦٩هـ–١٩٥٠م مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة.

١٠/ الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد ط٢– ١٩٥٣م – مطبعة حجازى القاهرة.

١١/ الإيضاح فى علل النحو – للزجاجى – تحقيق ما زن المبارك ط٣ – ١٩٧٩م – دار النفائس – بيروت.

١٢/ البحث اللغوى عند العرب – أحمد مختار عمر – ط٦ – ١٩٨٨م عالم الكتب القاهرة.

١٣/ البداية والنهاية – لأبى الفداء الحافظ بن كثير الدمشقى ط١– ١٩٦٦م مكتبة دار المعارف – بيروت، ومكتبة النصر – الرياض.

١٤/ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة – للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – ط١ ١٣٨٤هـ–١٩٦٥م – مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر.
١٥/ البلدان (معجم) للشيخ الإمام شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى – د(ط ت) – دار الكتاب العربى.
١٦/ البلغة فى تاريخ أئمة اللغة – لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى – تحقيق: محمد المصرى –دط– ١٣٩٢هـ–١٩٧٢م منشورات وزارة المعارف.
١٧/ تاج العروس للسيد مرتضى الزبيدى د(ط ت) دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازى.
١٨/ تاريخ النحو العربى فى المشرق والمغرب – محمد مختار ولد أباه دط – ١٤١٧هـ–١٩٩٦م – منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – ايسسكو .
١٩/ التطور اللغوى التاريخى – إبراهيم السامرائى – ط٢ ١٤٠١هـ–١٩٨١م – دار الاندلس للطباعة والنشر – بيروت.
٢٠/ التعريفات – الشريف الجرجانى – ط١ – ١٩٨٥م دار الكتاب العربى – بيروت.
٢١/ الجامع لأحكام القرآن – لمحمد بن أحمد القرطبى – ط٣ ١٩٦٧م – القاهرة.
٢٢/ جمهرة اللغة – لابن دريد (أبوبكر محمد بن الحسن الأزدى البصرى) – د.ط.ت – مكتبة الثقافة الدينية.
٢٣/ الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع – أدم متز – ترجمة : محمد عبد الهادى ابو ريده – ط٣ – ١٣٧٧هـ–١٩٥٧م – مطبعة لجنة تأليف والنشر – القاهرة.
٢٤/ الخصائص – لأبى الفتح عثمان بن جنى – تحقيق : محمد على النجار – ط٣ – ١٣٠٤هـ–١٩٨٣م عالم الكتب بيروت.
٢٥/ خزانة الادب ولب لباب لسان العرب – لعبد القادر بن عمر البغدادى – دط ١٣٤٨هـ– المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة.
٢٦/ الخليل بن أحمد – مهدى المخزومى – دط ١٩٦٠م مطبعة الزهراء – بغداد.
٢٧/ دراسات فى فقه اللغة – صبحى صالح – ط٣ ١٣٨٨هـ– ١٩٦٠م – بيروت.
٢٨/ دراسات لغوية – القياس فى الفصحى – الدخيل فى العامية – عبد الصبور شاهين – ط٢ – ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

٢٩/ الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى – حسام سعيد النعيمى – دط – ١٩٨٠م – منشورات وزارة الثقافة والاعلام.
٣٠/ الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث – محمد حسين آل يسن – ط١ – ١٤٠٠هـ–١٩٨٠م دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان.
٣١/ دلالة الألفاظ – إبراهيم أنيس – ط٣ – ١٩٧٦م مكتبة الأنجلو المصرية.
٣٢/ رواية اللغة – عبد الحميد الشلقانى – د(طت) دار المعارف – القاهرة.
٣٣/ سر صناعة الأعراب – لأبى الفتح عثمان بن جنى – تحقيق : مصطفى السقا وآخرون – ط١ – ١٣٧٤هـ–١٩٥٤م دار أحياء التراث العربى – ط اخرى – بتحقيق – حسن هنداوى – ط١ ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م – دار القلم – دمشق.
٣٤/ سر الفصاحة – ابن سنان الخفاجى شرح وتصحيح : عبد المتعال الصعيدى – دط ١٣٨٩هـ–١٩٦٩م مطبعة محمد على صبيح وأولاده بالازهر.
٣٥/ سنن الترمذى – لمحمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى – ط٢ – ١٩٩٢م دار سحنون وشعبان قورت – استانبول.
٣٦/ شذا العرف فى فن الصرف – للشيخ أحمد الحملاوى المكتبة الثقافية – بيروت – لبنان.
٣٧/ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف – لأبى أحمد عبد الله بن سعيد العسكرى تحقيق : عبد العزيز أحمد – ط ١٣٨٣هـ – ١٩٩٣م. مكتبة مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر.
٣٨/ الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها لأبى الحسين احمد بن فارس بن زكريا – تحقيق : السيد أحمد صفر د(ط ت) مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه.
٣٩/ ضحى الإسلام – أحمد امين – ط١٠ – ١٣٤٣هـ–١٠٣٥م – دار الكتاب العربى – بيروت – لبنان.
٤٠/ عصور الاحتجاج فى النحو العربى – محمد إبراهيم عباده – دط ١٣٩٩هـ– ١٩٨٠م – دار المعارف.
٤١/ طبقات اللغويين والنحويين – للسيد : مرتضى الزبيدى تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (د ط) ١٩٥٤م مطبعة السعادة.

٤٢/ العقد الفريد – لأبى عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى –شرح وتصحيح أحمد امين وآخرون – ط٣ – ١٣٩٣هـ–١٩٧٣م – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة.

٤٣/ علم الأصوات اللغوية – مناف مهدى محمد الموسوى – ط١ – ١٤٠٣هـ–١٩٩٣م – جامعة السابع من ابريل – الجماهيرية الليبية.

٤٤/ علم اللغة – على عبد الواحد وافى – دط – ١٩٦٢م مكتبة نهضة مصر القاهرة.

٤٥/ علم اللغة العام – الأصوات – كمال بشر – دط ١٩٧٠م – دار المعارف مصر.

٤٦/ العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده – لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى – تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط٤ ١٩٧٢م – دار الجيل بيروت لبنان.

٤٧/ العين – الخليل بن احمد – تحقيق مهدى المخزومى وإبراهيم السامرائى – سلسلة المعاجم والفهارس دار مكتبة الهلال.

٤٨/ غاية النهاية فى طبقات القراء – لشمس الدين أبى الخير محمد بن محمد ابن الجزرى – عنى بنشره برجستراسد – ط١ – ١٣٥١هـ–١٩٣٢م مكتبة الخانجى مصر.

٤٩/ فقه اللغة فى الكتب العربية – عبده الراجحى دط ١٣٩٢هـ–١٩٧٢م – دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت.

٥٠/ فقه اللغة – على عبد الواحد فى – ط٥ – ١٣٨١هـ–١٩٦٢م لجنة البيان العربى.

٥١/ فقه اللغة وسر العربية – لعبد الملك بن إسماعيل الثعالبى – تحقيق : إبراهيم الأبيارى وآخرون – ط٣ ١٩٧٢م – مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر.

٥٢/ الفهرست – ابن النديم – تحقيق الشيخ– إبراهيم رمضان – ط٢ – ١٤١٧هـ–١٩٩٧م – دار المعرفة لبنان.

٥٣/ فى أصول النحو – سعيد الأفغانى – ط٣ ١٣٨٣هـ–١٩٦٤م – مطبعة جامعة دمشق.

٥٤/ الكامل فى التاريخ – لعز الدين أبى الحسن على بن الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ابن الاثير) دط ١٣٨٦هـ–١٩٦٦م دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر.

٥٥/ الكتاب – سيبويه – تحقيق : عبد السلام محمد هارون –ط٢– ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م مكتبة الخانجى القاهرة – ودار الرفاعى بالرياض – ودار الجيل – بيروت.

٥٦/ لسان العرب – لجمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور – ١٣٥٧هـ–١٩٥٦م – دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر.
٥٧/ اللغة – فندريس – ترجمة عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص – دط – ١٩٥٠م مطبعة لجنة البيان العربى القاهرة.
٥٨/ اللغة والمجتمع – محمود السعران – دط – ١٩٦٣م دار المعارف مصر.
٥٩/ اللمع فى العربية – أبى الفتح عثمان بن جنى – تحقيق – حامد المؤمن – ط٢ /١٤٠٥هـ–١٩٨٥م – عالم الكتب – مكتبة النهضة العربية – بيروت.
٦٠/ اللهجات العربية – إبراهيم أنيس – ط٣ ١٩٦٣م – مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة.
٦١/ المحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها – لأبى الفتح عثمان بن جنى – تحقيق على النجدى ناصف وآخرون – دط ١٣٨٦هـ–القاهرة.
٦٢/ المخصص – لأبى الحسن على بن إسماعيل (ابن سيده) دط ت – المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر بيروت.
٦٣/ مدخل إلى فقه اللغة العربية – أحمد محمد قدور ط١ – ١٤١٣هـ–١٩٩٣م – دار الفكر المعاصر بيروت – لبنان.
٦٤/ المزهر فى علوم اللغة وأنواعها – لجلال الدين السيوطى – شرح وتحقيق : محمد أحمد جاد المولى – د(ط.ت) دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر.
٦٥/ مستقبل اللغة العربية المشتركة – إبراهيم أنيس دط – ١٩٥٩م – مصر.
٦٦/ معجم الأدباء – أبى عبد الله ياقوت الحموى راجعته وزارة المعارف – ط الأخيرة– ١٣٨٦هـ–١٩٦٧م – وزارة المعارف – مطبعة دار المأمون.
٦٧/ مفاتيح العلوم – للخوارزمى – تحقيق : محمد الأبيارى دط – ١٩٨٤م – دار الكتاب العربى بيروت.
٦٨/ المقتضب –لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد – تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة– دط – ١٣٨٢هـ–١٩٦٣م – لجنة إحياء التراث الإسلامى.
٦٩/ مقدمة ابن خلدون – لعبد الرحمن بن محمد ابن خلدون – شرح وتعليق : على عبد الواحد وافى ط٢ – ١٩٦٧م – لجنة البيان العربى.
٧٠/ الملل والنحل لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم أحمد الشهرستانى تحقيق: محمد سيد كيلانى – دط ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر.

٧١/ من أسرار اللغة – إبراهيم أنيس – ط٦ ١٩٧٨م – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة.
٧٢/ نزهة الألباء فى طبقات الأدباء – لأبى البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنبارى – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – دط – ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م.
٧٣/ النشر فى القراءات العشر – للحافظ أبى الخير محمد بن محمد الدمشقى (ابن الجزرى) تحقيق : على محمد الضباع د.ط.ث – المكتبة التجارية – مصر.
٧٤/ وفيات الأعيان وأنباء الزمان – للقاضى أحمد الشهير بابن خلكان – راجعته : وزارة المعارف العمومية – ط الأخيرة –دت– مطبوعات دار المأمون.
٧٥/ يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر– لأبى منصور عبد الملك الثعالبى – تحقيق : مفيد محمد قميحة – ط١ – ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م – دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان.

الدوريات الحديثة :-

١/ أبحاث اليرموك – مجلد ٩ عدد١.
٢/ مجلة الداره – العدد الأول – السنة التاسعة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م – دارة الملك عبد العزيز الرياض.
٣/ مجلة دراسات العلوم الانسانية – مجلد ٢٢(أ) عدد ٦ – الملحق– ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٤/ مجلة مجمع اللغة العربية – العدد ٧ مطبعة وزارة المعارف العمومية.